الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة منتوري ــ قسنطينة ــ
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
قسم التاريخ والآثار
رقم التسجيل:...
الرقم التسلسلي:..

المعرفة التاريخية في الأندلس
خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط
تخصص: تاريخ وحضارات بلاد الأندلس

إعداد الطالب:
علـــي زيـــان

إشراف الدكتور:
عــلاوة عمــارة

لجـــنة المنـــاقشة:

تاريخ المناقشة:..........................

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
بوبــة مجانـــي	أستاذ التعليم العالي	رئـــيـــسا	جامعة منتوري قسنطينة
عـــــلاوة عمارة	أستـــــاذ محـــاضر	مشرفـــا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية
عبد العزيز فيلالي	أستـــــاذ محـــاضر	عضــــوا مناقشا	جامعة منتوري قسنطينة

السنة الجامعية: 1431 ــ 1432هـ
2010 ــ 2011م

بسم الله الرحمان الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

سُبْحانكَ لاَ عِلمَ لَنَا إلاّ مَا عَلّمْتَنَا إِنّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكَيمُ

صدق الله العظيم

شكر وتقدير

أُقدم شكري الخالص وتقديري الكبير إلى الأستاذ المشرف
الدكتور علاّوة عمارة على جميل صبره، وجهده المبذول في متابعة هذا
العمـــل وتصويبـــه.

ثم أرفع شكري واحترامي إلى اللجنة العلمية الموقّرة على ما أبدوه
من توجيهات وتصويبات.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى جميع الزملاء الذين أعانوني
خلال فترة البحث.

دون أن ننسى التقدم بخالص الشكر إلى عمال مكتبة كلية العلوم الإنسانية
والعلوم الاجتماعية ومكتبة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية
لما قدموه لنا من خدمات.

الإهـــــــــــداء

الى كل السالكين والساهرين في طلب العلم والمحبين لأهله

الى الوالدين الكريمين حبا وعرفانا

إلى زوجتي العزيزة التي وقفت إلى جانبي وآزرتني

الى إخوتي الأعزاء الذين وفروا لي الهدوء والسكينة

لأقارب والأصدقاء والزملاءإلى كل

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

المقدمة

مقدمة

أخذ البحث في التاريخ ومجالاته عدة مقاربات إهتمت بها التيارات التاريخية المعاصرة التي ظهرت بأوربا وبالخصوص في ألمانيا، ففي البدايات الأولى استُعملت الكتب التاريخية كمصادر لدراسة الماضي، ثم إنتقلت لتتبع نشأة وتطور الفكرالتاريخي ضمن ما يُعرف بالكتابة التاريخية، حيث تَمّ تناول الإنتاج التاريخي العربي الإسلامي ضمن هذا الإطار. وكان للباحثين المستشرقين الدور الهام والسبّاق في هذا المجال، ومن أبرزهم كارل بروكلمان (Carl Brockelman)[1]، وجب هاملتون (Gib Hamilton)[2]، وكلود كاهن (Claude Cahen)[3]، وفرانز روزنتال (Franz Rozantal)[4]، وهناك باحثون آخرون كتبوا في التاريخ الإسلامي بالمغرب والأندلس نذكر منهم ليفي بروفنسال (Evariste Lévi Provençal) في بحثه "*Les Historiens des chorfa*"[5]، وبونر بوغس فرنسيسكو (Pens Boigues Francisco) في كتابه "تراجم للمؤرخين والجغرافيين الأندلسيين"[6]، ثم ظهرت بحوث عربية في التاريخ والمؤرخين العرب نخص بالذكر منها الدراسات التي قام بها أحمد أمين[7]، وعبد العزيز الدوري[8]، ومصطفى شاكر[9]، والسّيد عبد العزيز

---

[1]- ***Geschichte der Arabischen litteratur***, Leiden, E. J. Berlin, 1937.

[2]- نشر عدة بحوث تتعلق بالتاريخ الإسلامي، أهمها البحث الذي تناول فيه التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى في كتابه: "دراسات في حضارة الإسلام"، ترجمة إحسان عباس، ومحمد نجم، ومحمود زايد، بيروت، 1964.

[3]- قدّم دراسة يبحث فيها عن المصادر العربية التي تتعلق بتاريخ "سورية الشمالية في العصر الصليبي" ***La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté franque d'Antioche,*** Paris, 1940.

[4]- ***A History of Muslim Historiography,*** Leiden, 1952.
والترجمة العربية بعنوان: علم التاريخ عند المسلمين، قام بها صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بغداد، 1963.

[5]- Evariste Lévi Provençal: ***Les historiens des chorfa,*** Paris, 1922.

[6]- Pens Boigues Francisco: *Los historia dores y geografos arabigo-espanoles,* Amsterdam, 1942.

[7]- ضحى الإسلام، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1938.

[8]- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، 1983.

[9]- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

سالم[1]، وطريف الخالدي[2]، وعبد الله العروي[3]، وأسد رستم[4].

لكن الملاحظ على أن هذه الدّراسات معظمها كان منصبا بالبحث في الفكر التاريخي في المشرق الإسلامي باعتباره مركز ثقل دار الإسلام، بينما الدّراسات على الغرب الإسلامي لم تحظ بنفس الأهمية مقارنة بالأولى باستثناء بعض الكتابات الفرعية منها التي نشرها محمود إسماعيل بعنوان "الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي"[5]، إلى جانب مقالات أخرى له في العديد من المجلاّت تعالج مناهج ورؤى بعض المؤرخين الأندلسين[6]. هذا فضلا عن كتابات محمد المنوني[7]، وحسن حسني عبد الوهاب التي اهتمت بالكتابة التاريخية في المغرب الإسلامي. وفي السنوات الأخيرة قام عمارة[8] بانجاز سلسلة من المقالات تخص هذا الموضوع نُشرت باللغتين العربية، والفرنسية. علاوة كما نوقشت في الأشهر القليلة الماضية بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة رسالة ماجستير للطالبة آسيا ساحلي أشرف عليها علاوة عمارة بعنوان: "إنتاج وإنتقال المعارف التاريخية بالمغرب الأوسط".

بينما الأبحاث التي تناولت بلاد الأندلس، والتي هي موضع دراستي نذكر منها البحث الذي نشره حسين مؤنس تحت عنوان "تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس"[9]، والدراستين اللتين قام

---

[1]- التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

[2]- بحث في مفهوم التاريح ومنهجه، دار الطّليعة، بيروت، 1982.

[3]- Abdallah Laroui: ***Islam et histoire***, Paris, Albin Michel, 1990.

[4]- مصطلح التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1939.

[5]- منشورات الزمن، الرباط، 2001.

[6]- "ابن حزم ومدرسته جدل الفقه والتاريخ"، ندوة الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح، تقديم محمد مفتاح تنسيق وعبد الواحد أكمير، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات. ص 281- 300.

[7]- المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ا1983.

[8]- "الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، مجلة التاريخ العربي، 32، (2004)، ص 335- 380. وله أيضا "الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، مجلة التاريخ العربي، 25، (2003)، ص 111- 144. إضافة إلى مقال "ابن شدّاد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط، مجلة التاريخ العربي، 21، (2000)، ص 67- 96.

وباللغة الفرنسية تحت عنوان: ***" La transmission du savoir historique en Andalus et au Maghreb à la fin du Moyen Age"***, The Maghreb Reviw (London), 28 nos 2-3 (2003), p. 212- 248.

[9]- معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967.

بهما عبد الواحد دنون طه بعنوان "نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس"[1]، و"دراسات في التاريخ الأندلسي"[2]، وهناك رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية أعدّها يوسف أحمد يوسف بني ياسين بعنوان "الكتابة التاريخية في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، والتي نُشرت بعنوان "علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي"[3].

كما نجد بعض الدّراسات التي تناولت بعض المؤرخين الأندلسيين خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كدراسة عبد الحليم عويس حول "ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي"[4]، وأيضا الدراسة التي تقدّم بها ليث سعود جاسم لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان "ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ"[5].

ومن بين مراحل التاريخ الأندلسي الأكثر إنتاجا هي فترة القرن 5هـ/11م، التي شهدت فيها الأندلس حربا أهلية أدّت إلى ضعف الخلافة الأموية ثم سقوطها، وقيام العديد من الكيانات السياسية المتناحرة على أنقاضها. وقد اصطلح المؤرخون تراثيا على تسمية هذا العصر بعصر ملوك الطوائف أو الفرق، كما أطلقوا على مؤسّسي هذه الكيانات لقب زعماء الفتنة. لكن بالرغم من التمزق السياسي في هذا العصر، فقد كانت الحياة العلمية قوية ومزدهرة، ولهذا عدّ كثير من الكُتّاب القرن 5هـ/ 11م ــ العصر الذهبي بالنسبة للحياة العلمية ــ حيث بلغت الذروة والأوج وقتذاك في العديد من مجالات المعرفة. ومن بين هذه العلوم والمعارف، المعرفة التاريخية التي تعاظمت الكتابة في حقولها وخاصة تلك المتعلقة بأقاليم ومدن الأندلس بعد التفكك الذي عاشته، حيث أدى بالعديد من كتاب هذا العصر إلى تبيان فضائل الأندلس بنوع من الحنين إلى الخلافة الأموية التي ارتبطت في وجدانهم وذاكرتهم بوحدة الأندلس ومجدها، وهذا ما جعلهم يتعصبون لتاريخ بلدهم.

وفي هذا الإطار تأتي دراستي بعنوان "**المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي**".

---

[1] - دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

[2] - دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

[3] - مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، أرند، الأردن، 2002.

[4] - مؤسسة الزهراء للإعلام العربي، ط2، القاهرة، 1988.

[5] - دار الوفاء للطباعة والنشر و التوزيع، ط2، المنصورة، مصر، 1988.

والبحث في المعرفة التاريخية بالأندلس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يستدعي الوقوف على الإشكالية العامة حول إنتاج وإنتقال المعرفة التاريخية بكل فروعها. ثم الإجابة على الإشكاليات الجزئية لهذا الموضوع:

ــ ماهي العوامل التي أثرت وساهمت في تطور المعرفة التاريخية في الأندلس خلال هذا القرن؟

ــ ما هي أهم حقول المعرفة التاريخية التي طرقها الأندلسيون؟ ومن هم أبرز مؤلفيها؟ وما هي روافد و أصول معرفتهم التاريخية؟

ــ هل كان التاريخ في هذه الفترة يُدرّس مثل الحديث والفقه والأدب؟ كيف ذلك؟ وماهي أنواع الكتب التي كانت موضع الدراسة؟.

ــ ما المكانة التي كان يَشغلها التاريخ في هذه الفترة؟ وماهي الأوساط العلمية التي اهتمت به وتناقلته؟

وفي دراستي لهذا الموضوع المتعلق بالإنتاج التاريخي للقرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي استلزم البحث في مؤلفات الإخباريين لهذا القرن، إلى جانب كتب التراجم التي تتبعت حياة هؤلاء الإخباريين والمهتمين بالتاريخ، أما بالنسبة لحقول المعرفة التاريخية التي طرقها هؤلاء الإخباريين استقيتها من مؤلفاتهم وأيضا من خلال كتب الطبقات والتراجم. أما فيما يتعلق بإنتقال المعرفة التاريخية فقد كان لكتب الفهارس الدور الكبير في إبراز وتوضيح هذا الإنتقال والمجموعات التي إهتمت به.

وفي الواقع إن دراسة مثل هذا النوع من المواضيع التي تكتسي الطابع الفكري شيء عسير خصوصاً أنها تقدم حصاد ما وصلت إليه المعارف التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. لذلك يجد الباحث صعوبة كبيرة في الإلما م بكل النقاط التي تتعلق بهذا الموضوع لشساعته.

ولانجاز هذا الموضوع فإني عملت قدر الإمكان على الإلمام بمصادر البحث، والتي بها نحاول

الإجابة على الإشكاليات المطروحة، فاستخدمت كتب التراجم والفهارس[1] والتاريخ التي تفاوتت قيمتها وأهميتها من حيث المادة التي تحتويها.

تأتي في مقدمة المؤلفات التي أفاد منها البحث هي الكتب والمصنفات التي كانت معاصرة للفترة المدروسة باعتبارها نصوص أصلية للإخباريين، والتي تنوّعت بين كتب السير، والتراجم والتاريخ والأدب والمذكرات، وقد استفدت منها في ترتيب مادة البحث في الفصل الثاني الذي أبرزت فيه أهم المؤلفين والحقول التاريخية التي طرقوها، وهذا من خلال التعريف بهم ودراسة مؤلفاهم التاريخية من حيث محتواها، والمنهج الذي سلكوه فيها، ومواردهم التي استقوا منها معرفتهم التاريخية، ومن أهمها:

طبقات الأمم، لصاعد الطليطلي (ت 462هـ/1069م) كنموذج للتاريخ العالمي الإسلامي. المقتبس في اخبار بلد الاندلس لابن حيان (ت 469هـ/1071م) كنموذج للتاريخ الاقليمي والمحلي. الدرر في المغازي و السير لابن عبد البر (ت 463هـ/1070م) كنموذج لكتابة تاريخ السيرة النبوية . جذوة المقتبس في ولاة الاندلس للحميدي (ت 488هـ/1095م) الذي يمثل كتابةُ نموذجا لكتابة تاريخ الطبقات والتراجم. جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ت 456هـ/1063م) اخترته كنموذج لكتابة تاريخ علم الأنساب. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لابن خاقان الأشبيلي (ت 529هـ/1134م) كنموذج لكتابة تاريخ الأدب. كتاب التبيان للحادثة الكائنة بغرناطة لابن بلكين (ت 488هـ/1095م) كنموذج لكتابة المذكّرات الشخصية.

ومن الكتب والمؤلفات التي أفاد منها البحث أيضا هي كتب الطبقات والتراجم، نظرا لكونها تتضمن قدرا معتبرا من مادته، إذ أنها اهتمت بتتبُّع حياة هؤلاء الإخباريين والمهتمين بالتاريخ خلال الفترة المدروسة؛ حيث عرّفتني بكنيتهم ونسبهم وبلدانهم وشيوخهم وتلاميذهم ونشاطهم ورحلاتهم ومؤلفاتهم التاريخية بالأخص، ويمكن ترتيبهم من حيث الزمن والأهمية كالآتي:

---

[1] - الفهارس: جمع لكلمة فهرست وهي في الأصل فارسية قيل في تعريبها، فهرس (بكسر الفاء والراء): الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأساتذته وما يتعلق بذلك. أنظر عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات، المطبعة الجديدة، فاس، 1987، ج1، ص 40. وأنظر الدراسة التي قام بها عبد العزيز الأهواني، بعنوان "كتب برامج العلماء في الأندلس"، مجلة المخطوطات العربية، 1، (1955)، ص 91- 120.

- كتاب **"تاريخ علماء الأندلس"** لابن الفرضي (ت 403هـ/ 1012م)، الذي كان فقيها عالما في الحديث وعلم الرجال والأدب، كما أنه يعتبر عمدة أصحاب التراجم الأندلسية. تضمّن كتابه تراجما لعلماء الأندلس وفقهائه ورواته، وقد بلغ فيها درجة الإتقان والتحرّي في الأخبار والتواريخ إلى درجة أنه كان يقوم بزيارة المقابر لقراءة شواهد القبور للتأكد بنفسه[1]؛ أي أنه كان يعتمد على المقارنة والمشاهدة والملاحظة الشخصية، فضلا عمّا اطّلع عليه من كتب سابقيه الذين ذكرهم في مقدمة كتابه[2].

وقد استفدت منه في الفصل الأول من هذا البحث في الترجمة لبعض الإخباريين ونشاطهم العلمي في إدخال الكتب والمعارف التاريخية خلال القرنين 3 و4 الهجريين/ 9 و10 الميلاديين بعد عودتهم من رحلاتهم المشرقية، وأصبحت هذه المعارف محور البحث والدرس في تلك الفترة، وفي الفترات اللاحقة.

- **"جذوة المقتبس"** للحميدي (ت 488هـ/1095م) وقد صنّفه وهو ببغداد، ويتميز الكتاب بأنه أكثر تنوُّعاً في تراجمه حيث لم يقصره على أهل الحديث والفقه بل تعداه إلى تراجم أهل الأدب والشعر مُوردا في ثناياه الكثير من طرائف الأخبار ونوادر الأشعار. وتبرز شخصية الحميدي العلمية من خلال ما ضمّه ذلك الكتاب من المعلومات القيمة عن علماء الأندلس بالقرن 5هـ/11م الذي عاصر معظم أحداثه وبذلك يكون أحسن معبر في الحديث عن أعلامه وخاصة الشخصيات المهتمة بالمعارف التاريخية.

- **"الصلة"** لابن بشكوال (ت 578هـ/1182م) الذي كان من مشاهير علماء الأندلس، اقتبس مادة كتابه من الذين سبقوه في هذا المجال كالحميدي وغيره من الشيوخ الذين سمع منهم أو روى عنهم، وقد ركزّ ابن بشكوال في تراجمه على رجال الحديث والفقه والأخبار وغيرها، وصلهُ بما ضمنه ابن الفرضي في كتابه الذي انتهى فيه إلى قريب من سنة 403هـ/1012م) وهي السنة التي توفي فيها، فبدأ ابن بشكوال من حيث انتهى ابن الفرضي مضيفا في ذكر من أهملهم ابن

---

[1]- أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955، ص 271. وأنظر عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1999، ص 30.

[2]- ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس. تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتاب العلمية، بيروت 1997، ص 9- 10.

الفرضي في عصره ثم مضى يحصر من جاءوا بعد عصره إلى السنة التي انتهى إليها وهي سنة 534هـ/1139م، وقد استفدت منه في تراجم بعض الاخباريين لفترتي القرن 5هـ/11م وهذا بمعرفة مؤلفاتهم وأصنافها، وشيوخهم، وتلامذتهم.

- **"بغية الملتمس"** لـ الضبي (ت 599هـ/1202م) يُعدّ هذا الكتاب ذيلا على كتاب الحميدي (الجذوة)، حيث نقل منه الكثير من التراجم التي وصلت إلى ثمانمائة وخمسة وعشرين ترجمة، وأضاف إليها سبعمائة وخمسين، وتجاهل مائة وأربعون ترجمة لم يذكرها في كتابه ولا ندري السبب، ولَخّص خمسة عشر ترجمة، وأضاف إلى سبعة ترجمات منها روايات من عنده[1]. وتناول في هذه الترجمات رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذكر بلدانهم ووفياتهم، مرتبة على حروف المعجم، وقد تعمّد فيها الإختصار وترك التطويل. أفادتني بعض الترجمات الواردة في هذا الكتاب وخاصة التي لم نجدها في كتب التراجم الأخرى.

ومن كتب التراجم المهمة أيضا التي خدمت هذا البحث هو ما كتبه ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م) الذي يعد من أبرز علماء اللغة والتاريخ والأدب والقراءات في زمنه، ومنها:

- **"التكملة لكتاب الصلة،** وهو تكملة لصلة ابن بشكوال السالف الذكر، وهو عبارة عن تراجم لعلماء الأندلس وسيرهم ومصنفاتهم، كما تطرق فيه أيضا إلى الغرباء الذين وفدوا على الأندلس من المشرق والمغرب. وقد أمدني بمعلومات مهمة خاصة لما أورده من تراجم للعديد من شيوخ وتلاميذ مؤرخيي وإخباريي القرن 5هـ/11م.

- **الحلّة السيراء،** هو من أهم كتب التراجم التي صنفها ابن الأبار، وقد قسّمه إلى فترات زمنية بحسب القرون، يبدأ فيها من القرن 1هـ/7م إلى القرن 7هـ/13م. وقد تضمّن الكتاب تراجم لأهل الأدب والشعر من الأمراء، وغيرهم من أعلام الأدب والشعر في الأندلس والمغرب، وقد استفدت منه في تراجم لبعض العلماء المهتمين بالتاريخ.

وإلى جانب كتب التراجم الأندلسية المذكورة سلفا وغير المذكورة، استفدت أيضا من بعض كتب التراجم المشرقية نذكر منها **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"** لابن خلكان (ت 681هـ/1282م) الذي قدّم لي معلومات هامة عن الشخصيات المشرقية التي وفدت إلى

---

[1]- الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1997، مقدمة المحقق، ص 5.

الأندلس وكان لها دور في نشر المعرفة التاريخية، أو في ترجماتها لبعض العلماء الذين درس عليهم الأندلسيون في المشرق وبالأخص ممن كان لهم إهتمام بالتاريخ ورواية الأخبار.

كما كانت لكتب الفهارس أهمية كبيرة سمحت لي بتوضيح إشكالية تدريس التاريخ في القرن 5هـ/ 11م، حيث أمدتني بمعلومات هامة حول نوعية الكتب التاريخية المدرّسة، وتتبُّع سلسلة روّاتها، وطرق التحصيل المستعملة فيها، وأماكن ومؤسسات انتقالها. ويأتي في مقدمتها من حيث الأهمية - **كتاب "فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في دروب العلم وأنواع المعارف للأندلس** "لابن خير الاشبيلي (ت 575هـ/1174م)، الذي كان من بين علماء الأندلس الذين يتميزون بسعة المعرفة، له مؤلفات كثيرة وصفها ابن الأبار بالصحة والإتقان والضبط[1]، غير أن المصادر لم تذكر لنا سوى كتابين: كتاب الفهرسة وكتاب شرح صحيح مسلم ذكره الكتاني في كتابه فهرس الفهارس[2]. وابن خير في الفهرسة يصف التعليم في الفضاء الأندلسي في القرن 6هـ/ 12م، حيث يورد الروايات التي ترجع إلى القرن 5هـ/ 11م، كما أنه تناول في فهرسته الحديث عن شيوخه وشيوخ شيوخه الذين عاشوا في القرن الذي ندرسه، والكتب والمعارف التي تناقلت بينهم وتدارسوها وخاصة التاريخية منها.

أمّا المصنفين الآخرين؛ هما **"فهرس ابن عطية"** المحاربي (ت 541هـ/1155م)، وفهرست شيوخ القاضي عياض (ت 544هـ/1155م) المسمّى "الغُنية"، فالأول هو أحد القضاة المشهورين بغرناطة، كان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث، وأيضا في اللغة والأدب[3].

أما الثاني كان عالما في الحديث إلى جانب اللغة والأدب والتاريخ والأنساب وصنف فيها الكثير من الكتب، والذي يهمُّنا هو كتابه "الغُنية" الذي خصّصه للحديث عن شيوخه. وتكمن أهمية هذين

---

[1]- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1955، ج2، ص 50.

[2]- عبد الحي الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص 75.

[3]- أنظر ترجمته عند الضبي: المصدر السابق، ص 339- 340، ابن سعيد: : رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان القاضي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1973، ص 85، ابن فرحون: الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 1976. ج2، ص 57، ابن الأبار: معجم أصحاب أبي علي الصدفي، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص 259، المقري: المصدر السابق، ج3، ص 526.

الفهرسين بحكم أن مُؤلفيّهما عاشا بين القرنين 5 و6 الهجريين/11 و12 الميلاديين، وبذلك يكونان أحسن ممثلان لوصف الفضاء الثقافي في القرن 5هـ/ 11م الذي نحن بصدد دراسته.

وإلى جانب هذه الفهارس استفدت أيضا من **المعجم لأصحاب الصدفي** لابن الأبار الذي قدّم معلومات وافية عن حياة من يُترجَم لهم على حروف المعجم، وخاصة فيما يتعلق بتلاميذ ابن عبد البر كأبي علي الغساني وأبي محمد بن عتاب وغيرهما.

لكن هذه الفهارس لم تكف وحدها لتغطية الجو التعليمي خلال القرن 5هـ/ 11م والمتعلق بانتقال المعرفة التاريخية وإنما يجب تكملتهما بالرجوع إلى فهارس أخرى وشهادات معاصرة للفترة.

وإلى جانب هذه الأنواع من المؤلفات هناك كتب تاريخ الأدب (الأنتولوجيات)، والتاريخ العام التي إعتمدتها في هذا البحث ومن أهمها: - **"كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"** لابن بسام الشنتريني (ت 542هـ/1147م)، وقد ألفه ليُخلّد مآثر أهل الأندلس من أدباء وشعراء، واحتفظ لنا بالكثير من المعارف، والمعلومات في ذكر ملوك الطوائف الذي كان من شهودها في فتراتها الأخيرة حيث وصف الأجواء العلمية التي كانت ببلاطاتهم.

- **"المغرب في حُلى المغرب"** لابن سعيد (ت 685هـ/1286م)، وقد أفاد منه البحث فيما يختص ببعض التراجم كحديثه عن الحافظ ابن عبد البر النمري، والمؤرخ ابن حيان وما وقع له مع ابن جهور.

- **"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"** لابن عذاري المراكشي (ت بعد 712هـ/1312م)، استفدت منه في الجزء الثالث والمتعلق بالجانب السياسي والاجتماعي الذي خصّ به القرن 5هـ/11م والمتمثل في أحداث الفتنة القرطبية وتاريخ ملوك الطوائف وأحوالهم وسيرهم .

- **كتاب إعمال الأعلام**، لابن الخطيب السلماني (ت 776هـ/1374م) على الرغم من تأخره إلا أنّ كتابه جمع مادة تاريخية هامة عن عصر الطوائف لإعتماده على روايات متقدمة جمعها من سابقيه.

الفصل الأول

العوامل المؤثّرة في تطور المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

أولا: الإرث الثقافي للدولة الأموية

ثانيا: تنافس ملوك الطوائف على العلم والاهتمام بالعلماء

ثالثا: تراجع الرّقابة الفكرية للسلطة السياسية والدينية وازدياد مكانة العلم والعلماء

رابعا: المذهبية وأثرها في التأليف التاريخي

قبل التطرق لأهم العوامل التي أثرت في تطور المعرفة التاريخية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يُجدر بنا أن نلقي نظرة عامة على الأوضاع السياسية والثقافية لتكون لنا خلفية نستطيع من خلالها فهم هذا الفرع من المعرفة الذي عرف تطورا وازدهارا خلال هذا العصر.

بعد وفاة الحكم المستنصر سنة 366هـ/986م خلفه على عرش الأندلس الإسلامية ابنه هشام- الملقب بالمؤيد- وكان طفلا صغيرا في العاشرة من عمره[1]، فتسنى لمحمد بن أبي عامر، وهو الوصي عليه أن يصل إلى منصب الحجابة ويتحكم في السلطة بعد أن حجر على الخليفة الطفل، ويصبح هو الحاكم الحقيقي لبلاد الأندلس فتسمى بالحاجب المنصور وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء للخليفة[2].

وقد نجح ابن أبي عامر في السيطرة على مقاليد الأمور ورسم لنفسه خطة بارعة للقضاء على الخصوم والمنافسين، كما أعاد للأندلس الاسلامية هيبتها؛ إذ قام بست وخمسين غزوة ضد الممالك المسيحية بالشمال "لم تنكس له فيها راية ولا فل له جيش"[3]، ومن الناحية الثقافية كان بلاطه في المدينة الزاهرة ملتقى للكثير من العلماء وشعراء المديح الذين أرخوا لحكمه[4]، ثم خلفه ابنه عبد الملك المظفر (392- 399هـ/ 1002-1009م)، فسار في الحجابة سيرة أبيه بصفة عامة[5].

ولما مات المظفر خلفه أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول[6]، وكان دون أبيه وأخيه كفاية؛ حيث طمع فيما بقي للخليفة الأموي من السلطة الروحية. هذا الأمر الخطير ترك الأمويين يثورون ضدّه ويقتلونه بعد أن ولوا أمرهم رجلا من أحفاد الناصر وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن

---

[1]- الضبي: المصدر السابق، ص.24.

[2] - المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988، مج1، ص 397.

[3]- المصدر نفسه: مج1، ص 398.

[4]- ك. بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ترجمة نايف أبو كرم، منشورات علاء الدين، دمشق، 1999، ص 84.

[5]- الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتب العلمية، بيروت 1997، ص 21، 70.

[6]- عن هذه الكُنية أنظر ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج، س، كولان، وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج3، ص 38.

عبد الرحمن الناصر ولقبوه بالمهدي بالله[1] فأساء للبربر[2]، وبسبب هذه السياسة اشتعلت حرب أهلية بقـــرطبة دامت ثلاثـــة وعشرين عـــاما (399-422 هـــ/ 1009-1031م) تصارعت فيها العناصر المختلفة في المجتمع الأندلسي كالبربـــر والصقالبة وأهل قرطبة، وخربت فيها مدن عـــامرة كالزهراء والزاهرة واستعان بعضهم بالنصارى على بعض[3]، فمرت على قرطبة ســـنوات داميـــة؛ عطلت فيها بعض المساجد وهدمت فيها دور العلم التي أنشأها المستنصر، وقتل عـــدد كـــبير مـــن مدرسيها، وبيعت كتبه التي جمعها بأبخس الأثمان[4]. وراح ضحيتها الكثير من العلماء[5]، وترك أكثـــرهم قرطبة إلى مدن الأندلس الأخرى[6]، ومنهم من خرج إلى أقطار إسلامية أخرى كمصر وغيرهـــا[7]، والذي لم يغادرها لزم الصمت خوفا من الفتنة أو أصابته نوبة من الاكتئاب من هول ما جرى كما حدث للمؤرخ ابن حيان (ت 469 هـــ/ 1076م) الذي منعته تلك الأحداث من متابعة مجريات

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 22.

[2]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 75- 78.

[3]- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت،(د.ت) ص 254. وأنظر رينهارت دوزي: اسبانيا الإسلامية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994،ج2، ص 129 وما بعدها.

[4]- صاعد الطليطلي : طبقات الأمم، تحقيق حياة علوان، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1985، ص 164.

[5]- من الذين قتلهم البربر عند دخولهم قرطبة سنة 403هـــ/ 1013م :

– أبو الوليد، عبد الله بن محمد بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي، مؤرخ، حافظ، أديب، قتله البربر في داره سنة 403هـــ/1013م، الحميدي: المصدر السابق، ص 223، الضبي: المصدر السابق، ص 290. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968، ج3، ص 105. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة التراث العربي، دار الأفاق الجديدة بيروت، (د.ت)، ج3، ص 186.

- محمد بن قاسم الجالطي خطيب جامع الزهراء، قتله البربر ببيته في شوال سنة 403 هـــ/1013م، الضبي: المصدر السابق، ص 107.

- عبد الله بن محمد الثقفي السوسي من الوافدين على الأندلس وكان واحد عصره في صناعة الطب، والبصر بعلوم الحكمة. ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص 302. وغيرهم كثير ممن قتلهم البربر.

- أما الذين قتلهم العامة من أهل قرطبة: أمثال وسنار البرزالي الذي كان له أثار جميلة في الجهاد، ومسلم بن عبد الله الحسيني، نُهبت بيوتهم وهُتكت أعراضهم، بل قُتل الكثير ممن قدم للرباط في ثغور الأندلس من أهل المغرب وفاس، والشام، قُتلوا على أنهم بربر. ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 81.

[6]- ممن خرج إلى مدن الأندلس الأخرى ابن عبد البر، وابن حزم وغيرهما من العلماء، ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 45، 47، 53.

[7]- المصدر نفسه، مج1، ص 45، مج2، ص 288 .

هذه الصراعات لكنه بعد وقت غير طويل أمسك بالقلم ثانية ليكتب- نزولا على الأمر الواقـــع- تاريخ تلك الوقائع: "وأنسأتني المدة إلى أن لحقت بيدي منبعث هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمـــة المفرقة للجماعة الهادمة للمملكة المؤثرة المغربة الشأو على جميع ما مضى من الفـــتن الإســـلامية ففاضت أهوالها تعاظما أولهني عن تقييدها، و أوهمني أن لا مخلص منها فعطلت التاريخ إلى أن خلا صدر منها"[1]. وهكذا عاشت الأندلس الإسلامية في الفوضى وعدم الاستقرار، حيث تولى الحكم في هذه الفترة عشرة حكام، منهم أربعة تولوا الحكم مرتين وبعض هؤلاء الحكام مـــن الأمـــويين[2]، وبعضهم من بني حمود[3]، وكان كلما تسمى أحد بالخلافة فيكون مـــصيره القتـــل، أو العـــزل أو السجن.

ولما بلغت هذه الاضطرابات أوجها وعمت الفوضى جميع جوانب الحياة في قرطبـــة فلـــم تتحمل المكونات الاجتماعية ذلك فهتفت بإسقاط الخلافة عن الأمويين وتم ذلك سنة 422هـــ/ 1031م، وإخراج من تبقى من بني أمية في قرطبة[4]، وفي ذلك يقول ابن عذاري: "ونـــودي في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية، ولا يكنفهم أحد"[5] ثم أعلن الوزير أبو الحزم محمد بن جهور انتهاء رسم الخلافة لعدم وجود من يصلح لها، وأسند الأمر إليه باعتبـــاره شـــيخ الجماعة وبقية الأشراف من بيت الوزارة[6]، "فلما اتصل الخبر بأمراء البلاد ثار كل منهم في بلده بمـــن عنده من الأجناد"[7]، وتفتت الأندلس بين عائلات عسكرية متنازعة، وأستقل كل أميـــــر بناحيتـــه، وتسمى كل واحد منهم بما يحلو له من ألقاب الخلافة.

---

[1]- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجريرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1975، مج1، ق1، ص 576 .

[2]- وهم: محمد الثاني بن هشام، وسليمان بن الحكم، وهشام الثاني وعبد الرحمن الرابع، وعبد الرحمن الخامس بن هشام، ومحمد الثالث بن عبد الرحمن، وهشام الثالث بن عبد الرحمن. أنظر القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج5، ص 245 ـــ 246.

[3]- وهم: علي الناصر بن حمود، القاسم المأمون بن حمود، ويحي بن علي بن حمود، المصدر نفسه، ج5 ، ص 246.

[4] - أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص 254. رينهارت دوزي: المرجع السابق، ج2، ص 223.

[5]- البيان المغرب، المصدر السابق، ج3، ص 152.

[6]- ابن الخطيب: إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام (الجزء الخاص بالأندلس)، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت 1956، ص 147 .

[7]- ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء (قطعة من الكتاب تتناول تاريخ الأندلس)، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1977، ص 67.

وهكذا دخلت الأندلس في عهد جديد عُرف أصحابه بملوك الطوائف أو عصر الفرق كما يسميه ابن الكردبوس[1]. منقسمة إلى أكثر من عشرين أسرة حاكمة منضوية تحت لـــواء ثلاثـــة تجمعات كبيرة يطمح كل منها في بسط سلطانه على الأندلس.

أوّلا: الأندلسيون

وهم الأسر العربية والبربرية والفارسية التي استقرّت في الأندلس منذ الفـــتح الإســـلامي، وانصهرت مع سكان البلاد الأصليين، وبمرور الزمن صاروا أندلسيين، بغض النظر عـــن أصـــلهم العربي أو المغربي أو الصقلبي أو الإسباني المسيحي الذي أسلم[2]، أو الذي بقي على ديانته يهوديا أو نصرانيا، ومن ممالكهم:

- بنو عباد اللخميون في اشبيلية[3] (414-484 هــ/1023-1091م)، ظـــل هـــذا الكيـــان الأسري يتوسع حتى أصبح من أكبر دول الطائف، إلى غاية استيلاء المرابطين عليها[4].

- بنو جهور أصحاب قرطبة[5] (421-462هــ/1030-1069م) وهم من الموالي، مؤسس هذا الكيان هو القاضي أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، وقـــد سقط بعد 40 سنة مـــن الحكـــم

---

[1]- ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص 78.

[2]- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص 255. ليث سعود جاسم: : المرجع السابق، ص 55، 56.

[3]- هم من العرب الذين كانوا قد استقروا بحمص عند الفتح عرب، جاء جدهم نعيم وابنه عطاف مع جند الشام بقيادة بلج بن بشر، سكنا باشبيلية، ويعود نسبهم إلى المناذرة ملوك الحيرة، ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 112، ابن عذاري: المصدر السابق، ج3 ص 195.

[4]- عن تاريخ دولتهم انظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج3 ص 193-215. وأنظر محمد عبد الله عنّان: المرجع السابق، ص 31 - 80. وأنظر رينهارت دوزي: المرجع السابق، ج3، ص 49 وما بعدها.

[5]- يذكر بعض المؤرخين ومنهم ابن عذاري أن الجهاورة من أصل فارسي، وأن جدهم بخت بن أبي عبدة كان مولى لعبد الملك بن مروان، وأن يوسف بن بخت هو الذي دخل الأندلس قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية، وكان أحد أكبر الموالي بقرطبة، انظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 185، 186.

في أيدي بني عباد[1].

- بنو هود في سرقسطة (429-503 هـ/ 1037-1111م) مؤسسها سليمان بن محمد بن هود الجذامي نسبة إلى قبيلة هود الجذامية[2].

- بنو صمادح في المرية، بنو رزين في السهلة، بنو القاسم في البونت، والعامريون ويمثلهم عبد العزيز بن أبي عامر في بلنسية[3]، وغيرهم.

ثانيا: البربر المتأخّرون

وهم المغاربة حديثو العهد بالأندلس، ولاسيما الذين استقروا بها أيام المنصور بن أبي عامر، ويضم إليهم بنو الأفطس- رغم اختلاف المؤرخين في نسبهم-[4]، وأما الآخرون فينسبون إلى صنهاجة وزناتة[5]، وبعد انهيار الخلافة الأموية أسست هذه القبائل دولا بالجزء الجنوبي للأندلس وأهم دولهم:

---

[1]- عن أخبار بني جهور، أنظر ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق2، 373- 377. وأنظر محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص 20-30.

[2]- عن تفاصيل أخبارهم أنظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 231-229. محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص 296-264.

George t. Beech: *The Brief Eminence and Dooned fall of Islamic Saragossa. A Great Center of Jewish and Arabic Learning in the Iberian Peninsula during the 11 th Century*, Saragossa, Instituto de Estudios Islamicos y del Oriente Proximo, 2008, p. 45-68.

[3]- عن أصل هذه الممالك وتاريخها، أنظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 167-175، 181-184، 215، 164-165. وأنظر ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 189- 192، 195، 205- 210.

[4]- اختلف المؤرخون في نسبهم لأنهم انتسبوا إلى قبيلة تجيب العربية وقد استبعد ابن حيان ذلك، وابن حزم لم ينسبهم إلى تجيب في الجمهرة ورجّح عنان أنهم بربر، ونسبهم سعود جاسم إلى مكناسة ترجيحا، أنظر ابن الخطيب: المصدرالسابق، ص 182، وأنظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، دار المعارف القاهرة، 1977، ص 477. وأنظر ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 59.

[5]- ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 58-59.

- بنو زيري في غرناطة ومالقة (403-486هـــ/1012-1090م)، ثم توسعت إمارتهم فضمت قبرة وجيان، مؤسسها زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي[1].

- بنو ذي النون في طليطلة (428-478 هـ/1036-1085م) مؤسّسها إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون، وفي سنة 478هـ/ 1085م احتلها الفونسو السادس ملك قشتالة.

- بنو الأفطس أصحاب بطليوس[2]، بنو حمود في الجزيرة الخضراء[3]، وبنو يفرن في رندة[4]، وغيرهم.

ثالثا: الصقالبة

وهم في الأصل كانوا رقيقا أو عبيدا من بين الشعوب السلافية الذين بيعوا إلى عرب الأندلس، ثم عمم هذا الاسم، وأصبح الأندلسيون يطلقونه على كل مواليهم الذين جلبوا من مختلف البلاد الأوروبية بما في ذلك شمال إسبانيا المسيحي[5]، وبعد سقوط الخلافة الأموية كوّنوا دويلات في شرق الأندلس تجمعها رابطة تحالف وتسمى بالدولة العامرية الصقلبية لأن أصحابها كانوا من مماليك المنصور بن أبي عامر وأبنائه[6]، وأهم أمرائهم:

ـــ مجاهد العامري وابنه في دانية (400-468هـ/ 1009- 1075م)، وفي سنة 468هـ انضمت إمارتهم إلى سرقسطة[7].

ـــ خيران العامري في المرية ومرسية (402-419 هـ/1012-1028م)[1].

---

[1]- راجع في أصل بني ذي النون ونشأتهم وتاريخهم ابن بسام: المصدر السابق، مج 1، ق 4، ص 142-169. وابن عذاري: المصدر السابق، ج3 ص 176-284. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 176-177.

[2]- عن تاريخ هذه الدولة، أنظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 235-240. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 180-185. محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص 81-93.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج3 ص 119-135، 143-145 في تفاصيل أخبارهم. وأنظر ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 132-.138. والمقري : المصدر السابق، مج1 ص 432-435.

[4]- عن تاريخهم: أنظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 270-273. والمقري: المصدر السابق، مج1 ص 432-435.

[5]- أنظر الدراسة التي قام بها محمد مواق عن الصقالبة: Mohamed Meouak: *Saqaliba, Euniques et eslaves à la conquête du pouvoir. Géographie et histoire des élites politiques "marginales" dans l'Espagne umayyade,* Helsinkci, Academia Sciencia Fennica, 2004, p. 18- 152.

[6] - أحمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص 257،256.

[7]- عن تاريخ هذه الدولة، أنظر ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق3، ص 22-23. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 195، وأنظر محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص215-221.

ـ مبارك ومظفر في بلنسية (407-412 هـ/1016-1021م)[2].

و لم تكن هذه القوى متعاونة فيما بينها أو ساعية لتحقيق مصلحة المسلمين، بل كانت المنافسات والأطماع الشخصية هي السمة السائدة فيما بينها، فتسابقوا إلى بسط نفوذهم وتوسيع أراضيهم على حساب بعضهم البعض بمختلف الوسائل، وقد صور ابن الخطيب هذه الحالة بقوله: "وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات والعشائر المتغايرات، فلم تتصل لهم في الله يد، ولا نشأ على التعاضد عزم، ولا توجه إلى الاستئثار قصد..."[3]، وهكذا كانت علاقاتهم قائمة على التحرز والحذر وإنفاق الأموال في بناء الحصون والمسارعة في الاستعانة بالممالك النصرانية في طلب الإمداد بالرجال والسلاح للحفاظ على سلطتهم مقابل رضاهم بدفع الجزية التي أصبحت مكسبا لا يكفي القوي الغالب[4].

وهكذا استغل ملوك النصارى تفرق ملوك الطوائف وفرضوا عليهم الشروط وساوموهم على أراضيهم، و أخذوا يتسابقون إلى الفوز بالحصون بمجرد تهديد هذا الفريق أو ذاك بأنهم سيحالفون عدوه إذا لم يتنازل لهم عن قائمة يضبطونها بالحصون والمدن المطلوبة[5]، وهكذا عملوا على إضعاف هذه الإمارات المتناحرة باستنزاف طاقاتها وثرواتها مما سهل الأمر لملك قشتالة الفونسو السادس من احتلال مدينة طليطلة عام 478 هـ/1075م[6].

وقد كان لسقوط طليطلة أثر عظيم في نفوس أهل المدن الأندلسية الأخرى، وهو الحادث الذي استغله المرابطون لإعلان الجهاد المنقذ من الزحف المسيحي، بعد أن عجز أمراء الطوائف في توحيد صفوفهم في هذه المواجهة، لأن الفونسو السادس بعد طليطلة هاجم مملكة بني عباد باشبيلية

---

[1] - ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 166-167.

[2]- أنظر ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق3، ص 14-22. وأنظر ابن عذاري: المصدر السابق ج3، ص 158-163. وأنظر ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 193. وأنظرمحمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص 215-221.

[3]- إعمال الأعلام، ص 224.

[4]- أنظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 238، 239. وأنظر إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط5، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت 1978، ص 14.

[5]- راجع خبر تسليم الحصون: ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 103. رينهارت دوزي: المرجع السابق، ج3، ص 126، 127.

[6]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 27. المقري: المصدر السابق، ج4، ص 354. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1972، ص 31.

وهي أكبر الممالك الإسلامية بالأندلس[1]، وسقوطها معناه سقوط غيرها بسرعة وأدرك المعتمد بن عباد ملكها الخطر الداهم فقرر الاستعانة بالمرابطين الذين لبوا النداء، وهزموا النصارى في معركة الزلاقة عام 479 هـ/1076م[2]. هذه المعركة التي أنقذت الأندلس الإسلامية من سقوط محقق، كما أنه في الوقت نفسه ثبتت أقدام المرابطين فيها، بعدما قام الأمير يوسف بن تاشفين بعزل ملوك الطوائف وإلغاء نظامهم، وبذلك أصبحت الأندلس الإسلامية والمغرب يكونـان دولـة واحـدة عاصمتها مراكش ابتداء من سنة 483هـ/1077م.

ولكن بالرغم من الانحطاط السياسي والضعف العسكري الذي مني به مسلمو الأنـدلس في هذا العصر فقد كانت الحياة العلمية قوية ومزدهرة؛ حيث انتشرت العلوم والمعارف في كل أرجاء الأندلس، و لم تبق قرطبة وحدها هي عاصمة العلم والثقافة، بل أصبحت هناك العديد من الحواضر أمثال: اشبيلية ودانية وبلنسية ومرسية وبطليوس وسرقسطة وطليطلة، وغيرها من المـدن مقـصدا للشعراء لنيل جوائز الأمراء، وتنمو فيها فنون الكتابة لحاجة الدولة إليها في المراسلات، وتزدهر فيها أنواع من العلوم بحسب جهود الأمير وميوله الثقافية[3]. ومن بين هذه العلوم والمعارف التي عرفـت تطورا وازدهارا المعرفة التاريخية؛ حيث مسها التطور موضـوعا ومنـهجا وأصـبحت الوثـائق والمشاهدات الميدانية للمؤرخين من أهم مصادر كتابة التاريخ، كما اتسعت موضوعاها متجـاوزة الجوانب السياسية والعسكرية إلى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعقائد، وهذا ناتج عن تعاظم التراكم المعرفي للقرون السابقة؛ بحيث أسهم كبار مؤرخيه أمثال ابن حيان وابن حـزم وتلميذيـه الحميدي وصاعد الطليطلي خصوصا في تطوير موضوعات علم التاريخ التقليديـة واسـتحداث موضوعات جديدة، كما مست رياح التطور الاتجاهات السنية المحافظـة بعـد انفتاحهـا علـى الاتجاهات المذهبية الأخرى كالشيعة والمعتزلة، وتأثير مدرسة ابن مسرة وفكر إخوان الصفا[4].

---

[1]- أنظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق نخبة من العلماء، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1967، ج11، ص 52. وأنظر ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 244، 245..

[2]- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1948، ص 308.

[3]- أنظر بالنثيا: المرجع السابق، ص 15، 16، 17. وأنظر علي بن محمد: النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس "مضامينه وأشكاله"، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص 94.

[4]- أنظر محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ص 17، 72.

ولكن السؤال المطروح الذي سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل هو ما هي العوامل الـــتي أثرت وأسهمت في تطور وازدهار المعرفة التاريخية خلال القرن5هـــ/11م؟

لقد أسهمت العديد من العوامل في تطور هذه الظاهرة إلا أن هذه العوامل لم تكن مقصورة الأثر على ميدان التاريخ وإنما كانت أعم وأشمل؛ حيث أثرت في جميع جوانب الحياة الثقافية، وأهم هذه العوامل:

أوّلا: الإرث الثقافي للدولة الأموية

عرفت مختلف فروع المعرفة في الأندلس خلال القرن 5هـ/11م تطورا بما فيها التاريخ ويرجع ذلك إلى التقليد الثقافي والفكري الموروث عن القرون الثلاثة السابقة[1]، ولاسيما في آخر عهد الخلافة وخلال فترتي حكم عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) وابنه الحكم المستنصر (350- 366 هـ/ 961-976م) اللذين بذلا جهدا كبيرا في تنشيط الحركة العلمية وتهيئة الأجواء المناسبة لها، ثم أكمل المسيرة بعدهما المنصور بن أبي عامر الذي نالت الحركة الثقافية في عهده الكثير من الاهتمام[2].

وقد تمخض عن هذه الجهود ازدهار كبير حتى أصبحت قرطبة في آخر عصر الدولة الأموية منارة للعلم يؤمها العلماء والطلاب وقد وصفها ابن بسام بقوله: "وكانت منتهى الغاية ومركز الراية... ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصور وفرسان النظم والنثر وبها أنشأت التأليفات الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة..."[3]. وقد تجلت هذه النهضة في العديد من الصور والمظاهر ومنها:

1- كثرة الرحلات العلمية بين الأندلس والمشرق

أخذت هذه الرحلات وُجهتين من وإلى الأندلس فالنسبة للوجهة الأولى نجد أن الأندلسيون قصدوا المشرق بأعداد كبيرة من أجل تحصيل العلوم والمعارف المختلفة[4]، وتحملوا في سبيل ذلك مشقة الرحلة وطول الغياب عن بلادهم؛ حيث كانت رحلاتهم تستغرق فترات طويلة

---

[1]- أمحمد بن عبود: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، ط2، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية تيطوان، المغرب، 1999، ص 131.

[2]- ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 7، 78.

[3]- ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق1، ص 33.

[4]- ذكر المقري في نفحه الذين هاجروا من الأندلس إلى المشرق منذ فتحها إلى عصره نحوا من 305 ترجمة. ج2، ص 5-704.

مـــن الزمن يقضونها في البحث والدرس[1]، وقد تتلمذوا على شيوخ كثيرين لا يمكن حـــصرهم؛ إذ كان هؤلاء الطلبة يقصدون كل من لديه قسط من العلم، حتى أن كتب التراجم تعتذر عن ذكرهم بأسمائهم بقولها "وجماعة سواهم كثير"[2]، بعد أن يعد طائفة كبيرة منهم.

وقد أدخل هؤلاء العلماء العائدون إلى الأندلس عددا كثيرا من المعارف سواء المـــسطور في الكتب، أو الذي جنوه عبر سنوات رحلاتهم، و لم تكن اهتماماتهم محصورة في مجال واحـــد، بـــل كانت متعددة، فقد عنوا بتاريخ المشرق، وبكتب التاريخ المشرقية التي دونـــت أحـــداث العـــالم الإسلامي وتتلمذوا على أيدي إخباريين كبار، فنجد أن محمد بن معاوية الأموي المعـــروف بـــابن الأحمر (ت 358هـــ/968م) سافر فسمع بمصر من يموت بن المزرع (ت 304هـــــ/916م). صاحب الأخبار ثم رجع إلى الأندلس ونشر أخباره هناك[3]، ورحل عيسى بن محمد بن عبد الرحمن (ت 402هــ/ 1011م) وكان غزير العلم معتنيا بالأخبار[4]، والقائمة طويلة ممن اعتنوا بالأخبـــار وجمعها، وإنما نحاول أن نذكر بعض الكتب التاريخية التي أدخلوها إلى الأنـــدلس وانتـــشرت بـــين المعنيين بالتاريخ والمهتمين به ومن هذه الكتب:

---

[1]- أقام محمد بن قاسم القرطبي (ت 327هــ/ 938م) في رحلته أربعة أعوام وأربعة أشهر وكان عالما في الفقه متقدما في علم الوثائق. ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 329.

- ودامت رحلة منذر بن سعيد البلوطي (ت 355هــ/965 م) أربعين شهرا، وكان عالما باختلاف العلماء، بصيرا بالجدل يميل إلى مذهب أهل الكلام. المصدر نفسه ص 404 . يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص 39.

- وبقي عبد الملك بن العاصي (ت 330 هــ/ 941م) بضعة عشر عاما. القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، نشر مكتبة الحياة بيروت 1965 ج4، ص 436.

- وأقام داود بن هذيل الطليطلي (ت 315هــ/ 965م) في رحلته اثني عشر عاما طالبا للعلم لم يشتغل فيها بغير الطلب. الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويسا آبيلاولويس مولينا المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1992، ص 88-89.

[2]- أنظر مثلا ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 57.

[3]- المصدر نفسه، ص 347-348. الحميدي: المصدر السابق، ص 79. الضبي: المصدر السابق، ص 109-110.

[4]- القاضي عياض: المصدر السابق، ج 2، ص 70. يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص 48 .

كتب السيرة

لقيت كتب السيرة من الطلاب الأندلسيين اهتماما كبيرا لذلك أدخلوها في وقت مبكـــر، وقد حفظ لنا ابن خير الإشبيلي (ت 575 هــ/1179م) في فهرسته من تلك الكتب :

- مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم- تأليف موسى بن عقبة (ت 141هـــــ/756م) رواها قاسم بن أصبع البياني (ت 340هــ/951م)[1].

- كتاب سيرة رسول الله – صلى الله عليــه وســـلم-لمحمــــد بـــن إســـحاق المطلـــبي[2] (ت 151هــ/768) رواه بالأندلس كل من إبراهيم بن حسين بن خالد (ت 249هــ/863م)[3]، وعبد الملك بن محمد بن خالد بن مرتنيل (ت 256هــ/869م)[(4)]، وعبد الملك بن هشام بـــن أيوب الحميري (ت 256هــ/ /869م)[5]، وأتى بعدهما محمد بن عبد الـــسلام الخـــشني (ت 286هــ/863م) وسمع من محمد بن عبد الرحيم البرقي (ت 249هــ/863م) كتاب ســـيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم- لمحمد بن إسحاق تهذيب عبد الملك بن هشام[6]، وقد شهد عبيد الله بن يحي الليثي (ت 298هــ/910م) مجلس محمد بن عبد الرحيم البرقي [7]، فـــسمع منـــه المشاهد[8]، ورحل عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بدرون (ت 310هــ/913م)، ولقي أحمـــد بن عبد الرحيم البرقي وسمع منه المشاهد، وكان أحمد البرقي قد ألف كتابا في "معرفة الـــصحابة وأنسابهم"، وكان من أئمة الأثر[9].

---

[1]- ابن خير: فهرسة ما رواه عـــن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني 1989 ج1، ص 284. وأنظر فؤاد سزكين: تاريخ التراث، ترجمة محمد فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل، نشر الهيئة العامة للكتاب القاهرة، 1978،ج1، ص 457-459.

[2]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 280

[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 15.

[4]- المصدر نفسه ، ص 175.

[5]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 177.

[6]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 222.

[7]- المصدر نفسه، ص 186. يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص49.

[8]- الخشني: المصدر السابق، ص 222.

[9]- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناءوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ج 13، ص 47-48.

- كتاب السير لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري (ت 185هـ/801م) رواه محمد بن وضاح بن يزيغ القرطبي (ت 287هـ/900م) عن عبد الملك بن حبيب المصري عن مؤلفه، ورواه أيضا قاسم بن أصبع البياني[1] وقد أثنى الشافعي على كتاب السير هذا فقال: "لم يصنف أحد في السير مثل أبي إسحاق"[2]. أما بقية الكتب الأخرى التي وردت في فهرسة ابن خير فنذكرها دون التطرق إلى رواتها بالأندلس ومنها:

- كتاب سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-لسليمان بن طرخان (ت 143 هـ/760م)[3].

- كتاب السير لسعيد بن يحي الأموي (ت 249هـ/863 م)[4].

- كتاب سيرة رسول الله ومغازيه لمحمد بن عمر الواقدي (ت 207هـ/821م)[5].

-كتاب المغازي لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211 هـ/826م)[6].

- تاريخ أبي بكر بن أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي (ت 279هـ/892م)[7].

- أعلام النبوة: لأبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ/888م)[8].

هذه أهم كتب السيرة التي دخلت الأندلس، وكانت متداولة في مجالس العلم يُحدث بها العلماء لتلامذتهم وكان أهل الأندلس يطلقون على المغازي لفظ "المشاهد" والعالم الذي يروي روايات السيرة ومؤلفاتها يوصف بأنه كان حافظا للمشاهد[9] أو بقولهم "حافظا للأخبار والمشاهد"[10] أو "روى عنه المشاهد"[11].

---

[1]- ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص 290. وأنظر فؤاد سزكين: المرجع السابق، ج 1، ص 469.

[2]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 280. يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص 49.

[3]- ابن خير: المصدر نفسه، ج1، ص 284-285. وأنظر فؤاد سزكين: المرجع السابق، ج1، ص 457.

[4]- ابن خير: المصدر نفسه، ج1، ص 291. فؤاد سزكين: المرجع نفسه، ج1، ص 468.

[5]- ابن خير: المصدر نفسه، ج1، ص 285. فؤاد سزكين: المرجع نفسه،ج1، ص 70، 275.

[6]- ابن خير: المصدر نفسه، ج1، ص 290. فؤاد سزكين: المرجع نفسه، ج1، ص 144

[7]- ابن خير: المصدر نفسه، ج1، ص 251-252. ابن عطية: المصدر السابق، ص 65.

[8]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 132. وأنظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ط11، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ج2، ص 591.

[9]- أنظر ترجمة محمد بن حبيب بن كسرى اليحصي (ت 327هـ/938م). ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 329.

[10]- أنظر ترجمة محمد بن أبان بن سيد بن أبان اللحمي (ت 354 هـ/965م). المصدر نفسه، ص 347.

[11]- أنظر ترجمة محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني (ت 286هـ/899م). المصدر نفسه، ص 304.

كتب التاريخ العام:

دخلت كتب التاريخ العام تباعا إلى الأندلس على أيدي طلابها الذين رحلــوا إلى المــشرق ومنها:

- كتاب التاريخ لخليفة بن خياط العصفري (ت 240هــ/845م) في عشرة أجــزاء، انفــرد بإدخاله إلى الأندلس بقي بن مخلد (ت 276هــ/889 م) ثم رواه عنه عبد الله بن يونس القــبري (ت 330هــ/941م) وغيره[1].

- كتاب التاريخ لأبي بكر بن محمد بن علي بن مروان البغدادي وهو في ستة أجزاء رواه أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي (ت 350هــ/961م)[2].

- كتاب التاريخ لأبي زرعة عبد الرحمن بــن صفوان الدمشقي (ت 281هــ/894م) في خمسة أجزاء رُوي مــن قبل خلف بــن قاسم المعــروف بابن الدباغ (ت 393هــ / 1002م)[3].

- كُتب التاريخ لأحمد بن زهير بن أبي خيثمة (ت 279هــ/892م) رواها قاسم بن أصبع البياني (ت 340هــ/951م) الذي يعد من أشهر الأندلسيين الذين تلقوا العلم على ابن أبي خيثمة، وقد لاقت كتبه اهتماما كبيرا من الأندلسيين، وأقبل الناس على من أدخلها إلى الأندلس ولابن خيثمــة كتاب في التاريخ بلغت أجزاءه مئة مجلد[4].

- ولابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم (ت 276هــ/889م) العديد من الكتب منها كتاب المعارف، وعيون الأخبار، وطبقات الشعراء وغيرها [5]، رواها بالأندلس قاسم بن عبــد الواحــد البكري (ت 293هــ/905م) [6]. ومحمد بن زكريا اللخمي (ت 322هــ/933م)[1]، وقاسم بن نجية القرطبي [2].

---

[1]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 83. ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي بيروت، 1973، ص 264. ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 280-281.

[2]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 280.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص 280.

[4]- المصدر نفسه، ص 251-252، وأنظر الزركلي: الأعلام، ط09، دار العلم للملايين، بيروت، 1990،ج1، ص 128، وقال: "بلغني أنه مئة مجلد في خزانة القرويين".

[5]- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ج 10، ص 170. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 42-43.

[6]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 327.

- تاريخ الطبري لمحمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م) الموسوم بتاريخ الرسل والملوك أدخله إلى الأندلس سليمان بن محمد بن سليمان (ت 371هـ/981م)[3]، واعتنى يوسف بن محمد بن سليمان الهمداني (ت 383هـ/993م) بكتب الطبري[4].

سير الخلفاء، ومنها:

- كتاب الخلفاء للمدائني أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله[5].

- كتاب "سيرة عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه- وزهده" في خمسة أجزاء لأحمد بن إبراهيم الدروقي (ت 246هـ/860م) [6].

كتب أخرى تتعلق بأحداث وقعت بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم- كالردة، والفتوح والغزوات ببلاد الشام، والعراق وفارس ومصر والمغرب، ومن هذه الكتب كتاب الردة والفتوح لمحمد بن عمر الواقدي (ت 207هـ/823م)، كتاب "الدار" و"مقتل عثمان" لعمر بن شيبة النمري البصري (ت 262هـ/875م) في سبعة أجزاء[7]، وكتاب فتوح الشام لأبي إسماعيل محمد بن عبد الله الأسدي (ت بعد 190هـ/505م)[8]، وكتاب فتوح مصر وإفريقيا لابن عبد الحكم (ت 257هـ/871م)[9]، كما يذكر ابن خير كتابين كان مخصصين للحروب (الفتن) والجهاد

---

[1]- المصدر نفسه، ص 326-327.

[2]- المصدر نفسه، ص 282. يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص 53.

[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 158. الحميدي : المصدر السابق، ص 195. الضبي: المصدر السابق، ص 256-257.

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص 453-454. يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص 54.

[5]- أدخله إلى الأندلس يحي بن أصبع بن جليل (ت 305هـ/917م) وقد حدث عنه قاسم بن أصبع، وثابت بن حزم، وقاسم بن ثابت. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 437.

[6]- أدخله بقي بن مخلد إلى الأندلس. ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 83. ابن حيان: المصدر السابق، ص 264. ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص346.

[7]- حدّث به في الأندلس، أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر (ت 400هـ/1009م). أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 124.

[8]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 292.

[9]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

"كتاب الأزارقة" لمؤلف مجهول، وكتاب "فضل الجهاد" لعبد الله بن المبارك بن وديع المروزي (ت 181هـ/ 796م)[1].

التاريخ المحلي

اهتم الأندلسيون بتاريخ المدن والبلدان ومن الكتب التي أدخلوها بعد سماعهم إياها في المشرق.

- "فضائل مكة"[2] و"فضائل الكعبة لأبي الحسن محمد بن نافع الخزاعي"[3].
- "تاريخ مصر" لمؤلفه ابن الحسن أحمد بن أبي موسى بن يونس الصدفي المؤرخ المصري (ت 347هـ/958م)[4].
- كتاب أخبار مكة، أعزها الله وفضائلها لأبي الوليد محمد بن الوليد الأزرقي في ثلاثة عشر جزءا[5].
- كتاب أخبار بيت المقدس تأليف أبي العباس أحمد بن خلف بن محمد السبحي[6].
- كتاب أخبار المدينة لمؤلفه محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي[7].

كتب الأنساب: أدخل الأندلسيون كتب النسب واهتموا بكتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ/838م)[8]، وكذلك كتاب النسب للزبير بن بكار الأسدي (ت 256هـ/ 870م)[9].

---

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص 292 ـ 293.

[2]- رواه بالأندلس محمد بن خليفة البلوي (ت 392هـ/1001م). ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 377.

[3]- سمعه سعيد بن محمد بن سيد أبيه الأموي (ت 397هـ/1006م) من مؤلفه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1986، ج1، ص 483.

[4]- رحل محمد بن احمد بن يحي ابن مفرج القرطبي (ت 348هـ/959 م) إلى المشرق، ولما عاد إلى الأندلس كتب "تاريخ مصر" عن مؤلفه. أنظر المقري: المصدر السابق، مج2، ص 218.

[5]- أنظر ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 352-353.

[6]- المصدر نفسه، ج1، ص 353.

[7]- المصدر نفسه، ج1، 355.

[8]- المصدر نفسه، ج1، ص 293-294.

[9]- رواه بالأندلس زكريا بن خطاب بن حزم الكلبي (ت 337هـ/948م)، أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 127-128.

كتب التراجم

دخلت منها أعداد كبيرة إلى الأندلس على أيدي طلابها العائدون من المشرق ومن أوائلها:

- كتاب خليفة بن خياط العصفري (ت 240هـ/854م) في الطبقات على يد بقي بن مخلد (ت 276هـ/859م)[1] . ومن ثم تتابعت دخول كتب أخرى:

- كتاب المولد والوفاة لأبي بشر الدولابي (ت 310هـ/ 923م)[2].

- كتاب الكامل في معرفة الرجال لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت 365هـ/ 976م)[3].

- كتاب معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع القاضي البغدادي (ت 351هـ/ 963م)[4].

- كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت 322هـ/933م)[5].

- كتاب التجريح والتعديل لأصحاب الحديث في ثلاثة أجزاء لأبي محمد بن الجارود[6].

- كتاب الأسماء والكنى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ/915م)[7].

- كتاب التاريخ المبسوط في ثلاثين جزءا لأبي عبد الله بن إسماعيل البخاري[8].

- كتاب الضعفاء والمنسوبين إلى البدعة من المحدثين والعلل لأبي يحي زكريا بن يحي الساجي الفقيه البصري (ت 307هـ/919م)[9].

- كتاب الأسماء والكنى لأبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود (ت 307هـ/919م)[10].

---

[1]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 83. ابن حيان: المصدر السابق، ص 264، ابن عطية: المصدر السابق، ص 66-67. ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 275.

[2]- أنظر ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 254.

[3]- ابن خير المصدر السابق، ص 254.

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص 263.

[5]- أدخله إلى الأندلس يحي بن محمد بن يوسف الأشعري (ت 390هـ/999م) ، ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 445، ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 256 ــ 257.

[6]- رواه الحسن بن عبد الله الزبيدي (ت 318هـ/930م). المصدر نفسه، ج1، ص 258.

[7]- سمعه وقام بتبويبه أبو عبد الله محمد بن احمد بن مفرح القاضي، المصدر نفسه، ج1، ص 261.

[8]- سمعه ونقله إلى الأندلس محمد بن أحمد بن يحي بن مفرج القاضي (ت 380هـ/990م)، المصدر نفسه ج1، ص 250.

[9]- رواه محمد بن أحمد بن يحي بن مفرح القاضي عن إسحاق بن محمد بن حمدان الشتري عن مؤلفه. المصدر نفسه،ج1، ص 257.

[10]- المصدر نفسه، ج1، ص 261.

- تاريخ طبقات أهل العلم ومن نسب منهم إلى مذهب سليمان بن داوود الشاذاكوني (ت 230هـ/ /844م)[1].

- كتاب الضعفاء والمتروكين للبخاري محمد بن إسماعيل[2].

- كتاب الحروف في أسماء الصحابة لسعيد بن عثمان بن السكر البغدادي (ت 353هـ/964م)[3].

- كتاب فضائل التابعين – رضي الله عنهم- لسعيد بن أشد بن موسى[4].

كما كان للوجه الثاني من الرحلة والتي كانت من المشرق إلى الأندلس إسهاماتها في نقل المعرفة المشرقية وبثها في الأندلس بواسطة علماء مشهورين في مختلف المعارف بما فيها التاريخ، فقد دخلها جماعة ممن لهم اهتمام بالأخبار، فكان محمد بن الحسين التميمي قد دخل الأندلس سنة (331هـ/942م) حافظا للأخبار عالما بالأنساب[5]، وقد رحل أحمد بن الفضل بن العباس البهراني الدينوري للأندلس سنة (341هـ/952م)، بعد أن لقي محمد بن جرير الطبري وخدمه وتحقق به وسمع منه مصنفاته وأدخلها معه[6] ودخل الأندلس أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني، وله تآليف: منها "لقيط المرجان" وهو أكبر من عيون الأخبار[7] وحدّث إبراهيم بن بكر الموصلي بعد قدومه للأندلس واستقراره بمدينة اشبيلية بكتاب "الضعفاء والمتروكين" لأبي الفتح محمد بن الحسين بن أحمد الأزدي الموصلي[8]، وكان وثيمة بن موسى بن الفرات – من فارس- خرج إلى مصر ومنها

---

[1]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 258.

[2]- أدخله ورواه أبو قاسم خلف بن قاسم بن سهل (ت 939هـ/1002م)، المصدر نفسه، ج1، ص 252-253.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص 263.

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص 342.

[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 387.

[6]- المصدر نفسه ص 61، الحميدي: المصدر السابق، ص 223-224، الضبي: المصدر السابق، ص 469. يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص 60، 61.

[7]- المقري: المصدر السابق، مج3، ص 134.

[8]- الحميدي: المصدر السابق، ص 134. الضبي: المصدر السابق، ص 183.

إلى الأندلس وصنف كتابا في "أخبار الردة" ثم عاد من الأندلس إلى مصر وتوفي بها سنة 237هـ/851م[1].

ومن أهم الذين رحلوا إلى الأندلس أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم العالم اللغوي الذي أثرى الحياة اللغوية بالأندلس وصلها من العراق سنة 330هـ/941م أيام الناصر وتلقاه ابنه الحكم بالحفاوة والإكرام[2]، فألف العديد من الكتب تدور في محور اللغة، بينما ما يتعلق بالتاريخ فقد جلب معه كتب تتعلق بالأخبار التاريخية وقد أورد ابن خير مجموعة من هذه الكتب[3]، ومعظمها تعني بأخبار اللغويين والنحويين المشارقة. وقدم بعده إلى الأندلس صاعد بن حسين البغدادي أيام المنصور بن أبي عامر، وكان صاعد عالمابااللغة والآداب والأخبار[4]، فنال حُظوة كبيرة من المنصور حيث أكرمه، وأغدق عليه أموالا جمة[5]، بعد أن ألف له كتاب "الفصوص" في الآداب والأشعار والأخبار[6]، وكان صاعد يتهم من أهل العلم بالأندلس بوضع الأخبار، وقد أثبت المنصور ذلك بعد امتحانه ولكنه عفى عنه[7].

2- العناية بالكتب والمكتبات :

يتصدرها إسهام حكام الدولة الأموية في تشجيعهم لحركة التأليف في شتى ميادين العلوم وخاصة في عهد الخلافة حيث أخذت الأوساط الحاكمة تولى أهمية كبرى للمعارف التاريخية وتعلي

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 328، 422. يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص 61.

[2]- الحميدي: المصدر السابق، ص 145-146. الضبي: المصدر السابق، ص 19-198، المقري: المصدر السابق، ج3، ص 73.

[3]- أنظر ابن خير: المصدر السابق، ج2، ص 513-516. وأنظر يوسف أحمد يوسف بني ياسين: المرجع السابق، ص 62، 63.

[4]- الحميدي : المصدر السابق، ص 211. وأنظر القفطي: أنباء الرواة على أنباء النحاة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1950- 1955، ج2، ص85. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد الرفاعي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1936، ج11، ص 281.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963، ص 31. ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق4، ص 15. ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص489. المقري: المصدر السابق، مج3، ص 76.

[6]- ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق4، ص 15. ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص489. المقري: المصدر السابق، مج3، ص 76.

[7]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 240.

من شأنها وتشجع تأليف الكتب التاريخية، فقام الحكم المستنصر منذ فترة حكم أبيه (الناصر) بـــدور المنظم في تدوين تاريخ البلاد، وبمبادرة منه قامت حملة لجمع الوثائق المتعلقة بتاريخ الأندلس، واتخذت إجراءات لتدوينها[1]، قام بها مجموعة من المؤرخين الذين لقبوا بالتاريخيين، وكانوا من حيث وضـــعهم الاجتماعي من الموظفين المرتبطين بجهاز الإدارة والمقربين من القصر، وكانت مهمتهم الدفاع عـــن سلالة الأمويين في الأندلس وحماية الوحدة السياسية للبلاد، وقد تمركزت رواياتهم حول شخـــصية الخليفـــة والحكام الوجهاء، وكان أحمد بن محمد الرازي (ت 324هـــ/935م) أبـــرز المـــؤرخين خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي؛ حيث أسهمت مؤلفاته في ارتقاء علم التاريخ إلى مرحلة النضوج إذ أضفى على الأندلس هوية إقليمية من خلال جملـــة مـــن مؤلفاتـــه في التاريخ والجغرافية الأندلسية، وهي الكتب التي سوف تفتح الأفق واسعا للمؤلفين الأندلسيين الـــذين جاءوا بعده[2]؛ فقد ذكر ابن حزم أن الرازي ألف كتابا في أخبار الأندلس وآخر في "صـــفة قرطبـــة" يتحدث فيه عن خطط المدينة ومنازل عظمائها، كما أنه كتب أيضا موسوعة ضخمة على أنـــساب العرب في الأندلس بعنوان "كتاب الاستيعاب في مشاهير أهل الأندلس" الذي يحتوي علـــى خمـــسة مجلدات كبيرة. وللرازي أيضا كتاب ضخم عن طرق الأندلس، وموانئها ومدنها الرئيسية، وتجمعات جندها وهو الكتاب المسمى بـــ "مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة"[3]. ويضيف ابن الأبار أنّ للرازي كتابا آخر يتكلم فيه عن موالي الأندلس المـــشاهير بعنـــوان "أعيـــان الموالي"[4].

وإلى جانب أحمد الرازي نجد معاصره "الإخباري" معاوية بن هشام الشمبيصي (النـــصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)؛ حيث ألف كتابا بعنوان "تاريخ في دولـــة بـــني مروان بالأندلس" وقد عوّل ابن حيان كثيرا عليه في ما نقل من أخبارهم[5]. ومن بـــين المـــؤرخين البارزين في القصر عيسى الرازي (ت 379هـــ/988م) وعريب بن سعد (ت369هـــ/ 979م)

---

[1]- ك.بويكا: المرجع السابق، ص 79.

[2]- علاوة عمارة: الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي، ص 338.

[3]- المقري: المصدر السابق (رسالة في فضل الأندلس لابن حزم)، مج3، ص 173-174. وأنظر الحميدي: المصدر السابق، ص 72.

[4]- الضبي: المصدر السابق، ص 130. كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، 1969، ج3، ص 87.

[5]- ابن الأبار: التكملة، ج2، ص183. و أنظر أيضا Pens Boigues Francisco: *op. cit.* p. 63.

فعيسى الرازي تابع مهمة والده وألف للخليفة الحكم المستنصر كتابا "في تاريـــخ الأندلس"[1] ، أما عريب بن سعد فقد ألف مختصرا لتاريخ الطبري وأضاف له الأخبار التي تتعلق بالمغرب والأنـــدلس التي لم يتم ذكرها في أصل الكتاب[2] .

كما تواصلت في عهد الحكم الثاني أعمال الترجمة، فترجمت أمهات كتب اليونان الفلسفية، وحظيت أعمال سقراط وأفلاطون بتقدير خاص، وخصص مكتبا لترجمة أعمال أرسطو وإقليدس، واهتم كذلك بعلوم الأرض والنبات والطب[3]، أما المؤلفات التاريخية التي ترجمت إلى العربية فمنها:

- كتاب التاريخ لِهُروشيش[4] (عاش بين القرنين 4 و5 للميلاد) – Historia Adversus Paganos

- كتـــاب لـــسان أزيـــدور الإشـــبيلي – Paulu ST. Isidore de Seville -(636-750م)[5] "Etymologiae"، يتناول فيه تاريخ القوط والوندال[6].

هذان الكتابان وغيرهما من المؤلفات وسعت معارف المسلمين بشكل عام حول شعوب أوربا والعالم القديم وجغرافية الأرض وبشكل خاص عن شبه الجزيرة الأيبيرية[7]، وكتاب هيروشيش أو كما يسمونه باولوس أوروسيوس (Paulus Horosius) الذي تناول فيه صاحبه تاريخ الإنسانية منذ آدم عليه السلام حتى سنة 416م يعدّ أحد الكتب الأولى المترجمة إلى العربية في منتصف القرن

---

[1]- ابن الأبار: التكملة، ج4، ص 3. ك بويكا: المرجع السابق، ص 80.

[2]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 206.

[3]- S.M Imamuddin: *A Political History of Muslim Spain*, Najmah Dacca, 1963. p.183

[4]- هو مؤرخ اسباني عاش بين القرنين الرابع والخامس للميلاد وكتابه المؤلف باللاتينية ***Historiea Adversus Paganos*** كان من ضمن الهدايا التي أرسلها ملك القسطنطينية أرمانيوس Romanos سنة 337هـ/ 948 م إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر الذي أمر بترجمته إلى العربية،.أنظر ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة 1955، مقدمة المحقق، ص ك، كط.

[5]- كان سان أزيدور من كبار العلماء في العصور الوسطى، ولد سنة 605م و أصبح أسقفا لمدينة اشبيلية و ظلّ في هذا المنصب حتى وفاته سنة 636م، إضافة إلى كتابه الآنف الذكر كان له مؤلفات أخرى منها الحولية الكبيرة ***Chronica maiora*** وهي حولية عالمية تبدأ بخلق العالم وتنتهي بسنة 615 م، أنظر عبد الواحد نون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، هامش ص 170.

[6]- تكلّم العذري عن هذا المؤلف وذكره باسم أشيدر، ووصفه بأنه كان عالما بعلم الكتاب، وقد جعله من مصادره التي إعتمدها في كتابه ترصيع الأخبار. أنظر العذري: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك (نصوص عن الأندلس من هذا الكتاب)، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، 1986. ص 40.

[7]- ك بويكا: المرجع السابق، ص 80.

الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ويعتقد بعض الباحثين استنادا إلى نصين وردا في "كتاب العبر" لابن خلدون، أن قاسما بن أصبغ قد قام بالاشتراك مع الوليد بن الخيزران، قاضي النصارى في قرطبة، بترجمة هذا الكتاب للحكم المستنصر حينما كان وليا للعهد[1]، ويرى حسين مؤنس أن أحمد الرازي استفاد من هذه الترجمة في وضع مقدمة جغرافية لمؤلفه الثاني كما فعل هيروشيش، ومن بعده سار الكثير من مؤرخي الأندلس على هذه القاعدة حيث كانوا يبدأون مؤلفاتهم التاريخية بالوصف الجغرافي أي وصف الميدان قبل ذكر الوقائع، فأصبحوا جغرافيين ومؤرخين في آن واحد[2].

وبصفة عامة فالمؤلفات التاريخية في فترة الحكام الأمويين تناولت الأحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية للأندلس، ومواضيع تتعلق بالتراجم والأنساب. ومن أبرز أعلامها في هذه الفترة أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت 367هـ/977م) ألّف كتابا في "تاريخ افتتاح الأندلس[3]"، وتتميز رواياته بالميل إلى العنصر المحلي، كما أن كتابه إلى جانب تناوله للأخبار السياسية والوقائع الفكرية فإنه تعرض لموضوعات اقتصادية واجتماعية عالج فيها موضوع ملكية الأرض، وأشكال الحيازة وتطورها، إلى جانب تطرقه إلى مواضيع اجتماعية تخص الهجرات العربية إلى الأندلس[4]. والشيء نفسه يقال عن كتاب "في ذكر فتح الأندلس" لمؤرخ مجهول عالج فيه تاريخ الأندلس حتى نهاية حُكم الخليفة الناصر 350هـ/961م، وهو يتضمن معلومات هامة عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وفي عهد الحجابة العامرية صنفت كتابات من طرف مؤرخين كانوا مقربين من البلاط تناولوا فيها تاريخ الدولة وحجابها ومن أبرزهم عبد الرحمن بن محمد بن معمر (ت 423هـ/1057م) صاحب كتاب "الدولة العامرية"[5] وحسين بن عاصم (ت 449هـ/1057م) مُصنف كتاب "المآثر العامرية" تناول فيه سيرة المنصور بن أبي عامر وغزواته وأوقاتها[6].

---

[1]- ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1956-1961، ج2، ص 169، 402.

[2]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 54-55.

[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 355.

[4]- محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ص 75، 76.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 271. و أنظر علاوة عمارة: الكتابة التاريخية، ص 339.

[6]- المصدر نفسه، ج1، ص 129.

وفي مجال الأنساب ألف عبد الله بن عبيد الله الأزدي المعروف بعبد الله بـــن الحكـــيم (ت 341هــ/1072م) كتابا في الأنساب عنوانه "أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم" أهداه للخليفة عبد الرحمن الناصر[1] ،كما اشتهر الحكم المستنصر بالله بأنه ألف شخـــصيا في هـــذا الحقل المهم من حقول المعرفة التاريخية وهذا ما ذكره ابن حزم وأشار إلى أنه نقـــل الكـــثير مـــن الأنساب من خط الحكم المستنصر[2].

أما في مجال كتابة تاريخ التراجم والطبقات فقد برز فيها ابـــن الفرضـــي (ت 403هـــــ/ 1012م) الذي يعدّ شيخ أصحاب التراجم الأندلسية ومقرر هذا الفن دون منازع لـــه مؤلفـــات كثيرة ضاعت و لم يبق من مصنفاته إلا كتابه: "تاريخ علماء الأندلس" الذي يتـــضمن في طياتـــه تراجم علماء الأندلس وفقهائه ورواته إلى عصره [3]. وفي هذا المجال صنف محمد بن حارث الخشني (ت361هــ/ 971م) كتاب "قضاة قرطبة" كما صنف عن أهل الحديث في الأندلس ، فضلا عن كتب في الرواية[4] ، و قد أثنى الدارسون على تلك الكتابات لإلقائها مزيدا من الضوء على التـــاريخ الاقتصادي والاجتماعي فضلا عن التاريخ الثقافي[5]، كما أمر الحكم المستنصر محمد بـــن حـــسين الزبيدي (ت 379هــ/989م) بتأليف كتابه في "طبقات النحويين واللغويين"[6].

وهكذا استمرت عملية التأليف بدعم من الحكام الأمويين وتشجيع منهم على امتداد فتـــرة الخلافة و لم تكن مقصورة على التآليف التاريخية، بل كانت في مختلف فنون العلم والمعرفة.

أما الظاهرة المتعلقة بجمع الكتب وإنشاء المكتبات فقد نشطت حركتها إبان الفترة الأموية، حيث أظهر الكثير من العلماء اهتمامهم الكبير بجمع الكتب والتنقيب عن نفائسها، كمـــا بـــذلوا أموالا طائلة في نسخها ـــ وتغليفها والرحلة في طلبها[7] ، ولقد كان من أهم المكتبات التي أنشئت في ذلك الوقت مكتبة الحكم المستنصر الذي كان شغوفا بمطالعة الكتب و محبا لها ومكرما لأهلها،

---

[1]- ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 233.
[2]- ابن حزم: الجمهرة، ص 88، 310.
[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 223. وأنظر عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص29-30.
[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص 47.
[5]- أنظر محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ص 78.
[6]- تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984.
[7]- ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 87.

"فكان له ورّاقون بأقطار البلاد ينتخبون له من غرائب التواليف، ورجال يوجههم إلى الآفـــاق"[1] ، ويمتاز هؤلاء الرجال الذين اختارهم الحكم لهذه المهمة بالضبط وبحسن الخط وكان منهم بالبـــصرة عمر بن محمد بن إبراهيم (ت 380هـــ/990م)[2]. وفي بغداد محمد بن طرخان (ت 394هـــــ/ 1003م)[3]، وابن يعقوب الكندي ومحمد بن القاسم بن شعبان في مصر وغيرهم جماعة من أهـــل المشرق[4] ، وفي الأندلس عباس بن عمرو الصقلي ويوسف البلوطي وظفر البغدادي، وطبقتهم[5].

وجمع الحكم المستنصر من الكتب في أنواعها المتعددة ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هناك حتى وصفه صاعد الطليطلي بقوله:" وأستجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عيـــون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة، وجمع منها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكـــه من بعده ما كاد يضاهيه ما جمعته ملوك بني العباس في الأزمـــان الطويلة"[6] ، وأصبحت لديه نتيجة لهذه الجهود مكتبة ضخمة سماها القاضي عياض "بيت الحكمة"[7]، و ذكر ابن حزم عن تليد الفـــتى الذي كان على خزانة العلوم بقصر بني مروان أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين فقط[8]، بينمـــا جعلـــها آخرون أربعا وأربعين فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة[9]. واستغرق أبو عمرو المعيطي حـــولا كاملا في الإشراف على ترتيبها بأمر المنصور بن أبي عامر[10]، أما نقلها فدام ستة أشهر، وهذا دليل

1- ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة 1963، ج1، ص 202.

2- القاضي عياض: المصدر السابق، ج4، ص 573.

3- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 202، .Imamudin: *op. cit.* p. 181

4- المصدر نفسه،ج1،ص201.

5- ابن الأبار: التكملة،ج1، ص 268. .Imamudin*: op. cit.* . p. 182

6- طبقات الأمم، ص 162. وأنظر ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة دوقان فرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص 94.

7- ترتيب المدارك، ج4، ص 543.

8- ابن حزم: الجمهرة، ص 10. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 203. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 146. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 37.

9- ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 234. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شرقي ضيف ط2، دار المعارف، القاهرة، 1964، ج1، ص 186.

10- القاضي عياض: المصدر السابق، ج4، ص 543.

على عظم مقتنياتها وضخامة محتوياتها وللحفاظ على هذه الكتب كان الحكم قد جمع بداره الحذاق في صناعة النسخ، والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد[1].

و لم ينفرد الحكم بذلك فقط بل كان المنصور أيضا يهتم بالكتب، وإن كان يخالف الحكم في بعض الميول الثقافية، فكان يكره الفلسفة ويميل إلى الأدب إضافة إلى العلوم الأخـــرى، بينمـــا الحكم كان متنوع الثقافة لذا نالت مكتبته أذى من المنصور الذي أحرق كثيرا مـــن كتبـــها ذات العلاقة بالفلسفة والتنجيم.

وكان للمنصور بن أبي عامر مكتبة كبيرة اختص بها وولده من بعده، وكان يقـــوم علـــى النظر فيها والإشراف على محتوياتها العلامة الوراق محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي القـــرطبي (ت 423هـــ/1031م) وكان لمهارته في الخط وشؤون الوراقة اشتهر في معرفته الجديدة بـــأمور الكتب وصيانتها و إصلاح ما قد يكون في خطوطها من أخطاء، فكان يقوم على فحصها ويقابل بين نسخها، هذا بالإضافة إلى براعته في التاريخ فقد ألف مصنفا في تاريخ العامريين[2].

وسمة الاهتمام بالكتب كانت ظاهرة أندلسية لم تخص الحكام فقط بل تعـــدتها إلى بقيـــة طبقات المجتمع وصارت من سمات النبل والفضل بينهم حتى أصبح بعضهم يؤثر جمع الكتب علـــى طعامه وملبسه[3]. ونتيجة لهذا الاهتمام البالغ فقد برز علماء عرفوا بجمع الكتب والاعتناء بها ويأتي في مقدمتهم محمد بن فطيس (ت 402هـــ/1111م) الذي وصفه ابن بشكوال بقوله: "جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس"[4]، وبلغ من كثرتها أن أهل قرطبة لم ينتهوا من بيعها إلا في عام كامل تقريبا، و كانت هذه السنة سنة الحرب الأهلية، ومـــا ترتـــب عليها من الاضطراب والفوضى، ورغم ذلك فقد اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية[5].

---

[1]- المقري: المصدر السابق، مج1، ص 386.

[2]- ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 310.

[3]- ابن بشكوال: المصدرالسابق، مج1، ص 60. سعد عبدالله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مؤسسة الملك فيصل، الرياض، 2000، ص 112.

[4]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 256. وأنظر ابن فرحون: الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 1976، ج1، ص 478. سعد عبدالله البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة، 1997، ص 123.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 56 - الدينار القاسمي نسبة إلى الإمام القاسم المأمون والدي حكم قرطبة من سنة 408هـــ/1017م الى412هـــ/1021م، المقري: المصدر السابق، مج1، ص 431. وأنظر أيضا Henri Lavoix:

وبناءا على ما تقدم فان ظاهرة إقبال الأندلسيين على كتب العلم وحرص الكثير منهم على اقتنائها لهي دليل ساطع على ما اتصف به المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة من رقي علمي وازدهار حضاري رفيع.

كانت هذه أهم المظاهر العلمية التي اتسمت بها الفترة التي سبقت القرن 5هـ/11م، فالرحلة ساهمت في نقل المعرفة التاريخية إلى الأندلس، وانتشارها بين المعنيين، كما أن تشجيع الخلفاء ورعايتهم للمؤرخين نشط من عملية تأليف الكتب والاعتناء بها، الأمر الذي استلزم إنشاء مكتبات لاحتوائها، والتي كثرت بشكل لافت للانتباه، كل هذه العوامل مجتمعة شكلت ميراثا ضخما أفاد منه من جاء بعدهم، وساعدهم لينتجوا عطاءً ثقافيا جديدا متميزا.

Catalogue des monnaies musulmanes Espagne et Afrique, Paris ,Imprimerie Nationale 1891, p.170.

ثانيـــا: تنافُس ملوك الطوائف على العلم والاهتمام بالعلماء

كان لملوك الطوائف دور كبير في تشجيعهم للعلم و اهتمامهم بالعلماء، حيث تنافـــسوا في اجتذاب أهل الفكر نحو ممالكهم حتى أصبحت قصورهم منتديات عـــامرة ومجـــامع للعلـــوم والآداب[1]، وفي هذا يقول الشقندي[2] عندما تحدث عن الأندلس وفضل أهلها في مجـــالات العلـــم والمعرفة ذاكرا ملوك الطوائف: "ولما ثار انتثار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد؛ إذ نفقوا سوق العلوم وتباروا في مثوبـــة علـــى المنثـــور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مخـــتص بالملك الفلاني وليس بينهم إلا من بذل في وسعه في المكارم..."[3].

وقد تحدث المؤلفون عن هذا الاهتمام والتنافس ببلاطات ملوك الطوائـــف في اجتـــذابهم للعلماء والأدباء إليها، فابن خاقان لما تحدث عن أبي عبيد الله البكري ذكر أن ملوك الطوائف كانوا يتهادونه تهادي المقل للكرى والأذان للبشرى[4]، كما يذكر ابن بسام أنه حينما قدم الأديب علـــي بن عبد الغني الحصري إلى الأندلس "فتهادته ملوك الطوائف تهادي الرياض للنسيم، وتنافسوا فيـــه تنافس الديار في الأنس المقيم"[5]. أمّا ابن حيان فقد ذكر ابن سعيد مقولة أبي الحزم بـــن جهـــور – أحد ملوك الطوائف- إن ملوك الطوائف كانت تداريه وتهاديه[6].

ولكن السّؤال الذي يطرح هو ما هو السرّ في هذا التنافس بين هؤلاء الملـــوك في تـــشجيع العلماء والأدباء واجتذابهم إلى ممالكهم؟

---

[1]- محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص 423.

[2]- هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي نسبة إلى شقندة إحدى القرى القريبة من قرطبة، ويعد من علماء الأندلس المشهورين حيث ولي القضاء في عدة مدن أندلسية توفي في اشبيلية سنة 627 هــ/1159م، وقيل 629هــ/1161م. ابن سعيد الأندلسي: رايات المبرزين وغايات المميزين، ص 38، حاشية (4). المقري: المصدر السابق، مج3، ص 222-224.

[3]- نقلا عن المقري: المصدرالسابق، مج3، ص 189-190.

[4]- ابن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الزرقا، الأردن، 1989، ج1، ص 330.

[5]- ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق4، ص 246.

[6]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 117.

يبدو أن مبعث هذا الاهتمام يعود إلى أمرين: أحدهما شعور ملوك الطوائف بعدم شـــرعية أنظمتهم وانعدام الوحدة بينهم جعلهم يلجأون إلى رعاية النواحي العلمية وتزيين مجالسهم بالعلماء لكي يضفوا بعض الشرعية لحكمهم أمام الناس.

أمّا الأمر الثاني فهو كون كثير من ملوك الطوائف قد اشتهروا بأنهم من طلاب العلم، وممن يُذكر هنا على سبيل المثال المظفر بن الأفطس (427- 461هـــــ/ 1045-1067م) الـــذي اشتهر بين مؤرخيه بالأدب والتصنيف فيه حتى قال عنه صاحب الذخيرة "أديب ملوك عصره غـــير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر اسمه أيضا "بكتاب المظفر" في خمسين مجلدة، يشتمل على علوم وفنون من مغاز وسير، ومثل وخبر، وجميع ما يختص به علم الأدب، أبقاه في الناس خالدا"[1]. والمقتدر بالله بـــن هـــود (438-474هـــــ/ 1076-1081م) صاحب سرقسطة الذي برع في علوم الفلسفة والرياضيات والفلك وجاء من بعده إبنه يوسف المؤتمن (474-477 هــ/ 1081- 1085م) الذي كان من أكبر المعنيين بهذه العلوم فقد ألف كتاب "الاستكمال" في الفلك[2]، وقد نال هذا التأليف شهرة لدى العلماء المختـــصين في ذلك الزمان، حتى إن واحدا من أشهر رجال الفكر الأندلسيين في القرن السادس، وهو موسى بن ميمون[3] قد درسه، ووضع شرحا له، ورأى أنه "جدير بأن يدرس بنفس العناية التي تـــدرس بهـــا كتابات إقليدس وكتابات المجسطي لبطليموس"[4]. ومنهم أيضا مجاهد العامري (400-436هــ/ 1009-1044م) صاحب دانية الذي اشتهر بالعلم، فكان محبا له، جمّاعة لكتبه فيصفه ابن حيان بقوله: "فتى أمراء دهره، و أديب ملوك عصره، لمشاركته في علم اللسان وتفوقه في علم القـــرآن، عني بذلك منذ صباه وابتداء حاله، على حين اكتماله، و لم يشغله عن التزيد عظيم ما مارسه مـــن الحروب برا وبحرا، حتى صار في المعرفة نسيج وحده"[5]. كما اشتهر بنو عباد في اشبيلية بتقريـــب العلماء؛ حيث وصف الحميدي محمد بن إسماعيل بـــن عبـــاد (414-433 هــــ/1023-

---

[1]- ابن بسام: المصدر السابق، مج2، ق2، ص 640-641. وأنظر ابن الأبار: التكملة، ج1، ص317-318.

[2]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 454. علي بن محمد: المرجع السابق، ج1، ص 100

[3]- موسى بن ميمون ، يهودي من أهل قرطبة (ت 603 هــ/ 1135م) ألف بالعربية والعبرية، تأثر بابن رشد فشغل بالتوفيق بين الدين والفلسفة، أنظر موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ترجمة حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002، مقدمة الناشر، ص XXIII، XXIV.

[4]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 454-455، علي بن محمد: المرجع السابق، ج1، ص 101.

[5]- ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق3، ص 23.

1042م) مؤسس دولة بني عباد في اشبيلية بقوله: "كان له في العلم والأدب باع، ولذوي المعارف عنده سوق وارتفاع، وكذلك عند جميع آله..."[1]. وبالإضافة إلى هؤلاء اشتهر عدد مـــن ملـــوك الطوائف بهذه النزعة العلمية كبني ذي النون في طليطلة وبني صمادح في المرية، وبني حمود في مالقة، وبني زيري في غرناطة وغيرهم[2].

ومما لا شك فيه أن هذه الروح العلمية التي اتسم بها عدد من ملوك الطوائـــف جعلتـــهم يحرصون على خدمة العلم وتشجيع العلماء غير أنه لا ينبغي أن نبالغ في دور ملوك الطوائـــف في إنعاش المعرفة؛ فقد جاء معظم فكر العلماء البارزين خارج الدواليب السياسية في إمارات الطوائف كابن حزم الذي أحرقت كتبه، والحميدي الذي اضطر للهجرة خارج الأندلس، والهوزني الـــذي دفع حياته بسبب مواقفه، وكذلك ابن عبد البر القرطبي، كل هذه الشخصيات كانت بعيدة عـــن بلاطات ملوك الطوائف وبذلك نلاحظ أن الكتابة التاريخية تطورت بكيفية مستقلة في الأنـــدلس خلال القرن الخامس الهجري، وربما كان اقرب نموذج للتاريخ الرسمي هو "كتاب التبيان" لعبد الله بن بلكين حاكم غرناطة، إلا أن هذا الكتاب يتميز بدرجة معينة من التجرد والموضوعية لأنه كتب في المغرب بعد سقوط غرناطة، وصاحبه لا يريد من خلاله تحقيق أي غرض سياسي[3]، ومن جهة أخرى فإن وجود درجة كبيرة من النقد في الكتب التاريخية التي ألفها المعاصرون كابن حيان، وعبد الله بن بلكين، وابن حزم والحميدي وابن عبد البر وغيرهم، تعكس رغبتهم الشديدة في التعبير عن الحقيقة كما رأوها، فكانت جهودهم ترمي إلى الإصلاح ونبذ الفساد الذي عمّ أنحاء الأنـــدلس في تلك الفترة، بدلا من استغلال هذه الجهود لجمع الأموال وتكديسها كما فعل العديد من الـــشعراء الذين مدحوا ملوك الطوائف، وكانوا يعيشون في بلاطاتهم.

---

[1]- الحميدي : المصدر السابق، ص81.

[2] - انظر في تفصيلات ذلك، محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص 423-430. وأنظر أيضا إحسان عباس: المرجع السابق، ص 71-80.

[3]- أمحمد بن عبود: المرجع السابق، ص 139.

ثالثا: تراجع الرقابة الفكرية للسلطة السياسية والدينية وازدياد مكانة العلم والعلماء

مما لا شك فيه أن من بين الأسباب الأساسية التي كانت وراء الازدهار العلمي الذي عرفته الأندلس خلال القرن الخامس الهجري بالرغم من الأوضاع السياسية والاقتصادية المضطربة يمكن إرجاعها إلى نوع من حرية الفكر والتعبير والإبداع الثقافي؛ حيث عرف هذا الاتجاه تطورا في عهد بني أمية إلى أن وصل أرقى مرحلة نضجه خلال عصر دول الطوائف حينما وصلت العديد من المجالات المعرفية إلى درجة مميزة من الأصالة والإبداع في الأندلس[1]، لكن وجود الإبداع والأصالة غير ممكن دون حرية في ذلك، فكيف يمكن لنا أن نتحدث عن حرية في التفكير وابداء بعض الأراء تحت حكم ملوك طوائف عُرف مُعظمهم بالاستبداد وباتخاذ الإجراءات الصارمة، إلى أقصى حدودها في القضاء على المعارضة السياسية في الحالة التي تكون فيها سلطتهم معرضة للتهديد وخير مثال على ذلك ما فعله المعتمد بن عباد ملك اشبيلية (461-484هـ/ 1069-1091م) في أقرب الأصدقاء إليه وهو ابن عمار الذي اغتاله بعد أن ثار ضده بمرسية[2]، وقبله نرى أخاه المعتضد (433-461هـ/ 1042-1078م) الذي قام بقتل الفقيه أبي حفص بن الحسن الهوزني[3] سنة 460 هـ/ 1071م نتيجة مواقفه التي اتخذها على اثر تأثره العميق بالهجوم المسيحي على ببشتر سنة 456هـ/1063م وتألمه للمذابح والمآسي التي عاني منها السكان المسلمون فبعث إلى المعتضد برسائل حماسية يستثير فيها حميته لنجدة ببشتر ونسي أنه كان يخاطب شخصا كان ينتظر منه المدح والإعجاب بدلا من النصائح والانتقادات مهما كانت هذه الأخيرة مفيدة وبناءة [4]، كما قام هذا الملك – أي المعتضد- بحرق كتب ابن حزم باشبيلية بسبب مواقفه التي اتخذها ضد إمارات الطوائف عندما رفض شرعية أنظمتها السياسية، وفضحه له بأن ما يدعيه من أن هشام المؤيد حيّ

---

[1]- أمحمد بن عبود: المرجع السابق، ص 139.

[2]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 94. رينهارت دوزي: المرجع السابق، ج3، ص 121.

[3]- هو أبو حفص بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله أبي سعيد الداخل لجزيرة الأندلس، وهو كان صاحب صلاة الجماعة بقرطبة على عهد عبد الرحمن بن معاوية وابنه هشام الرضى، وهوزن الذي نسب إليه هو بطن من ذي الكلاع الأصغر، أنظر ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق01، ص 81-82. وانظر المقري: المصدر السابق، مج1، ص 382. وأنظر أيضا الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص 44.

[4]- عن تفاصيل مقتله وأسبابها أنظر ابن بسام: المصدر السابق، مج 1، ق 1، ص 82-83.

في بلاطهم إنما هو شخص آخر اسمه خلف الحصري[1]، وأن هشام الحقيقي قد تـــوفي منـــذ إثـــنين وعشرين سنة.

وكاد أن يذهب ابن حيان ضحية لمواقفه وانتقاداته الشديدة لبعض ملـــوك الطوائـــف أو لشخصيات معنية في كتابه المتين.

فمن خلال هذا الاستعراض لهذه النماذج، هل يمكن لنا أن نقول إنه كانت هناك حرية في التفكير وابداء الرأي في الأندلس في القرن 5هـ/11م. فأي حرية كانت؟

للإجابة عن هذا التساؤل يجب علينا أن نتتبع سيّر بعض العلماء والشخـــصيات الثقافيـــة البارزة التي كان لها دور كبير في حث الحكام على الوحدة ونبذ التفرق لمواجهة الخطر النـــصراني الذي أصبح يهددهم في عقر دارهم كما أنهم حاولوا نشر العلم بين الناس مستفيدين في ذلك مـــن الفرص التي أتيحت لهم، وهذا بسبب الصراع المستمر بين أمراء الطوائف، وتفـــاوت أخلاقهـــم وسياساتهم، جعلت العلماء يبحثون عن الأماكن التي يصلح فيها الاستقرار، والإحساس بنوع مـــن الحرية في طرح ما يريدون، ولكن ثمن هذه الحرية يكون مرتفعا أحيانا، وهذا بسبب تقلب أهـــواء هؤلاء الحكام بين عشية وضحاها، والنماذج التي ذكرناها سابقا تعبر عن ذلك، إلا أنه بالرغم من العراقيل المتعددة فقد كانت هناك حرية من خلال المواقف التي اتخذها بعض العلماء مـــن ملـــوك الطوائف وانتقادهم لهم في مؤلفاتهم المعاصرة ومع ذلك حظوا بالاحترام والتقدير عند الكثير منهم، ولنذكر بعض الأمثلة لهؤلاء العلماء لنرى من خلال ذلك مدى هذا الاحترام وما تمخض عنه مـــن فرص كثيرة أفادوا منها.

ومن هؤلاء العلماء أبو الوليد الباجي المحدث الفقيه (ت 474هـ/1071م)[2] الذي قـــام بعد عودته من المشرق بدعوة ملوك الطوائف إلى نبذ الفرقة وجمع الكلمة؛ حيث كـــان يطـــوف بالعدوة الأندلسية متنقلا بين مدنها وأقاليمها المختلفة مثل سرقسطة وبلنسية ودانيـــة و بطليمـــوس وكان خلال تجواله يقيم حلقات علم في مدن مختلفة ، كما كان يقابل ملوك الطوائف وغيرهم من

[1]- ابن حزم: رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، ج2، ص97.

[2]- هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الأندلسي القرطبي الباجي، فقيه وأديب يعد من علماء الأندلس البارزين، وله مكانة عالية بين علماء عصره، وكثرة مصنفاته وكتبه حتى قيل إنه فقيه الأندلس وإمامها، ابن بسام: المصدر السابق، مج 2، ق 2، ص90. ابن شكوال: المصدر السابق، مج1، ص 175-176. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص 19-20.

قادة الأندلس ويدعوهم إلى لمّ الشمل والوحدة وجهاد العدو النصراني[1]، وكان ممن استجاب له المتوكل بن الأفطس الذي أضفى على رحلات الباجي شكلا رسميا ، فكان الباجي سفيره إلى ملوك الطوائف الآخرين[2].

وقد ذكر المؤرخون أن العمل الذي كان يقوم به الباجي المتمثل في دعوته إلي الوحدة بين ملوك الطوائف كان غير محبذ عند الكثيرين منهم على الرغم من تظاهرهم بالاحترام والتقدير له وفي هذا يقول ابن بسام[3]: "بيدَ أنه كلما وفد على ملك منهم لقيه – ظاهر أمره – بالترحيب وأجزل حظه بالتأنيس و التقريب وهو بالباطن يستجهل نزعته ويستثقل طلعته".

ومن العلماء الذين نبهوا المجتمع إلي طبيعة الحكم الاستبدادي ابن عبد البر القرطبي الذي ذمّ من اتصف بهذا العمل، وهو بذلك يخاطب حكام عصره من ملوك الطوائف وينتقدهم على ضعفهم أمام النصارى بقوله: "... فضعفوا وصاروا خولا للنصارى يؤدون إليهم أضعاف ما كان المسلمون يأخذون منهم"[4]، ومن جهة أخرى كان له دور كبير من خلال دروسه ومؤلفاته في الدعوة إلى التوحد مستغلا في ذلك لتنقلاته بين المدن الأندلسية.

ومن الشخصيات العلمية البارزة التي أظهر ملوك الطوائف احتراما لها أبو محمد علي بن حزم على الرغم من النقد القوي الذي وجهه إليهم؛ حيث بيّن للناس أن وجودهم أمر غير طبيعي بل هو من الحوادث الغريبة في التاريخ[5]، كما ذكر بأن واقعهم غير شرعي على أساس أن الأمويين هم وحدهم ممن كانوا يستحقون الحق الشرعي والمشروعية في حكمهم للأندلس[6]، و لم يقف عند هذا الحد بل هاجمهم بعنف؛ حيث قال:" والله لو علموا في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا

1- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 98. وأنظر محمد عبدالله: المرجع السابق، ص 91.

2- عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92هـ/711م-897هـ/1492م، ط2، نشر دار القلم، دمشق وبيروت، 1981، ص 340-341.

3- الذخيرة، مج 1، ق2، ص 95-96.

4- ابن عبد البر: القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم،، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1983.

5- ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج2، ص 83-84.

6- أنظر ابن بسام، المصدر السابق، مج1، ق1، ص 169. وأنظر أيضا دراسة غابريال مرتيناز حول الأديولوجية الأموية في الأندلس وحديثه عن ميل ابن حزم إليها: Gabriel Martinez- Gros: ***L'déologie omeyade. La constrution de la l'égitimité du califat de cordoue (Xe-XIe siècles)***, Bibliothèque de la casa de Velàzquez, 1992, p161 – 202 .

إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى، فيمكنوهم من حرم المسلمين وأبناءهم ورجالهم يحملــونهم أسارى إلى بلادهم ...وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس لعن الله جميعهم وسلط الله عليهم سيفا من سيوفه"[1].

بهذه الآراء الجريئة تحدث ابن حزم عن ملوك الطوائف وهو يعيش بينهم، ولقــد كانــت لمواقفه اتجاه هؤلاء الملوك أثر قوي في موقف الناس منهم، لكونه يمثل وجهة نظر عالم مفكر ممــا جعله يتعرض للاضطهاد في بعض الإمارات كاشبيلية التي تم فيها إحراق بعض كتبه مــن طــرف المعتضد بن عباد، إلا أننا نجده مرحبا به في غيرها مثل ميورقة[2]؛ حيث شارك في مناظراته الــشهيرة مع أبي الوليد الباجي[3]، ولعل هذا يفسر التنوع السياسي الذي كان يتصف به عصر الطوائف الذي تميز بالاصطدامات العسكرية والسياسية المستمرة بينهم، مما أتاح هذا الوضع للعلماء الأندلسيين أن يجدوا أماكن ينشرون فيها أفكارهم بحرية، وقد يمنع عالم في إمارة معينة إلا أننا نجده مكرما عنــد إمارة أخرى تناصبها العداء[4]، والمثال الذي ذكرناه فيما سبق خير دليل على ذلك، هذه الظــروف ساعدت العلماء على التنقل بين هذه الممالك متيحة لهم نشر أفكارهم وآرائهم، وهذا مما هيأ لمناخ علمي جيد في عموم الأندلس.

ويأتي موقف ملوك الطوائف من ابن حيان دليلا آخر على علو المترلة التي نالها العلمــاء في ذلك العصر وبالرغم من نقده القوي ورأيه الواضح في أنظمتهم، إلا أنهم أظهــروا لــه التقــدير والاحترام؛ حيث سماهم بـــ "أمراء الفرقة الهمّل... القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عــن الجماعة وحوشا إلى الفرقة"[5].

وعبارات ابن حيان اللاذعة التي تدل على الواقع الأليم الذي وصل إليه المجتمع الأندلسي في تلك الفترة التي لم يسلم منها حتى ابن جهور الذي أعدّه المؤرخون من أفضل ملــوك الطوائــف،

---

[1]- ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودي، ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار العروبة القاهرة، 1960، ص 177.

[2]- وهي كبرى جزر البليار 1405/ 3640كلم، أي ما يعادل ثلاثة أرباع مساحة الجزر مجتمعة، وهي تقابل برشلونة وبينهما وبين جزيرة سردانية الفرنسية أربعة مجاري. أنظر ابن خلدون: العبر، مج4، ص 164. السيد عبد العزيز سالم: جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 15، 16.

[3]- أمحمد بن عبود: المرجع السابق، ص 141.

[4]- المرجع نفسه، ص 141.

[5]- ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق3، ص 180.

حيث ذكر بعدم صلاحيته للحكم. وابن سعيد الأندلسي يذكر هذه الحادثة أنه لمّا بلغ أبا الحزم ما قاله ابن حيان قال:" والله لقد صدق و إني والله ما أصلح لهذا الأمر ولكن مكرها لزمته، وحلف عبد الملك بن جهور أن يسفك دمه فأحضره أبو الوليد وقال: "والله لأن طرأ على ابن حيان أمرا لا آخذ أحدا فيه سواك أتريد أن يضرب بنا المثل في سائر البلدان بأننا قتلنا شيخ الأدب والمؤرخين ببلدنا حتى كنفنا مع أن ملوك البلاد القاصية تداريه وتهاديه؟ و أنشد له نظما وقال: "سبحان من جعله إذا نثر في السماء وإذا نظم تحت تخوم الماء"[1].

و إلى جانب هؤلاء العلماء هناك ثلة أخرى قاموا بنفس المهمة حيث تنقلوا بين مدن الأندلس وحواضره ينشرون علمهم وأفكارهم إلى جانب قيامهم بدور التوجيه والإصلاح ومن أمثالهم الفقيه الهوزني الذي دفع حياته من أجل ذلك، وأحمد بن جحاف، ومحمد بن طاهر وابن عسال وابن بسام وغيرهم.

و على الرغم ما لاقاه بعض هؤلاء العلماء من مضايقات نتيجة لمواقفهم إلا أنهم كانوا يحظون بالاحترام والتقدير من طرف ملوك الطوائف بل ومن كافة شرائح المجتمع الأندلسي، هذه الميزة التي كان لها أثر واضح على الحياة العلمية بكل أنواعها وفروعها.

---

[1]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 117.

رابعا: المذهبية وأثرها في التأليف التاريخي

اتجهت الأندلس في أول أمرها إلى مذهب الأوزاعي (ت 157هـ/779م)، ثم مالت إلى المذهب المالكي ابتداء من أواخر القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي وأصبح هو المذهب المسيطر، وهو أساس الفكر التشريعي في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وهذه السيطرة أضفت على الأندلس لونا من الثبات الفكري والعاطفي[1]، وأعطت فقهاء المالكية لونا من الامتياز الطبقي، وكان أهمهم وأشهرهم يحي بن يحي الليثي المصمودي[2]، الذي كانت له اليد الطولى في نشر هذا المذهب والتمكين له بالأندلس.

وإلى جانب مذهب مالك تمذهب بعض الأندلسيين بمذهب الشافعي وبعضهم بمذهب داوود الظاهري[3]، بالإضافة إلى منتحلي الفرق الكلامية وعلى رأسهم جماعة ابن مسرة والمعتزلة وأصحاب الأديان الأخرى كاليهود والنصارى والمتزندقين على اختلاف مشاربهم وكل هؤلاء شكلوا الحياة الاعتقادية للأندلس خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة [4].

وقد كان لهذه المذاهب أثر في عملية التأليف في الأندلس ولكن بدرجات متفاوتة. وسأقتصر كلامي على المذهبين المالكي والظاهري لكونهما كان لهما أكبر الأثر في عملية التأليف التاريخي.

---

[1]- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956، ص 249.

[2]- أصله من البربر من مصمودة، ويكنى أبا محمد، سمع من زياد بن عبد الرحمن موطأ مالك بن أنس، وفي رحلته إلى المشرق سمع من الإمام مالك الموطأ إلا بعض الأبواب من الاعتكاف وسمع بمكة من سفيان بن عينية، وبمصر من الليث بن سعد وابن وهب وابن القاسم وكان يفتي في الأندلس برأي مالك إلا في بعض المسائل توفي سنة 233هـ/ م وقيل 234هـ/ م. ابن الفرضي: المصدرالسابق، ص431، 432. الحميدي: المصدر السابق، ص 345، 347. القاضي عياض: المصدر السابق، ج3، ص 379

[3]- هو داود بن علي بن خلف (ت 270 هـ/883مـ) أصبهاني الأصل، ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد وأوجد القول بالظاهر فاستقل بمذهب بعد أن كان شديد التعصب للشافعي، وكان قد نفى القياس من الأحكام الشرعية، وتمسك بظواهر النصوص. أنظر ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978، ص 266. وأنظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج8، ص 369. وأنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص 225. وأنظر السبكي: طبقات الشافعية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، ط2، هجر للطباعة والنشر و التوزيع والإعلان، الجيزة، مصر 1992، ج2، ص 42.

[4]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 42.

فالمذهب المالكي يعدّ أهم المحاور التي دارت حولها المؤلفات الأندلسية المبكـــرة، ثم اســـتمر الحال على ذلك في باقي فترات التاريخ الأندلسي متناولة كتاب" الموطـــأ" بالـــشرح والتوضـــيح ودراسة لرجاله وأسانيده، وتأليفا حول المذهب بشكل عام. ومن أشهر ما ألف حول "الموطأ" هو ما كتبه ابن عبد البر القرطبي (ت 463هـ/ 1070م) "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" وهوعبارة عن موسوعة حديثيه تمثلت في شرح الموطأ متنا وسندا، وأفاض المؤلف في جميع العلـــوم المتصلة بموضوع الكتاب، كالفقه والقراءات واللغة والتاريخ عند شرحه للأحاديـــث الـــواردة في الموطأ[1]، لذلك أقبل عليه العلماء وحرصوا على روايته وتلقيه وقراءته في مجالس العلـــم في مختلـــف العصور[2]. وقد نال ابن عبد البر بكتاب (التمهيد) التقدير والاحترام، فقد جعله ابن حزم مفخـــرة من مفاخر الأندلس؛ حيث قال فيه: "لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيـــف أحـــسن منه"[3]. ومادام الموطأ ليس إلا مجموعة من القواعد الفقهية المستنبطة مـــن عمـــل فقهـــاء المدينـــة وأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم- فإن هذا سيدفع الأندلسيين إلى تتبع حياة الرسول- عليه الصلاة والسلام- ومعرفة سيرته وسيرة أصحابه، أي أنه سيكون هناك ارتباط بين العناية بالـــسيرة والحرص على المعارف الفقهية، لذلك نجد أن كبار الفقهاء المالكيين هم أول من كتبوا في الـــسيرة النبوية[4] التي عرفت تطورا مع مراحل التاريخ الأندلسي وكثر التأليف فيها خاصة في القرن الخامس الهجري وتعددت طرقها والجوانب التي تخصصت فيها، فكتب أصحابها في: أسماء النبي– صلى الله عليه وسلم- ومولده، ومبعثه، وخصائصه، وفضائله وشمائله وأعلام نبوته ومغازيه أو جمعوا بـــين ذلك كله، كما اهتموا بالتأليف في صحابته[5].

[1]- ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 207.

[2]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 170، شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، 1939، ج3، ص 240.

[3]- ابن شكوال: المصدر السابق، مج2، ص 532.

[4]- عبد الله محمد جمال الدين: "نشأة التاريخ الإسلامي في الأندلس"، مجلة كلية دار العلوم، ع 12- 14، (1955)، ص 151.

[5]- محمد رضوان الداية: أندلسيات شامية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 11.

ومن السيرة انتقلوا إلى الاهتمام والتـــأليف في الشخصيات التي استقى منها مالك موطأه لمعرفة المزيد عنهم سواء من حيث التوثيق والتضعيف، فألفوا كثيرا في "رجال الموطأ"[1] ، و"شـــيوخ مالك"[2]، وشكل هذا بزوغ علم الرجال لديهم، والذي أتقنه الأندلسيون وألفوا فيه العديـــد مـــن الكتب، وانطلقت المؤلفات بعد ذلك من رجال الموطأ إلى آخرين استحقوا لجهودهم العلمية حـــق التأليف عنهم سواء من رجال الأندلس أم غيرهم بمعنى أن الكتابة في مجال " الطبقـــات" عرفـــت تطورا فلم تقتصر على الترجمة لأعلام المذاهب والفرق والفقهاء، وإنما اتجهت اتجاها دنيويا تمثل في الترجمة لمشاهير الأدباء والشعراء وأعلام الفكر على اختلاف هوياتهم المذهبية وانتماءاتهم السياسية[3]، ومن أعلام هذا المذهب الذين كتبوا في هذا المجال ابن الفرضي ومحمد بن حارث الخشني المذكورين سابقا[4]، أما في القرن 5هـ/11م فكان أبرزهم ابن عبد البر القرطبي الذي ألـــف العديـــد مـــن المؤلفات في تراجم الصحابة والفقهاء وعلم رجال الحديث، كما يعتبر ابن حيـــان الـــذي أعـــده الدارسون من أبرز المؤرخين الذين أنجبتهم الأندلس بشقيها الإسلامي والمـــسيحي فهـــو امتـــداد للمدرسة المالكية التي اتخذت في كتابتها للتاريخ الأندلسي منحىً مغايرا، وهذا من خلال المؤلفات التاريخية التي أنجزها، والمواضيع التي طرقها فيها، وكيفية معالجتها، والمنهجية التي اتبعها في ذلـــك وخاصة في كتابيه الشهيرين المقتبس والمتين.

وبعد ابن حيان أكمل أصحاب المذهب المالكي في التأليف فكتب القاضي عياض الـــذي عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين كتابه "ترتيب المدارك في معرفة أعلام مذهب مالك".

ومؤلفات أصحاب التوجه المالكي في ميدان التاريخ كثيرة ولكن ذكرنا بعض النماذج لكي نبين أن المذهب المالكي كان له أثر كبير في ارتقاء وتطور المعرفة التاريخية.

أمّا بالنسبة للمذهب الظاهري الذي دخل الأندلس في منتصف القرن الثالـــث الهجـــري/ التاسع الميلادي في أيام الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الثـــاني (238-273 هـــــ/ 852-886م) على يد عبد الله بن محمد بن القاسم بن هلال (ت 272 هــ/886 م) وهـــو أحـــد

---

[1]- أُلفت العديد من الكتب في رجال الموطأ، انظر ابن الفرضي: تاريخ المصدر السابق، ص 432- 433. وأنظر ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 113- 114.

[2]- ممن ألّف في شيوخ مالك، انظر القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص 200.

[3]- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 77، 78..

[4]- أنظر ص 24-25 من هذا البحث.

تلامذة داوود الظاهري إلا أن معارضة فقهاء المالكية له جعلت انتشاره يبقى محـــدودا[1]، وبحلـــول القرن 5هـــ/ 11م عرف هذا المذهب انتعاشا واشتهارا على يد الحافظ ابن حزم الذي عمل على تجديده وتحويله من البيان إلى البرهان[2]، لمواجهة المعطيات الأندلسية على وجه الخصوص ومعلوم أن هذا المذهب يرفض القول بالقياس والاستحسان معولا على القرآن والسنة وحسب[3]، وكان مـــن أسباب عجزه عن مواجهة التطورات الكبرى التي شهدها المجتمع الإسلامي، لذلك كان على ابـــن حزم أن يجدد هذا المذهب لخدمة مشروع إصلاحي وحدوي لمواجهة الانحلال والفوضى الأخلاقية والاجتماعية التي سادت هذا العصر[4]، الذي أصبح فيه العديد من فقهاء المالكية أكبر عضد لأمراء الطوائف في تبرير ظلمهم وانحرافهم من أجل الحصول على الأموال والمناصب عندهم، وقد ذكـــر محمد عبدالله عنان أنهم يأكلون على كل مائدة، ويتقلبون في خدمة كل قصر وقد أفسحت طبيعة عصر الطوائف لهم مجال الاستغلال والدس، واحتضنهم الأمراء وأغدقوا عليهم العطاء[5].

وقد أتيح لابن حزم أن يدرس الفقه في مذاهبه المختلفة، بداية بالمذهب المالكي، وأن يقـــرأ من كتب المذاهب المعتبرة التي ذكرها في رسالته "فضل علماء الأندلس" التي نقلها صاحب الـــنفح بنصها، وأن يمعن في الأحكام التشريعية التي جاءت بها ودونتها هذه الكتب وقد أرجـــع أســـباب التفاوت والاختلاف الشديد بينها، إلى القياس وما إليه من الاستحسان الذي جعله بعض الفقهـــاء أداة طيعة ليوائموا بين أحكامهم وفتاواهم وبين مقتضيات الحياة الفاسدة التي أبعدت كل مبـــادئ الأخلاق والضمير، ومسخت فيها كل أصول الدين وآدابه[6]، فكانت ظاهرية ابن حزم كرد فعـــل على الوصولية التي سادت عصر الطوائف، وكان أصلح من تظهر على يديه حركة رد الفعـــل في شكل ثابت قوي، إذ كان رجلا عالما واسع الإطلاع على المذاهب والآراء المختلفة، وكـــان مـــن أصحاب المبادئ يضعون دينهم وخلقهم وضميرهم ومعتقدهم فوق كل اعتبار[7].

---

[1]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 439.

[2]- محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، بيروت، 1984 ، ص 99.

[3]- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة (د، ت)، ص 507.

[4]- محمود إسماعيل: ابن حزم ومدرسته جدل الفقه والتاريخ، ص 285.

[5]- محمد عنان: دول الطوائف، ص 421.

[6]- مبروك العوادي: "ابن حزم الظاهري"، مجلة الأصالة ع /25 ،(1975)، ص 36، 37.

[7]- المرجع نفسه، ص 38.

ومادام ابن حزم قد فشل في تحقيق العلاج عن طريق الساسة فقد حاول العلاج عن طريق إصلاح المحكومين، ذلك بإصلاح فساد الفقه الذي هو سبيل إصلاح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والخلقية[1].

وهكذا لم يدخر ابن حزم وسعا في الترويج لمشروعه، فلجأ أحيانا إلى بعض أمراء الطوائف الذين توسم فيهم العون من أجل تحقيقه، لكنه تعرض للمطاردة والاضطهاد من قبل الأمراء والفقهاء والعامة على السواء، بل كثيرا ما سجن وشرد وأحرقت كتبه[2].

وبديهي أن يؤثر المذهب الظاهري في كتابات ابن حزم التاريخية، ذلك لأن التاريخ يشكل إطارا معرفيا لخدمة المشروع الحزمي، إذ شهد عصر ابن حزم أحداثا كبرى كسقوط الخلافة الأموية وظهور ملوك الطوائف وتفاقم الخطر النصراني وتعاظم دور اليهود في كثير من مدن الأندلس، ناهيك عن الصراعات العرقية والقبلية التي أسهمت في تصدع وحدة الأندلس، لذلك اهتم ابن حزم ومدرسته بدراسة التاريخ الذي حظي عنده بمكانة مرموقة في تصنيفه للعلوم حيث جعله من جملة العلوم الثلاثة التي تتميز بها كل أمة عن الأمم الأخرى، إذ وضعه بعد علم الشريعة وقبل علم اللغة[3]، والتاريخ عنده هو " علم الأخبار" بما يعني إحساسه بظاهرة تزييف التاريخ ومنه تزييف الواقع، بحيث وجب التصدي لتحرير الكتابة التاريخية من الأهواء والمغالط من ناحية، والوقوف على العبرة والموعظة من ناحية أخرى[4]، فمن بين ما رآه ابن حزم من فوائد الوعي بالتاريخ "الاطلاع على فناء الممالك وخراب البلدان المعمورة ... وذهاب الملوك الذين قتلوا النفوس وظلموا الناس، واستكثروا من الأموال... ومعرفة اختلاف أديانهم ومذاهبهم، والاطلاع على أثار المفسدين في الأرض وسوء الآثار عنهم"[5].

يفهم من هذا النص الهام: اتساع موضوع علم التاريخ بجوانبه السياسية والحضارية[6].

ولكن السؤال الذي يطرح هو هل أفاد ابن حزم من فقهه الظاهري المتطور في كتابته التاريخية؟

---

[1]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 88.

[2]- لجأ ابن حزم إلى أمير ميورقة ثم رحل إلى بلاد خيران العامري أمير المرية دون جدوى، كما لاذ ببني عباد باشبيلية لنفس الغرض دون طائل ، فاضطر إلى التروح إلى البادية ليقضي بها بقية أيامه متأثرا حتى وافته المنية.

[3]- ابن حزم: مراتب العلوم، (الرسائل ج4)، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1980، ج 1، ص 78.

[4]- محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ص 291.

[5]- ابن حزم: مراتب العلوم، ص 71، 72.

[6]- محمود إسماعيل: ابن حزم ومدرسته، ص 291.

أفاد ابن حزم من منهجه الفقهي في صياغة منهجه كمؤرخ ويبرز ذلك من خلال المؤلفات التاريخية التي صنفها، مبديا فيها أرائه وأفكاره التي كانت سببا في اضطهاده ومطاردته، وحذا حذوه في هذا الاتجاه وتبنو مشروعه ولاقوا نفس المصير من الاضطهاد والمصادرة. كصاعد الأندلسي (ت 462هـ/1069م) والحميدي (ت 488هـ/1095م)، فالأول يُعدّ من أشهر مؤرخي المدرسة الحزمية ومن أكثر المعبرين عن مشروعها، ولعلّ أهم الدلالات في هذا الصدد في ما أفصح عنه في كتابه "طبقات الأمم" من تأثر وإشادة كأستاذه ابن حزم بمسلمة المجريطي وأصبغ بن محمد من خلال عبقريتهما في الفلك والرياضيات والطب والفلسفة[1]، كما كان أكثر عقلانية من رائد المدرسة نفسه بحيث لم يتورع من انتقاد ابن حزم في كتابه التعريف لحدود المنطق حين خالف أرسطو وندد بمنطقه[2]، أما تلميذه الثاني كان من خيرة أصدقائه وأبرزهم في حقل التاريخ[3]، حيث قرأ عليه جميع كتبه ونكب بنكبة ابن حزم فأحرقت كتبه واضطر إلى الهجرة نحو المشرق بسبب ظاهريته وتبنيه المشروع الحزمي[4].

ومما سبق ذكره نخلص إلى أن المذهب الظاهري الذي اعتنقته المدرسة الحزمية ساهم مساهمة فعالة في تطوير الفكر التاريخي الأندلسي من خلال الموضوعات المستحدثة والعقلانية التي اتبعوها في تحقيقاتهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم.

---

[1]- انظر صاعد: المصدر السابق، ص 168، 169، 170.

[2]- نفسه ، ص 182.

[3]- أحمد أمين، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة العربية، القاهرة 1966، ج3، ص 284.

[4]- محمود اسماعيل، ابن حزم ومدرسته، ص 299.

الفصل الثاني

حقول المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

أولا: التاريخ العالمي الإسلامي أو الجامع

ثانيا: التاريخ المحلي والإقليمي

ثالثا: السيرة النبوية

رابعا: الطّبقات والتّراجم

خامسا: الأنساب

سادسا: تاريخ الأدب

سابعا: كتابة المذكِّرات الشخصية

الفصل الثاني: حقول المعرفة التاريخية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عـــشر الميلادي

مرّ بنا سابقا في حديثنا عن الجانب السياسي الذي شـــهدته الأنـــدلس خـــلال القـــرن 5هـ/11م والمتمثل في سقوط الخلافة الأموية وقيام دويلات وطوائف متناحرة على أنقاضـــها، لكن هذا التمزق السياسي كما عرفنا لم يؤثر سلبا على الناحية الثقافية التي شهدت تطورا وازدهارا وهذا ناتج عن التراكم المعرفي والتنافس الثقافي الذي عرفته تلك المرحلة.

ومادام التاريخ جزءا من هذا الإطار المعرفي والثقافي فبديهي أن يتأثر بهذه المعطيات، فقـــد عرفت المعرفة التاريخية تطورا في موضوعاتها ومناهجها ورؤاها، بفضل مجموعـــة مـــن المـــؤلفين، فتنوعت حقولها لتطرق الميادين التقليدية من تواريخ عالمية وإقليمية وســـير وطبقـــات وتـــراجم ومغازي، وعلم أنساب ...الخ، كما استحدثت موضوعات جديـــدة تتمثـــل في تـــاريخ الأدب (الأنتولوجيات)، والمذكرات الشخصية، ولإبراز هذه الميادين يجب أن نتناول بالدراسة أهم هـــذه الحقول التي طرقها الأندلسيون وألفوا فيها، وكذلك الاتجاهات التي اتبعوها في كتابتهم لها.

أولا: التاريخ العالمي الإسلامي أو الجامع

لم يبتدع الأندلسيون هذا النمط من التدوين التاريخي، وإنما ألفوا فيه تماشيا مع ما كتب في المشرق الإسلامي وعموما يتناول هذا النوع من الكتابة التاريخية تاريخ البشرية من بداية الخلق إلى غاية عصر المؤلف، ومن أوائل من كتبوا في هذا المجال اليعقوبي (ت 284هـ/897م) صاحب "كتاب التاريخ الكبير"[1]، والطبري (ت 310هـ/922م) مؤلف "تاريخ الرسل والملوك"[2]، والمسعودي (ت 346هـ/957م) صاحب "مروج الذهب ومعادن الجوهر"[3]، هؤلاء الإخباريون تمثل كتاباتهم نماذج للتاريخ العالمي وفق المنظور الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، إلى جانب كتب أخرى لمؤرخين مسلمين ونصارى وبعض اليهود سارت على هذا النهج، ومن أمثلتها ما كتبه الأصفهاني (ت 366هـ/997م)، وأغابيوس الملقب بمحبوب الرومي (عاش خلال ق4هـ/10م) وابن البطريق (ت 328هـ/939م)وغيرهم، لكنها لم تبلغ في أهميتها ما بلغته النماذج المذكورة سابقا[4]، ثم جاء بعدهم مؤلفون آخرون وكتبوا في هذا المجال ولكن برؤى ومناهج تختلف عن سابقيهم إلا أنهم لم يخرجوا من الإطار العام لهذا النموذج.

في الفترة نفسها عرفت الأندلس كتابة تاريخية على هذا النمط، إذ كتب عبد الملك بن حبيب السلمي (238هـ/852م) "كتاب التاريخ" وهي محاولة لكتابة تاريخ عالمي قبل أن يكتب الطبري تاريخه المشهور، إلا أن هذا النوع من الكتابة لم يلق تجاوبا في الأوساط الأندلسية مقارنة بالتاريخ المحلي، بدليل أن أسرة الرازي أعطت منذ هذه الفترة سلسلة من المؤرخين اهتموا بتاريخ الأندلس وجغرافيته مانحين بذلك الأندلس هوية إقليمية من خلال مؤلفاتهم[5].

وفي النصف الثاني من القرن 4هـ/10م حاول عريب بن سعد القرطبي (ت 369هـ/997م) إحياء التأريخ العالمي، بعد أن خفتت الكتابة فيه في المشرق والغرب الإسلامي معا وذلك من خلال تلخيصه لتاريخ الطبري وتذييله من خلال تلخيصه لتاريخ الطبري وتذييله، وإضافة أخبار الأندلس والمغرب إليه[6]، لكن

---

[1]- دار صادر، بيروت، (دت).

[2]- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973.

[3]- تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، 1967.

[4]- أنظر السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص 99، 100.

[5]- عمارة علاوة: الكتابة التاريخية في الغرب الاسلامي، ص 334.

[6]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 206. محمود إسماعيل: الفكر التاريخي، ص 75.

هذه المحاولة لم تؤثر في السياق العام لتطور الكتابة التاريخية في الغـــرب الإسلامي، بحيـــث كـــان مصيرها الفشل كسابقتها من المحاولات التي كان وراءها البلاط الأموي[1].

وفي أواخرالقرن 4هــ/10م ظهر عبد الملك بن أحمد بن شهيد (ت 393هــ/1003م) الذي تتلمذ على يد قاسم بن أصبغ، ووهب بن مسرة، وصحب المنصور بـــن أبي عـــامر، فقـــام بتصنيف كتاب على نمط التاريخ العام بعنوان "التاريخ الكبير في الأخبار" على ترتيب السنين بداية من سنة 40هــ/660م منتهيا بأحـــداث عـــصره التي انقطعت بوفاته، وهـــو أزيـــد علـــى مائة سفر[2]، وقد ورد ذكره عـــند ابن بشكوال[3]، والسيوطي[4]، وحاجي خليفـــة[5]، ولا زال هـــذا الكتاب مفقودا حتى الآن، ويُرجّح محمود إسماعيل[6] على أنه أُحرق ضمن ما أُحرق من مـــصنفات المدرسة الحزمية. وقد اتخذ عبد الملك في تأريخه أحداث المشرق مدخلا لتاريخ الأندلس، ويظهر أنه أراد أن يؤرخ للأسرة الأموية بشقيها المشرقي والأندلسي، ولذلك بدأ تاريخه من سنة تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة حتى أواخر القرن 4هــ/ 10م.

وفي أندلس القرن 5هــ/11م برز فيه أبوبكر أحمد بن سعيد بن أبي الفياض (ت 459هــ/ 1066م) صاحب كتاب "العبر"، وأبو القاسم أحمد بـــن صـــاعد الطليطلـــي (ت 462هـــــ/ 1069م) صاحب "طبقات الأمم" اللذان يدخل كتابيهما ضمن التـــاريخ العالمي الإسلامي، لكن لكل منهما طريقته و منهجه، والمواضيع التي طـــرقهـــا و عـــالجها في مؤلفـــه، أيضا كتب ابـــن حزم (ت 456هــ/ 1064م) في هذا المجال، وتمثل مصنفاته كـــ"الفصل في الملـــل والأهـــواء والنحل"، و"جمهرة أنساب العرب"، و"نقط العروس في تواريخ الخلفاء"، مؤلفات تشترك في عنصر التواريخ العالمية الإسلامية وهي الفكرة التي ركز عليها بلاط قرطبة على عهد المستنصر[7]، وأســـتمر

---

[1]- عمارة علاوة: الكتابة التاريخية في الغرب الاسلامي، ص 339.

[2]- ابن حيان: المقتبس،(الجزء الخامس) تحقيق بدرو شالميتا وآخرون، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979، ص 46.

[3]- الصلة، مج2، ص 289.

[4]- بغية الوعاة، تحقيق محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، 1909، ص 311.

[5]- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص 281.

[6]- الفكر التاريخي، ص 86.

[7]- عمارة علاوة: الكتابة التاريخية في الغرب الاسلامي ، ص 340.

ذلك حتى بعد سقوط الخلافة مع ذوي الميول الأموية[1]. ولكي نعطي صورة على هذا النمط من الكتابة التاريخية خلال هذا القرن سنخصص فيما يلي دراسة لابن أبي الفياض وصاعد الطليطلي وهذا عن طريق التعريف بهما، ودراسة محتوى كتابيهما بشكل موجز، على الرغم من فقدان مصنف ابن أبي الفياض، ولكن ندرسه من خلال بعض الورقات المخطوطة التي قام بتحقيقها عبد الواحد ذنون طه والتي عثر عليها عام 1967 بمكتبة الأسكوريال بمدريد مندرجة خطأ في نهاية مخطوطة "الحلة السيراء" التي حققها حسين مؤنس[2]، وأيضا من خلال ما وصلنا من نصوص جاءت في الكتب التاريخية اللاحقة خصوصا عند ابن الأبار، وابن عذاري المراكشي .

ابن أبي الفيّاض وكتاب العبر:

ولد أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض، والمعروف بابن الفشاء[3] في مدينة أستجة[4] حوالي عام 379هـ/990م، وعاش معظم حياته في مدينة المرية، وليست هناك تفصيلات كثيرة عن حياة هذا المؤلف، ولا توجد له إلا ترجمة مقتضبة في كتاب الصلة لابن بشكوال يقول فيها "أصله من أستجة وسكن المرية، يكنى أبا بكر. سمع بأستجة من يوسف بن عمروس، وبالمرية من أبي عمر الطلمنكي، وأبي عمر بن عفيف، والمهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة وغيرهم. وله تأليف في الخبر والتاريخ. وتوفي في تسع وخمسين وأربع مئة وقد خانق الثمانين سنة، ذكره ابن مدير"[5]. وقد جاء ذكره في بعض المؤلفات المتأخرة، حيث خصّوه ببعض الأسطر التي لا تتعدى على ما أورده ابن بشكوال في صلته[6]. و يبدو من خلال نص ابن بشكوال أن ابن أبي الفياض عاش مدة معتبرة بمدينة أستجة، بلغ فيها عمرا يسمح له بالسماع والأخذ والدراسة عن

---

[1]- حول الإيديولوجية الأموية ودورها في خدمة التاريخ، أنظر الدراسة القيمة التي قام بها غابريل مارتيناز Gabriel) Martinez-Gros (المذكورة سابقا.

[2]- أنظر عبد الواحد ذنون طه: دراسات في التاريخ الأندلسي، ص 126.

[3]- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 10، 312.

[4]- أستجة Eciga وهي مدينة قديمة مسورة لها عدة أبواب، وهي مدينة واسعة الأرباض، كثيرة البساتين، تقع جنوب قرطبة، ولها جامع مبني بالصخر. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص .

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص66.

[6]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 212. حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 107، هامش (1). وأنظر عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص 60. وأنظر Pens Boigues: *op. Cit.* p. 138- 139.

أحد مؤدبيها وهو يوسف بن محمد بن يوسف بن عمروس أبو عمر الأستجي[1]. ثم انتقل إلى مدينة المرية وسبب ذلك ربما يعود إلى أن هذه المدينة أصبحت مقرا لإحدى ممالك الطوائف بعد تـــدهور الخلافة من جراء الفتنة القرطبية منذ عام400هــ/1009م. ولما تغلب عليها خيران العـــامري في عام 405هــ/ 1014م الذي اشتهر بين رعيته بالعدل والإحسان والكـــرم وحـــسن التـــدبير، فازدهرت المرية في أيامه عمرانيا وعلميا[2]، ونظرا لصفاته الحميدة نال إعجاب الكثير مـــن الأدبـــاء وأهل الثقافة في زمانه[3].

ولّما توفي خيران سنة 419هــ/1028م خلفه أخوه الفتى زهير الذي دام حكمه إلى سنة 433هــ/1041م، حيث انتقلت بعده إلى حكم بني صمادح التجبيين وهي من الأسر السياسية التي اهتمت بالأدب، والشعر على وجه الخصوص وأسهم ملوكها بدور فعّال في ازدهار الحياة العلمية بها، ومنهم محمد بن معن بن صمادح الملقب بالمعصم بالله الواثق بفضل الله (ت 484هــ/ 1093م) الذي قرّب إليه العلماء، وشجعهم على التدريس والتأليف مما جعل العديد من الكتاب والمؤلفين يثنون عليه ويمتدحونه[4]. وقد يكون لهذا الجو العلمي أثره في بقاء ابن أبي الفياض بهذه المدينة التي حكمت من قبل هذا الأمير لفترة تزيد عن أربعين عن أربعين عاما.

ومن الشيوخ البارزين الذين درس عليهم ابن أبي الفياض بمدينة المرية أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت 420هــ/ 1029م) الذي كان يُعد أحد العلماء المشهورين في القراءات، إلى

---

[1]- أنظر ترجمته ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 453. الحميدي: المصدر السابق، ص 331. الضبي: المصدر السابق، ص 426.

[2]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 211، 212.

[3]- منهم ابن دراج القسطلي (ت 421هــ/ 1030م) الذي مدحه في قصيدته الشهيرة، التي مطلعها :

لك الخير قد أوفى بعهد خيران   وبشراك قد آواك خير وسلطان

هو الجنح لا يدعي إلى الصبح شاهد   هو النور لا يبغي على الشمس برهان

ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق1، ص 74- 78. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 212- 215.

[4] - من هؤلاء الذين أثنوا عليه وأقروا له بهذا الفضل، أحدهم وصفه بأنه: "كان رحب الفناء، جزيل العطاء، حليما عن الدماء والدهماء، طافت به الآمال واتسع في وصفه المقال، وأعملت إلى حضرته الرحال، ولزمه فحول من شعراء الوقت"، ابن بسام: المصدر السابق، مج2، ق1، ص 733، وقال فيه آخر: "ملك أقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في انتظامها واتساقها وأنبتت في جبين أوانه رسمها و لم تخل أيامه من مناظرة ولا عمت إلا بمذاكرة ومخاطرة"، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 169-197.

جانب علمه الكبير في الحديث والفقه، كما يعرف عليه الثقة في الرواية جعله مقصدا لكثير من طلاب الأندلس الذين رووا عنه ومن أبرزهم ابن حزم وابن عبد البر النمري وغيرهما[1].

وممن سمع وتتلمذ عليهم أيضا القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف (ت 433هـ/1041م)[2]، وكذلك المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة (ت 436هـ/1044م) وهو أيضا من الفقهاء المحدثين[3]. وبالرغم من أن هؤلاء الشيوخ الذين سمع منهم ابن أبي الفياض فهم من الفقهاء، إلا أنهم ساهموا في تكوين الحس التاريخي لديه وهذا من خلال استماعه للروايات المختلفة وتقصيه للأحاديث وحرصه على الإسناد غير أنه لم يعتمد عليهم كثيرا في تأليف كتابه "العبر" الذي هو كتاب تاريخي بالأساس بعيد عن تخصص بعض هؤلاء الشيوخ في الفقه والحديث[4]

ويظهر من الرواية التي أوردها ابن بشكوال من أن أحمد بن عمر العذري (ت 478هـ/1085م) المحدث المشتهر ببعض الكتابات التاريخية قد كتب عن أبي أحمد بن محمد بن عفيف والمهلب بن أحمد بن أبي صفرة[5] هذان الفقيهان كما رأينا يُعدّان من شيوخ ابن أبي الفياض، وهذا ليعطي دلالة على التقاء هذين المؤرخين يعني - ابن أبي الفياض والعذري وتأثر كل منهما بالآخر و خاصة في كتابة التاريخ المرتبط بالجغرافيا الوصفية، لأنهما عاشا في عصر واحد تقريبا، وسكنا في نفس المدينة أي المرية[6] .

ويذكر ابن الخطيب[7] رواية عن المنصور ابن أبي عامر نقلها من كتاب العبر التي يذكر صاحبه بأنه أخبره بها الفقيه ابن حزم، وهذا دليل آخر على التقاء المؤلف بهذا الأخير.

أما كتابه العبر فلم يبق منه سوى قطعة صغيرة مخطوطة ونصوص متفرقة احتفظ لنا بها بعض الإخباريين في مؤلفاتهم.

---

[1]- أنظر ترجمته عند الحميدي : المصدر السابق، ص100. والضبي : المصدر السابق، ص139. وابن بشكوال : المصدر السابق، مج1، ص 52.

[2]- أنظر الحميدي : المصدر السابق ، ص361، الضبي: المصدر السابق ، ص 138

[3]- ابن شكوال : المصدر السابق، مج2، ص485.

[4]- عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص 60.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 71.

[6]- عبد الواحد ذنون طه: دراسات في التاريخ الأندلسي، ص 130.

[7]- اعمال الأعلام، ص 77.

وقد قام عبد الواحد ذنون طه[1] قبل عدة سنوات بنشر هذه القطعة، التي هي على جانب كبير من الأهمية لأنها تمثل جزءا من كتاب مفقود، وفضلا عن فقدانه، فقد غاب عند الكثير من مصنفي الفهارس والمعاجم الخاصة بالكتب ولم يذكره ابن خير في فهرسته ولا حاجي خليفة في كشف الظنون، ولكن كُتّابا آخرين أشاروا إليه باسم (العبر أو العبرة) مثل ابن حزم[2]، وابن الأبار[3]، بينما يكتفي ابن بشكوال بالقول بأن له "تأليف في الخبر والتاريخ"[4]، ويسميه ابن الشباط (ت 816هـ 1282م) بكتاب (العبرة)[5]، وجاء ذكره في نفح الطيب بثلاثة أشكال هي (كتاب العبر) و(كتاب العيق) و(كتاب العين)[6]، أمّا المستشرق الإسباني بونس بويغس في كتابه "تراجم المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين" فيذكره باسم (الحبر)[7]. ولكن يبدو أن كل هذه الأشكال التي ذكرت ما هي إلا تصحيف لعنوان الكتاب (العبر).

لقد خلص عبد الواحد ذنون طه[8] بقوله: "أنه من ملاحظة الصفحة الأولى للقطعة المتبقية من هذا التاريخ نجد في نهايتها عبارة (تمّ الجزء الأول) الذي ينتهي بأحداث حملة طارق بن زياد، يبتدئ الجزء الثاني بحملة موسى بن نصير". ويرى حسين مؤنس[9] أن الجزء الأول ربّما كان يدور حول جغرافية الأندلس قياسا على التقليد الأندلسي من التمهيد للتاريخ بالوصف الجغرافي. ويدعم هذا الرأي ما ذكره عبد الواحد المراكشي[10] في الذيل الجغرافي الذي ألحقه بكتاب المعجب من أن ابن أبي الفياض قد ألف كتابا جغرافيا يدخل في باب المسالك والممالك، ولكن المصادر المتوفرة لم تذكر بأن ابن أبي الفياض صنّف كتابا مفردا في المسالك والممالك، مما يسمح لنا القول بأن المقدمة

---

[1]- نشرها سنة 1983 بمجلة المجمع العراقي، الجزء الأول -المجلد الرابع والثلاثون- ، ثم أعاد نشرها في كتابه دراسات في التاريخ الأندلسي، ص 139-154.

[2]- رسالة في فضل الأندلس (المقري: المصدر السابق، ج3، ص 182).

[3]- الحلة السيراء، ج2، ص 10، 312.

[4]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 66.

[5]- أنظر وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد 1971، ص164.

[6]- Pascal Gayangoes *: The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, New york – London, 1964, vol. I. p. 474.

[7]- Pens Boigues: *op. cit.* p. 198.

[8]- نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص 60-61.

[9]- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص 106.

[10]- المعجب، ص 431.

الجغرافية كانت طويلة جعلت عبد الواحد المراكشي يدرجها ضمن كتب الممالـــك والمـــسالك[1]، ويؤيد كذلك هذا الاتجاه ما ذكره مؤلف روض القرطاس[2] بأن لابن أبي الفياض كتـــابين؛ الأول دون عنوان والثاني هو كتاب العبر .

إلا أن المؤرخين لم يذكروا إلا كتابا واحدا لابن أبي الفياض في التاريخ. ولهـــذا فالغالـــب أن الكتاب الأول الذي أشار إليه ابن أبي زرع هو (كتاب المسالك والممالك) الـــذي تكلـــم عنـــه المراكشي[3].

ومما سبق ذكره يمكن القول بأن الجزء الأول من كتاب العبر لابد أن يكون جغرافيا مـــا دام أننا لا نمتلك شيئا من تأليف ابن أبي الفياض في الجغرافية.

من خلال النص المنشور لهذه القطعة، والنصوص الأخرى الواردة من هذا الكتاب يظهر أنـــه يضم بعد المقدمة الجغرافية، نبذة عن تاريخ الأندلس القديم والأساطير المتداولة عن ملوكهـــا[4]، ثم ينتقل بـــعد ذلك إلى ممهدات الفتح فيتحدث عن حملة طريف بن مالك الاستطلاعية[5]، وبعد ذلك يشرع في سرد حوادث الفتح في عهد طارق بن زياد وموسى بن نصير[6]، ثم يتحدث عـــن عـــصر الولاة وعصري الإمارة والخلافة إلى القرن 5هـــ/11م[7]، وهناك روايات وردت في الحلة السيراء[8] منقولة من كتاب العبر يتحدث فيها عن الخليفة الأموي سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بـــالله (400-407هـــ/1009-1016م) وهي أحداث عاصرها المؤرخ وقعت في بدايـــة القـــرن 5هـــ/11م .

1- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 107.

2- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 09.

3- المعجب، ص 431، حسين مؤنس: المرجع السابق، ص. 107.

4- أنظر رواية ابن أبي الفياض التي نقلها ابن الشباط : المصدر السابق، ص 166-172.

5- ابن الشباط: المصدر السابق، ص 167.

6- المصدر نفسه، ص 168.

7- عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربي بالأندلس، ص 61-62.

8 - ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2،ص 10-11.

كما ذكر ابن الخطيب[1] بعض الأخبار رواها ابن أبي الفياض عن بقايا العامريين في عهـــده ونشاطهم في الأندلس. وإلى جانب الأخبار السياسية التي تناولها كتاب العبر فانه تعـــرض أيـــضا لأخبار ثقافية ويظهر ذلك من النص الذي نقله عبد الواحد المراكشي[2] والذي يتحدث فيه ابن أبي الفياض عن دور المرأة ومشاركتها في عملية نسخ الكتب بالربض الشـــرقي من قرطبة، ويـــذكر عددهن بمائة وسبعون امرأة.

ومما نلحظه من هذه النصوص أن الكتاب يختص بتاريخ الأندلس باستثناء النص الذي نقله ابن عذارى المراكشي عن ابن أبي الفياض عن حملة عقبة بن نافع على السوس الأقصى. ويرى عبد الواحد ذنون طه[3] أن هذا الكلام عن شمال المغرب ربما ورد ضمنا في تاريخ الأندلس. لكن مـــا دام أننا لا نمتلك معلومات تؤيد هذا الأمر، فالكتاب ضائع والنصوص المتوفرة قليلة جدا. لـــذلك قـــد يكون صاحبه قد تطرق إلى تاريخ المغرب وغيره وإلاّ ما أعدّه المؤرخون من بين كُتُـــب التـــاريخ العالمي.

أما مصادره في هذا الكتاب فقد ذكر العديد من المؤلفين الذين اعتمد علـــيهم في تاريخـــه، ويمكن أن نذكرهم بالاعتماد على القطعة المحققة والنصوص التي جاءت في مؤلفـــات المـــؤرخين المتأخرين. ففي كلامه عن جغرافية الأندلس وتاريخها قبل الفتح الإسلامي اعتمد على جغـــرافيين ومؤرخين سبقوه أو عاصروه، ونذكر منهم على سبيل المثال العذري الذي أشرنا إليـــه ســـالفا، وكذلك أبو عبيد الله البكري (ت 487هـ/955م)[4]. ويمكن قد اطلع كذلك على مؤلفات أحمد بن محمد الرازي الجغرافية والتاريخية واستفاد منها، وعلى الأخص في تنظيم كتابـــه وتجزئتـــه إلى جزأين، أحدهما خاص بالجغرافيا والآخر بالتاريخ[5]، وهو المنهج الذي سار عليه العديد من مؤرخي

---

[1]- إعمال الأعلام، ص 193. -194.

[2]- المعجب، ص 456-457.

[3]- دراسات في التاريخ الأندلسي، ص 133.

[4]- أنظر ابن الشباط: المصدر السابق، ص164، 167، 172.

[5]- انظر مؤلفات الرازي التي ذكرها ابن حزم برسالته في فضل الأندلس، المقري: المصدر السابق، ج3، ص 160. الحميدي: المصدر السابق، ص 92. الضبي: المصدر السابق، ص 130 ، وأنظر أيضا: Pens Boigues: *op. cit.* p. 63- 64.

.

الأندلس. كما يذكر ابن أبي الفياض أنه اعتمد على عبد الملك ابن حبيب في أخباره عن فتح مدينة ماردة[1].

وفي أخباره المتعلقة بالعلاقة بين أولاد غيطشة الملك القوطي وطارق ابن زياد فيذكرها ابـــن الشباط عن ابن أبي الفياض الذي يعتمد فيها عن أبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية (ت 367هـــ/977م) هذا الأخير يذكر بأنهم فضّلوا التعاون مع المسلمين مقابل تامين ضـــياعهم في الأندلس التي تبلغ ثلاثة آلاف ضيعة[2].

وفي تأريخه للأحداث التي عاصرها أو عاش قريبا منها نجده يعتمد على ملاحظاته الخاصة، أو يقول: "أخبرني أحد إخواني قال"[3]، أو يعتمد على من عاصروه من المؤرخين الذين ينقلون عن رواة شاهدوا أو حضروا الأحداث مثل ما يرويه عن ابن حزم فيقول: "أخبرنا الفقيه أبو محمد علي بـــن أحمد قال :أخبرني محمد بن موسى بن عزرون، قال: أخبرني أبي قال: اجتمعنا يوما في منتزه لنا بجهة الناعورة بقرطبة، ومعنا ابن أبي عامر..."، ثم يذكر الرواية التي يطمع فيها المنـــصور إلى حكـــم الأندلس، ويطلب فيها أترابه، أن يتمنوا عليه بما يريدون أن يتقلدوا من مناصب حينمـــا تتحقـــق أمنيته[4].كما يروي ابن أبي الفياض بعض الأحداث المهمة التي عاصرها، وقد احتفظ ببعض هـــذه الروايات ابن الآبار وابن الخطيب فالأول حينما تكلم عن الخليفة الأموي سليمان بن الحكم فيروي نماذج من أخباره وأشعاره[5]. وأما الثاني عند حديثه عن بقايا العامريين الذين استقروا أثناء الفتنـــة بشرق الأندلس[6].

---

[1]- أنظر النص المنشور لابن أبي الفياض (عبد الواحد ذنون طه: دراسات في التاريخ الأندلسي)، المرجع السابق، ص 146.

[2]- أنظر ابن الشباط: المصدر السابق، ص 169-170. وأنظر أيضا ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص 20، 21.

[3]- أنظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 11.

[4]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 77-78.

[5]- الحلة السيراء، ج2، ص 10-11.

[6] - إعمال الأعلام، ص 193-194.

صاعد الطليطلي وكتابه طبقات الأمم

هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي[1]، والمعروف بصاعد الأندلسي أو القاضي صاعد[2]، من قبيلة تغلب العربية التي جاءت إلى الأندلس مع طوالع الفتوحات الإسلامية، كان والد أحمد يشغل منصب القضاء في طليطلة حتى وفاته سنة 448 هـ/1056م، كما شغل جده عبد الرحمن أيضا عدة مناصب هامة أبرزها توليه لقضاء شدونة بعد عودته من المشرق[3].

ولد صاعد في مدينة المرية سنة 420هـ/1029م عاصمة بني ذي النون آنذاك، والمصادر لا تعطينا فكرة واضحة عن طفولة صاعد وإنما نعرف من طبقات الأمم بأنه طاف البلاد الأندلسية في سن شبابه الباكر طلبا للعلم، ويبدو أنه تتلمذ على ابن حزم لمّا كان مقيما بشاطبة على الأرجح وحضر دروسه في الفقه والتاريخ. كما أنه يُخبرنا عن المراسلات التي كانت تجري بينه و بين هذا العالم في كتابه طبقات الأمم[4]. وعندما بلغ الثامنة عشر من عمره انتقل إلى طليطلة لدراسة العلوم والفقه والأدب[5]، وكانت طليطلة يحكمها يحيى بن إسماعيل الملقب بالمأمون (429-467هـ/1037-1074م) الذي عرفت في أيامه مملكة بني ذي النون تطورا ملموسا في شتى المعارف العلمية[6]. وهناك تعرف على العالم الطليطلي هشام بن أحمد الكناني المعروف بالوقشي[7]، الذي درس عليه الرياضيات والفلك والطب. وعلاقات صاعد بهذه الشخصية هي التي فتحت أمامه أبواب القصر الملكي حيث بدأ يلقى الرعاية المادية والمعنوية.وبتأثير العالمين الكبيرين ابن حزم أولا والوقشي ثانيا بدأ يكرس وقته وجهده للعلوم والتاريخ. وشهرته التي حصل عليها بعد وقت قصير من حلوله في طليطلة كعالم كبير جعلت المأمون يعطيه وظيفة القضاء التي ظل يمارسها حتى وفاته[8]،

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 200- إعمال الأعلام، ص 193-194.

[2]- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص 420.

[3]- عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت(د.ت) ، ص 247.

[4]- صاعد: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 12.

[5]- - المصدر نفسه، ص 220.

[6]- - انظر ابن بسام: المصدر السابق، مج2، ق1، ص 401.

[7]- عن ترجمته أنظر صاعد: المصدر السابق، ص 190. وأنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 504-505 .

[8]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 200.

إلا أن هذه الوظيفة الهامة والكبيرة ما شغلته أبدا عن متابعة الكتابة والتأليف، ومن الأرجح أنه قسم وقته في البلاط بين عمله كقاضي وبين اشتغاله بالعلم والكتابة.

ألّف صاعد العديد من الكتب المختلفة التي ضاعت كلها وقد عرفنا عنها لأنه ذكرها في "طبقات الأمم"، هذا الأخير الذي بقي من تآليفه العلمية والتاريخية والفلسفية ، فيذكر أن له كتاب في علم الفلك أشار إلى مضمونه بقوله: "كتابي المؤلف في إصلاح حركات النجوم"[1]، وكتاب آخر في جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم[2]، وقد جاء ذكره أيضا عند حاجي خليفة[3]، والمقري[4] الذي قال: "وللقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي كتاب"التعريف بأخبار علماء الأمم"، هذا الكتاب الثاني يتكلم فيه عن ديانات الشعوب المختلفة وهو على الأرجح كتاب ابن حزم في الموضوع ذاته[5]. كذلك يذكر صاحب كشف الظنون أن صاعدا ألف كتابا في تاريخ الطب[6]، لكنه لم يصلنا. كما ذكر الزركلي في الأعلام أيضا أن لصاعد مصنفا في تاريخ الإسلام وآخر في تاريخ الأندلس[7].

يعدُّ كتاب "طبقات الأمم" نتاج ثقافة موسوعية في الفلسفة والطب والرياضيات والمنطق فضلا عن الإثنوغرافيا والجغرافية التاريخية وسائر مقومات الحضارة[8]، وهذا ينمي على تطور الفكر التاريخي الأندلسي في موضوعاته ومناهجه ورؤاه بفضل هذا المؤرخ الذي ينتمي إلى المدرسة الحزمية. وباستعراض محتوى الكتاب يظهر أنه يدخل ضمن التاريخ العالمي من خلال تناوله لتواريخ الأمم الأخرى كالفرس والكلدانيين واليونان والروم والقبط والهنود وأهل الصين، مُصنّفا إيّاها إلى أمم متحضرة وأخرى بدائية، يقول: "فطبقة عنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم، وصدرت

---

[1]- صاعد: المصدر السابق، ص 120.

[2]- المصدر نفسه، ص 95، 229، 236.

[3]- كشف الظنون، ج1، ص 610.

[4]- نفح الطيب، ج2، ص 123.

[5]- صاعد: المصدر السابق، ص 92، قال صاعد وهو يتكلم عن أمة الهند:" لهم...أراء كثيرة ومذاهب متفرقة على حسب ما بيناه في كتابنا في مقالات أهل النحل والملل".

[6]- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص 270.

[7]- الأعلام، ج3، ص 271.

[8]- محمود إسماعيل: الفكر التاريخي، ص 89.

عنها متون المعارف، وطبقة لم تعن بالعلم عناية تستحق بها اسمه، أو تعد من أهله، فلم تنقل عنها فائدة حكمة ولا رويت لها نتيجة فكرة "[1].

والذي يفهم من هدا النص بأن صاعدا قسّم هذه الأمم على أساس حضاري، وهو معيار موضوعي بعيد عن روح التعصب والشعوبية التي سادت الكتابات السابقة في التواريخ العالمية.[2]

فأمّا الطبقة التي عنيت بالعلوم فهي ثمانية أمم: أهل الهند والفرس والكلدان واليونان والروم وأهل مصر والعرب والعبرانيون[3].

أمّا الطبقة التي لم تعن بالعلم فهي "بقية الأمم بعد من ذكرنا من الصين ويأجوج ومأجوج وبرطاس والسرير والخزر وجيلان وطبلشان ومدقان وكشك والصقالبة والبرغر والروس والبرجان والبربر، وأصناف السودان من الحبش والنوبة والزنج وغانة وغيرهم"[4].

وقد اعتمد صاعد في تأليف هذا الكتاب على العديد من المصادر التي أشار إليها ومنها كتاب المسعودي، فكان يذكر ما أخذه عنه مسبوقا بعبارة "قال: ابن الحسن علي بن الحسين المسعودي"[5] كذلك أخذ عن ابن قتيبة الدينوري من خلال العبارة الواردة في كتابه "قال ابن قتيبة "[6]. كما يبدو أنه استفاد من رجال العلم والفكر في طليطلة، وخارجها على اختلاف توجهاتهم الدينية المذهبية والفكرية، وتأثير أستاذه ابن حزم الذي كان واسع الإطلاع والمعرفة، وأيضا بتأثره وإعجابه بإخوان الصفا وتعاليم ابن مسرة[7]، إلى جانب إطلاعه على تواريخ الأمم التي كانت متوفرة في مصادر معينة كالتوراة والإنجيل وتاريخ يوسيفوس وغيرها[8]، وكذلك فإن صاعدا قد اطلع على تواريخ هيروشيش الذي ترجم إلى العربية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر. كما نلمس من طبقات الأمم بأن صاعدا كان يعتمد على الروايات الشفوية ولقاء الشيوخ ومحاورة الأقران، فوظيفته كقاضي جعلته يستفيد لما يجري حوله من دقائق الأمور وبمقابلة شخصيات العصر

---

[1]- صاعد: المصدر السابق، ص 70.

[2]- - محمود إسماعيل: الفكر التاريخي، ص 89 .

[3]- صاعد : المصدر السابق، ص 79، 81، 82.

[4]- صاعد: المصدر السابق، ص 85-86.

[5]- المصدر نفسه، ص 105.

[6]- المصدر نفسه، ص 210.

[7]- المصدر نفسه، ص 168.

[8]- المصدر نفسه (مقدمة المحقق)، ص 15.

حيث ذكر بعض الأخبار التي استقاها منهم بقوله: "أخبرني فلان"[1]، إلا أنه كان يمعن النظر في مـــا نقلـــه أو سمعه محققا ومدققا ويبدي رأيه فيه مسبوقا بعبارة: "قال صاعد"[2]

ويمكن بصورة عامة اعتبار كتاب طبقات الأمم أهم مـــصنف في تـــاريخ العلـــوم وضـــعه المسلمون في العصر الوسيط، ويؤكد ذلك كون مشاهير المؤرخين في هذا المجال من أمثال ابـــن أبي أصيبعة (ت 668هـــ/1270م)، وابن القفطي المصري (ت 646هـــــ/1246م)، والمـــؤرخ النصراني ابن العبري (ت 685هـــ/1286م) قد اعتمدوا أخباره في مصنفاتهم، التي كانت أحـــد المراجع الأساسية لتواريخ العلوم في أوروبا[3].

1- صاعد: المصدر السابق، ص 190.

2- المصدر نفسه، ص270.

3- Régis Blanchère: "Une source de l' histoire des sciences chez les Arabes al- Umam de said al Andalusi" *Hespéris* 8, (1928), p. 357- 361.

ثانيا: التاريخ المحلي والإقليمي

هذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالعصبية للأمصار وارتباط المؤرخ بإقليمه واعتـــزازه بوطنه. وتعتبر هذه الكتابة إحدى أنماط التدوين التاريخي العربي الإسلامي، التي ظهرت مبكرا على شكل تواريخ لبعض المدن الإسلامية، أو كتابة تواريخ بعض أقاليم دار الإسلام، فقد ألف ابن زبالة كتابه "أخبار المدينة" في حدود سنة199هـــ/814م[1]، كما ألـــف الأزرقـــي (ت 244هـــــ/ 858م) كتابه "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار"[2]، وكتب أبو الشيخ الأنصاري (ت 369هــ /979م) كتابه "طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها"[3].

وفي الأندلس كان الاهتمام بهذا المجال كبيرا، وذلك راجع إلى بعد هذه الجزيرة عن مركـــز دار الإسلام،كما أن تفكك العالم الإسلامي وانقسامه بين الخلافة العباسية ببغــداد، والفـــاطميين بالمغرب ومصر المناوئين للخلافة الأموية بالأندلس هذه الأخيرة التي عملت على توحيد الأنـــدلس تحت رايتها بمقاومتها للمد الشيعي من جهة، وتصديها للخطر المسيحي من جهة أخرى، جعلـــت الحكام الأمويين يشجعون على تأليف الكتب التاريخية التي تتعلق بتاريخ الأندلس، وتعددت أوجـــه الكتابة في هذا المجال فمن المؤرخين من عني بكتابة تاريخ عام للأندلس في شتى نواحيه الـــسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية وغيرها، ومنهم من اتجه إلى التأريخ للمدن الأندلسية، فالبنسبة للوجه الأول اتخذ من أسلوب الكتابة على السنين منهجا له في التدوين فجاءت كتابـــات أحمـــد الرازي وابنه عيسى خير مثل لهذا، واتخذت بعضها الآخر من عهود الأمراء والخلفاء متكئـــا لهـــا تتخذه قاعدة لكتابة تاريخ الأندلس، وجاء كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس"[4] لابن القوطية ممثلا لهذا الأسلوب. أمّا الوجه الثاني الذي عني بالتأريخ للمدن الأندلسية المختلفة فقد حظيت فيـــه قرطبـــة باهتمام عال من المؤرخين فألف أحمد الرازي موسوعته الضخمة الموسومة ب"صفة قرطبة وخططها

---

[1]- العلي، صالح أحمد: المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مطبعة المجمع العراقي، بغداد، 1964، ص13.

[2]- نشره رشدي الصالح ملحي، مكة، 1942م.

[3]- تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

[4]- تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

ومنازل العظماء بها" وقد علق الحميدي على ذلك مقارنا بينها وبين تاريخ بغداد بقوله: "على نحو ما بدأ به أحمد بن أبي طاهر في أخـــبار بغـــداد"[1]. كما ألـــف مطـــرف بـــن عيسى الغساني (ت 357هـــ/985م) العديد من الكتب تخص مدينة البيرة ومن أهمها كتاب "المعارف" في أخبار كورة البيرة وأهلها وبواديها وأقاليمها وغير ذلك من منافعها وقد ذكر ابن بشكوال بأنـــه ألفـــه للحكم المستنصر[2]، وقد نالت مدينـــة ريـــة اهتمامـــا مـــن قبـــل إســـحاق بـــن ســـلمة (ت 399هـــ/1009م) الذي ألف كتابا يشتمل على أجزاء كثيرة من أخبار رية من بلاد الأنـــدلس وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها[3].

ولما سيطرت الحجابة على الخلافة في أواخر القرن 4هـــ/10م صنفت كتابـــات تتعلـــق بالدولة العامرية أهمها ما كتبه عبد الرحمن بن محمد بن معمر (ت 423هـــ/1032م) في كتابـــه "الدولة العامرية"[4]، وحسين بن عاصم (ت 449هـــ/1057م) في مصنفه "المآثر العامرية"[5].

أما في القرن 5هـــ/11م تعاظمت الكتابة التاريخية عن أقاليم ومدن الأندلس خصوصا في عصر ملوك الطوائف الذي شهد تجزئة الأندلس إلى"مدن -إمارات-" فكتب إبراهيم بن وزمـــور الحجازي تاريخا لمدينة رية، و قد عهد إليه المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ونواحيها بتأليف كتاب في شعراء وادي الحجارة وتاريخها ومؤرخيها[6].كما كتب محمد بن يوسف الشلبي (عاش بين القرنين5 و6 هـــ/ 11و12م) تاريخا لبني عباد أصحاب اشبيلية[7]، وهناك كُتّاب اهتموا بتبيـــان فضائل الأندلس رغم التمزق السياسي الذي كانت تعيشه مُبدين في ذلك نوع مـــن الحـــنين إلى الخلافة الأموية التي ارتبطت في وجدانهم وذاكرتهم بوحدة الأندلس ومجدها جعلهم يتعصبون لتاريخ بلدهم، ومن أهمهم ابن حزم الأندلسي الذي ألف رسالته عن "فضائل أهل الأندلس"[8] التي رد فيها

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 92.

[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 482.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 149.

[4]- أنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 271. وأنظر إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، دار الفكر، بيروت (د.ت)، ج1، ص 516. وأنظر القفطي: المصدر السابق، ج2، ص 146.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 129. القفطي: المصدر السابق، ج2، ص. 146.

[6]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 304 .

[7]- المرجع نفسه، ص 240.

[8]- احتفظ المقري بنصها في كتابه نفح الطيب، ج3، ص 158- 179.

على خطاب أبي علي الحسن بن الربيب التميمي إلى أبي المغيرة عبد الوهاب ابن عم ابن حزم حول تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبـــار علمائهم ومـــآثر فضلائهم[1]. وتضمنت هذه الرسالة أخبارا

عن الجوانب الحضارية والاجتماعية والفكرية، فضلا عن الأبعاد الجغرافية، حاول فيها ابـــن حزم إبراز واستعادة ملامح الشخصية الأندلسية بعد أن تعرضت للمسخ والتشويه في عصر الفتنـــة وملوك الطوائف[2].

ومن مؤرخي هذا العصر الذين اهتموا بتاريخ بلادهـــم أيـــضا محمـــد بـــن مـــزين (ت 470هـــ/1078م) الذي ألّف كتابا مختصرا في تاريخ الأندلس[3]، ومن الأخبار الهامة التي تنسب إليه ذكر القبائل العربية وراياها في الجيش الفاتح للأندلس، وباعتباره من الفقهاء جعله يتطـــرق إلى أحكام الملكية العقارية في الإسلام ودور الحكام الأندلـــسيين في مـــدى تطبيقهـــا في سياســـتهم الاقتصادية والجبائية[4].

ولكن أبرز ما أُلف في التاريخ المحلي والإقليمي خلال هذا القرن هو ما كتبه ابـــن حيـــان القرطبي (ت 469هـــ/1076م) من تآليف تاريخية عن الأندلس، وفي هذا المبحث سنخـــصص دراسة له ولكتابه "المقتبس في أخبار بلد الأندلس" نُوضح من خلالها أسلوبه ومنهجه كمثال علـــى هذا الاتجاه من الكتابة التاريخية.

ابن حيان وكتابه المقتبس نموذج للتاريخ الاقليمي

هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن وهب وكنيته أبو مروان، ويُعرف بابن حيـــان، وُلد في قرطبة سنة 377هـــ/989م، وتوفي سنة 469هـــ/1076م[5]، وهو أموي بالولاء وأسرته

---

[1] -ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق1، ص 81- 83.

[2]- محمود إسماعيل: ابن حزم ومدرسته، ص 294.

[3]- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 129.

[4]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 212.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 138. ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص 218. ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت 1985، ج12، ص 124. وأنظر أيضا ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 33، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1957، ج1، ص 88.

من أصل اسباني اعتنقت الإسلام، وكان جدّه مولى للأمير الأموي الأول عبد الـــرحمن الـــداخل[1] "صقر قريش" لذا حظيت أسرته بمكانة مرموقة في عهده، وبقيت كذلك في حكم أبنائه من بعده. وقد اشتهرت هذه الأسرة بالعلم والثقافة، جعل من الحاجب المنصور بن أبي عامر يلحـــق أحـــد أفرادها ببلاطه وهو خلف بن حسين والد المؤرخ ككاتب في ديوان الجبايات[2]، ثم غـــدا أقـــرب مستشاريه وكاتمي أسراره، وظلّ على مكانته وحظوته في ظل حجابة ابنه عبد الملك المظفر[3]، لذلك نشأ ابن حيان في بيت علم وسياسة وثراء، وقد تعهده والده بالرعاية، فجلب لـــه خـــيرة علمـــاء الأندلس في الأدب والتاريخ والفقه والحديث[4]. وكانت قرطبة قد غدت يومئـــذ أعظـــم مركـــز للدراسات الممتازة بالأندلس وخاصة منذ أواخر عهد الحكم المستنصر، و أوائل عهد المنصور.

تتلمذ ابن حيان على يد الفقيه والمحدث عمر بن حسين بن نابل الأموي القرطبي ويكنى بأبي حفص (ت 401هـــ/1010م)، وكان من بيت علم وفضل سافر مع أبيه إلى المـــشرق لطلـــب العلم، فضلا على ما أخذه بالأندلس، فأصبح من كبار فقهاء قرطبة[5]، وقد وصفه القاضي عيـــاض بأنه كان صدوقا وثقة وعفيفا[6]. ودرس اللغة على أبي عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج المعـــروف بابن أبي الخباب المصمودي (ت 400هـــ/1009م)، وكان ضالعا في اللغة والأخبـــار، حافظـــا ضابطا، أخذ العلم عن أبي علي القالي البغدادي وأصبح أكبر الناشرين لعلمه والراوين لكتبه الـــتي جاء بها إلى الأندلس[7].

كما أخذ في الأدب على اللغوي المشهور صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي (ت 417هـــ/1026م) الذي وفد إلى الأندلس في أيام المنصور بن أبي عـــامر، فـــانتظم في خدمتـــه

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 138. الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص 289. ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، مقدمة المحقق، ص 90.

[2]- ابن الأبار: اعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961، ص 198، وابن الأبار: التكملة، ج1، ص 241.

[3]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، مقدمة المحقق، ص 13.

[4]- القاضي عياض: المصدر السابق، ج4، ص 731.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 318،317.

[6]- ترتيب المدارك، ج2، ص 731، 732.

[7]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 32، إسماعيل البغدادي: المرجع السابق، ج5، ص 71.

وأصبح من مقربيه ومداحه، وقد اشتهر بعلمه في اللغة والأدب والأخبار، ومن أشهر مؤلفاته كتابه" الفصوص"[1] الذي تأثر به ابن حيان مما أضفى الطابع الأدبي على كتاباته التاريخية.

وإلى جانب هؤلاء الشيوخ تتلمذ أيضا على المحدّث عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي المعروف بابن الفرضي (ت 403هـ/1012م) و يظهر ذلك من خلال ذكر ابن خير له في الفهرسة عن رواية ابن حيان لمصنف أبي علي بن السكن في السنن الذي سمعه من ابن الفرضي[2]. كذلك قرأ الفقه و الحديث على المحدث النسابة أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري (ت 410هـ/1019م)[3] الذي أخذ الحديث عن علي بن السكن وأبي بكر بن إسماعيل، وكان أديبا حافظا للحديث و أسماء الرجال، تفقه بالأندلس و بقي في قرطبة إلى أن وقعت الفتنة فخرج إلى إفريقية ثم إلى مصر التي توفي بها[4].

لكن اقتصار المصادر على ذكر هذا العدد القليل من الشيوخ لا ينفي أخذ ابن حيان عن غيرهم لأن قرطبة كانت تعج في أواخر القرن 4هـ/10م بالكثير من مجالس العلماء على اختلاف مشاربهم. غير أن هؤلاء الشيوخ لا نعرف منهم أحد يحتمل أن وجّهه إلى دراسة التاريخ بوجه خاص لأنهم بعيدين عن هذا الميدان باستثناء ابن الفرضي الذي كان مفهومه بعيد عن مفهوم ابن حيان للتاريخ. ولذلك نعتقد أن اتجاه ابن حيان إلى كتابة التاريخ ترجع إلى شخصيته وإحساسه الدقيق وقدرته على الاستيعاب والنقد، وربما قد ورثها عن أبيه الذي كان موجهه الأول إلى علم التاريخ[5]، وهذا من خلال الأخبار الدقيقة التي نقلها عنه في كتبه بحكم منصبه ككاتب للديوان وكاتم لأسرار المنصور.

كانت نشأة ابن حيان في دواليب السلطة تتيح له حسن الإطلاع والوقوف على شؤون الدولة، ودراسة مختلف التيارات السياسية، فقد شهد في شبابه سقوط الدولة العامرية التي عاش في أحضانها، وما تلاها من حرب أهلية أدت إلى ضعف الخلافة الأموية ثم انهيارها، وقيام دول

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 211. ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق4، ص 15. القفطي: المصدر السابق، ج2، ص 85. ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 201، 202، وأنظر Pens Boigues: *op. cit.* p.111-113

[2]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 148.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص 48-49.

[4]- القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص 615، 616، وأنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 288.

[5]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، مقدمة المحقق، ص 26.

الطوائف على أنقاضها في القرن 5هـ/11م، بلا شك أن هـذه الأحداث التي مزقـت وحـدة الأندلس قد وسعت من مداركه وقدّمت له الكثير مـن التعليقـات الـصائبة والملاحظـات النقديـة القويـة في ما كتبـه عـن الأحداث المعاصرة له[1].

وقد سمحت له الظروف وهو المعاصر لدول الطوائف ومدون لأحداثها أن يشتغل في بلاط بني جهور في قرطبة لما شهدته هذه الأخيرة من استقرار سياسي واجتماعي جراء الإصلاحات التي قام بها أبو الحزم جهور بن محمد (422-435هـ/1031-1044م) وابنه أبو الوليد (435-457هـ/1044-1064م) إلاّ أنّ هذا الحال لم يدم على ذلك وبدأ يتغير بتولي ولديه عـبد الرحمن وعبد الملك، ورغم ذلك كانت قرطبة على أيام الجهاورة أكثر أمنا واستقرارا مقارنة بدول الطوائف الأخرى، وهو الأمر الذي دفع بابن حيان إلى تولي منصب إملاء الذكر في ديوان الأمـير أبي الوليد، ويصبح المؤرخ الرسمي لدولتهم[2]. وتذكر بعض المصادر أن ابن حيان قد تقلد منـصب صاحب الشرطة[3] إلا أننا نجد بعض الباحثين أمثـال غارسيـه غومـاز وملـشور أنطـونيـا (Garcia Gomes- Melchor Antuna) يشككان في هذا الأمر لبعد هذا العمل عـن مجال اهتمامه ونشاطه الفكري[4].

وعلى الرغم ما اتسم به حكم بني جهور من ميزات حسنة لم يسلموا من نقد ابـن حيـان لأحد رجالاتهم مما جعله يتعرض للإيذاء، وكاد أن يقتله عبد الملك بن جهور لولا تدخل أبوه أبـو الوليد خوفا من أن يقال قتلوا شيخ الأدب والمؤرخين في الوقت الذي كانت ملـوك الطوائـف الأخرى تداريه وتهاديه[5]، ومن جهة أخرى نلاحظ أن رؤية ابن حيان للأمـراء عرفـت بعـض التناقضات؛ فهاهو يهدي المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة كتابه الكبير والظاهر أنه المـتين، ويصفه بـ "الأمير المؤثل الإمارة، ذي المجدين، الكريم الطرفين"[6]، وفي موضع آخر يهنئ المعتمد بن

---

[1] - محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، ص 272.

[2] - المصدر نفسه، مج2، ق1، ص 605.

[3] - ابن خير: المصدر السابق، ج2، ص 431.

[4] - أنظر مناقشة ملشور أنطونيا وغارسيا غوماز في مقال هذا الأخير "حول ابن حيان" في مجلة الأندلس: Garcia-Gomez:"A proposito de ibn Hayan", *Al- Andalus*, XI, (1946), p.401-402.

[5] - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 117.

[6] - ابن بسام: المصدر السابق، مج2، ق1، ص 578.

عباد باستيلائه على قرطبة سنة 462هـ/1070م، وتفوقه على غريمه بـن ذي النـون[1]. هـذه التناقضات جعلت من ابن بسام الذي أشاد بمجهود ابن حيان التاريخي، ونقل عـنه في كتابه الذخيرة الكثير من الفقرات مستشهدا بها في مواطن عدة، أن يوجه له انتقادا لمواقفه المتناقضة مـن أمراء الطوائف، وتردده في ذكرهم بين المديح والذم.

ويمكن تفسير سلوك ابن حيان في هذه المواقف القليلة على الرغم من أنه أخطـأ التوفيـق فيبدو مردّها إلى تخوفه من بطش ملوك الطوائف به لأدنى سبب وهـذا بـتغير مـواقفهم فتـارة يتظاهرون بالعدل وتارة تنقلب أوضاعهم بصفة جنونية تكون متبوعة بردود فعل عنيفة، والغالـب أن هذه السلوكيات هي سمة هذا العصر تجعل من المستحيل على مفكر أو كاتب أو شاعر أن ينجو من ذلك بسبب مواقفه المعارضة، إلا إذا أحسن اختيار الأماكن التي يستطيع من خلالها إبداء أرائه.

أما فيما يخص إنتاجه العلمي ومؤلفاته، جاء في صلة ابن بشكوال وصفا لابن حيان بروايـة أبوعـلي الغساني (ت 498هـ/1105م) وهو أحد تلامذة مؤرخنا قوله: "كان عالي الـسن، قوي المعرفة، مستبحرا في الآداب بارعا فيها صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح النـاس فيـه وأحسنهم نظما له"[2] .

من هذا النص نستخلص من أن ابن حيان كانت له اهتمامات في العديد من الفروع الأدبية إلا أنه برز في ميدان التاريخ وقصر كتاباته عليه. فإلى جانب التاريخ روى في الأدب واللغة كتاب الألفاظ[3]، وكتاب إصلاح المنطق[4] ليعقوب بن السكيت، وكتاب الفصوص[5] لصاعد البغـدادي، وروى كتاب مصباح السنن[6] لابن السكن في الحديث. كما كانت له بعض الأشعار ذكرها ابـن سعيد[7]، ولكنها غير مدونة، وله معرفة بالجغرافية ويبرز ذلك من خلال المؤرخين الذين أخذوا عنه في ذلك أمثال الحميري في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار[8]، والمقري في كتابه نفح الطيـب،

---

[1]- المصدر نفسه، مج2، ق3، ص 105.
[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 138.
[3]- ابن خير: المصدر السابق، ج2، ص 434.
[4]- المصدر نفسه، ج2، ص 437.
[5]- المصدر نفسه، ج2، ص 431.
[6]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 147.
[7]- المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 117.
[8]- تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

كما تذكر المصادر بأنه تتلمذ على يديه الجغرافي أبو عبيد الله البكري (ت 487هـ/1094م)، الذي كانت له مكانة خاصة عند ابن حيان لذكائه[1]، وربما يكون هو الذي وجهه إلى الاشتغال بهذا العلم الذي كان وثيق الارتباط بالتاريخ[2]. غير أن هذه الاهتمامات لم تكن لها صدى في الأوساط العلمية مقارنة بتآليفه التاريخية التي لاقت ثناءا وإعجابا كبيرين من قبل المؤرخين السابقين والمعاصرين واعتبروا بها ابن حيان على أنه أعظم مؤرخ أندلسي أنجبته الأندلس الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط.

وأغلب هذه المؤلفات التاريخية قد ضاعت و لم يصل لنا منها إلا كتابه "المقتبس" الذي سنتحدث عنه بنوع من التفصيل، ومن كتبه الضائعة "المتين" وتذكره النصوص التاريخية على أنه أعظم كتاب تاريخي لابن حيان إذ كتبه في ستين مجلدا[3] ضاعت جميعها و لم يبق منها إلا مقتطفات ونتف أوردها ابن بسام الشنتريني في كتابه الذخيرة، كما احتفظ لنا ببعض الاقتباسات الكُتّاب اللاحقين كابن الأبار وابن عذاري وابن الخطيب، وغيرهم.

وهناك قضية أثارها بعض الباحثين مجملها؛ أي الكتابين بدأ ابن حيان في تأليفه هل المقتبس أم المتين؟ فأغلب الباحثين يتفقون على أن المقتبس ألفه ابن حيان قبل المتين، ويظهر ذلك من قول ابن حزم الذي نقله المقري في نفحه ؛ "المقتبس" ألفه وهو لم يتجاوز الاكتهال[4]. هذا النص استنتج منه رينهارت دوزي (Reinhardt Dozy) في نشرته لكتاب البيان المغرب لابن عذارى هو كتاب ابن حيان في فترة الشباب بينما جاء المتين ثمرة فترة الشيخوخة والنضج[5]، وقد تبعه في هذا الحكم كل من مورينو نييتو (Moreno Nieto)[6]، وملشور أنطونيا (Milchor Antuna)[7]، وبونس

---

[1]- أنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 240، ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 235. ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 242.

[2]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، مقدمة المحقق، ص 64.

[3]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 181 (تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم).

[4]- المصدر نفسه، ج3، ص 174.

[5]- Reinhardt Dozy: *Histoire de l'Afrique et de l'Espagne,* Intitulée albayan, II-Mogrib, ed.Leyde, 1848, Introduction, p.73.

[6]- Moreno Nieto: *Estudio Critico sobre los distoriadores arabigo- espanol,* ed, Madrid, 1882. p. 5- 8.

[7]- أنظر ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، مقدمة المحقق، هامش ص 70. في ذكره لبحث ملشور أنطونيا المعنون بـ"ابن حيان القرطبي وتاريخه للأندلس"، ص.33. الذي نُشر بمجلة "دفاتر تاريخ إسبانيا" سنة 1946 التي تصدرها جامعة بوينس إيرس (الأرجنتين).

بويـــغس (Pens Boigues)[1]، غير أن بعض المؤرخين يذكرون بأن الكتابين قد يكون أُلفا في وقت واحد[2]، ولكن الرّاجح أن المقتبس سبق المتين في الظهور[3].

ومن كتبه الأخرى التي ذكرتها النصوص التاريخية كتاب "أخبار الدولة العامرية"[4]، وكما هو واضح من العنوان فإنه يختص بتاريخ العامريين الذي تربى في أحضانهم وتأثر لسقوط دولتهم ، وقد ذكره عبد الواحد المراكشي[5] بعنوان آخر "المآثر العامرية"، وربما يكون قد وقع له خلط بين كتاب ابـــن حيان هذا وبين كتاب آخر لحسين بن عاصم يحمل العنوان الذي ذكره.

وهناك كتاب آخر هو "البطشة الكبرى" ذكره كل من ابن بسام وابن الخطيـــب ونـــسباه لابن حيان[6]، وموضوعه غدر المعتمد بن عباد بحكام بني جهور واستيلاءه علـــى مدينـــة قرطبـــة وطردهم منها، وهم الذين استنجدوا به ليدفع عنهم شر المأمون بن ذي النون، وكان ذلك ســـنة 462هــ/1070م. ومجموع هذه الكتب الأربعة وهي (المقتبس، المتين، أخبار الدولة العامرية، البطشة الكبرى) تُشكل ما يطلق عليه اسم التاريخ الكبير لابن حيان[7]. ويبدو أن ماعدا هذه الكتب من عناوين أخرى نسبها الباحثون لابن حيـــان، لا تـــزيد عـــلى أن تكون أجزاء أو مقتبـــسات من الكتب التاريخية المذكورة.

يتناول ابن حيان في كتابه المقتبس تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى آخـــر خلافـــة الحكـــم المستنصر (91 - 366هــ/711- 976م) وهو مكوّن من عشرة أجزاء، وهذا من خلال مـــا ذكرته المصادر فابن حزم في رسالته عن فضل أهل الأندلس يثني عليه بقوله: "ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس تأليف أبي مروان بن حيان، نحو عشرة أسفار، من أجل كتاب ألف

---

[1]- Pens Boigues: *op. Cit.* p.154.

[2]- أنظر مناقشة هذه القضية عند عبد الله جمال الدين: "أبو مروان بن حيان أمير مؤرخي الأندلس"، مجلة أوراق، المعهد الإسباني العربي للثقافة، ع/2، (1979)، ص 21- 22.

[3]- أنظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 284، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 162، وأنظر ابن حيان: المقتبس، تحقيق(مكي)، ص 73.

[4]- شهد بوجود هذا الكتاب ابن الأبار: الحلة السيراء ج1، ص 22، 228. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 48. المقري: المصدر السابق، ج1، ص 376.

[5]- المعجب، ص 38.

[6]- الذخيرة، مج1، ق1، ص614. إعمال الأعلام، ص 151.

[7]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، مقدمة المحقق، ص 82.

في هذا المعنى"[1]، ويضيف ابن سعيد[2] فيما بعد قوله: "وأما التواريخ فكتاب ابـــن حيـــان الكـــبير المعروف بالمتين في ستين مجلدة، وإنما ذكر ابن حزم كتاب المقتبس، وهو في عشرة مجلدات.." وقد ورد عنوان هذا الكتاب بعدّة أشكال حيث يذكره ملشور أنطونيا في تحقيقه بـــ "المقتبس في تاريخ رجال الأندلس"، ويسميه ابن الأبار[3] "المقتبس من أنباء أهل الأندلس"، ونجده بـــنفس الاســـم في تحقيـــق محـــمود علي مكي، أما عبد الرحمن علي الحجي فحققه بعنوان "المقتبس في أخبار بلـــد الأندلس"، وهناك من المؤرخين المحدثين من يقتصر على تسميته ب"المقتبس"[4]، هذا فضلا عـــــن تسمية أحد معاصريه وهو ابن حزم بالتاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس[5].

وما وصلنا من هذا المؤلف الضخم الذي يؤرخ للأندلس في أربعة قرون الأولى تقريبـــا مـــن تاريخها إلا خمس قطع نذكرها كالآتي:

- القطعة الأولى: حصل عليها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال من خزانة القرويين بفاس، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية[6]، وهي تتناول فترة إمارة الحكـــم بن هـــشام الربـــضي (180-206هـــ/796-821م) والشطر الأكبر من إمارة ابنـــه عبـــد الـــرحمن الأوســـط (206-232هـــ/821-846م) وهي تقع في 188ورقة، وقد اعتمد بروفنسال على هذه القطعة كثيرا وجعلها مصدرا أساسيا في كتابه "تاريخ إسبانيا الإسلامية"[7] ولكن مما يؤسف له أن هذه القطعة قد ضاعت و لم توجد و لم يعثر عليها بمكتبته الخاصة بعد وفاته[8].

- القطعة الثانية: وهي تلي القطعة الأولى من حيث الترتيب التاريخي، وكانت تؤلف مـــع سابقتها مخطوطا واحدا، والموجودة بالخزانة العامة لجامع القرويين بفاس، وقد استفاد مـــن بعـــض نصوصها أيضا بروفنسال في كتابه السابق الذكر[9]، و هي تبدأ من حيث انتهت القطعة السابقة أي

---

[1]- ابن حزم: رسالة في فضل أهل الأندلس (المقري: المصدر السابق، ج3، ص 174.)

[2]- المقري: المصدر السابق (تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم) ج3، ص 181.

[3]- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 290.

[4]- مثل فرانسيسكو كوديرا ، وليفي بروفنسال.

[5]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 174.

[6]- محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، ص 277.

[7]- Evariste Lévi- Provençal: *Histoire de l'Espagne musulmane*, Maisonneuve, Paris, 1950.

[8]- محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، ص 277.

[9]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق(مكي)، مقدمة المحقق، ص 148.

من سنة 232هـ/846م إلى سنة267هـ880م ، وتتناول تاريخ الأندلس خلال الفترة الأخيرة من عهد عبد الرحمان الأوسط (206-238هـ/821-832م) ومعظم إمارة ابنه محمد الـــذي حكم بين (238-273هـ/852-886م)، وقد حققها ونشرها محمود علي مكي في القـــاهرة عام 1971م، وأعيد طبعها في بيروت سنة 1973م.

- القطعة الثالثة: و هي موجودة في أكسفورد[1]، قد عني بتحقيقها المستشرق الإسباني ميلشور أنطونيا (*Milchor Antuna*) بباريس سنة 1937م، وتتناول عصر الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م).

- القطعة الرابعة: و هي موجودة بالقصر الملكي بالرباط ، وتتناول فترة 30 سنة (299-330هـ/911-941م) من إمارة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) (300-350هـ/912-961م) و قد قام بتحقيقها بدرو شالميتا (*Pedro Chalmeta*) .بمعاونة كل من فيدريكو كورنيتي (*Federicco Corriente*)، و محمود صبح، ونشرت ضمن السلسة التاريخية للمعهد الإسباني العربي للثقافة (مدريد-الرباط، 1979م)[2]. و كانت آخر قطعة عثر عليها من كتاب المقتبس وحُققت.

- القطعة الخامسة: و هي مخطوطة صغيرة بالمعهد الملكي بمدريد تتضمن تاريخ خمسة سنوات تقريبا من خلافة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/970-976م) ، وهي قطعـــة استنـــسخها المستشرق الإسباني فرانسيسكو كوديرا عن أصل قديم كان محفوظا في مكتبة ورثة سيدي حمـــودة بقسنطينة (الجزائر) وكان ذلك سنة 1882م في إطار بعثته إلى المغـــرب و الجزائـــر. وفي ســـنة 1932م ضاعت النسخة الأصلية فأصبحت نسخة كوديرا هي الأصل[3]. وقـــد قـــام بتحقيقهـــا ونشرها عبد الرحمن الحجي ببيروت سنة1965م.

هذا ما انتهى إلينا حتى اليوم من أجزاء المقتبس، وهو في ذاته مقدار عظيم من محتويات هذا المؤلف الضخم.

والقارئ لهذه القطع بتمعـــن يقف على الموضوعات التي طرقها ابن حيان وعالجها في مؤلفه، وتتلخص في تناوله لتاريخ حكام الأندلس من أمراء وخلفاء تاريخا شاملا للنواحي السياسية والحضارية،

---

[1]- Milchor Antuna*: Ibn Hayan, al-moktabis Tome3,* Librairie orientaliste, Paris 1937.

[2]- أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس 1984، ص 151.

[3]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق(مكي)، مقدمة المحقق، ص 149.

حيث تناول بالتفصيل حياة كل حاكم متضمنة أخبارا عامة حول عصره وسيرته وتراجم مفصّلة عالج فيها أخبار رجال دولته من حُجّاب ووزراء وكُتّاب وشعراء وعلماء، فضلاعن أخبار اقتصاديةواجتماعية[1]. ومـــن أهم الأحداث المـــؤثرة التي تناولها ثـــورة الـــربض التي أبدى فيها تعاطفا مع الحكم بن هشام ومدينا فيها الثوار على عملهم، كما تعرّض لتاريخ حركة عمـــر بـــن حفصون التي طاولت العديد من أمراء قرطبة وما سببته من ضعف وتدهور للبلاد[2].

كما أولى اهتماما للحركة النصرانية داخل الأندلس وخارجها موضحا بدايتـــها وكيـــف اجتهد أمراء الأندلس في التصدي لها[3].

وفي حديثه عـــن خلافة عبد الرحمن الناصر أورد معلومات هامة عـــن حياتـــه وثقافتـــه وأفراد أسرته، وبلاطه، وحروبه ضد الثائرين في الأندلس وعلى رأسهم المولد عمر بن حفـــصون وأبنائه من بعده، وكيف تسنى له القضاء عليهم[4]، كما يورد معلومات هامة عـــن المعـــارك الـــتي خاضها الناصر ضد المملك المسيحية بالشمال والتي كانت في مجملها لصالحه[5]، ويتحدث أيضا عن تقوية أسطوله البحري الذي به غزا بلاد القطالون، ومن جهة أخرى استولى به في العدوة المغربيـــة على سبتة وطنجة[6]، كما ذكر أثر الخليفة الناصر في حماية السنة وإنكار البدعة ويقصد بذلك مـــا جاءت به حركة ابن مسرة[7]، وجاء في عرضه معلومات جد فريدة عن سياسة الناصر مع الممالـــك المسيحية بالشمال وبداية صراعه مع الفاطميين وتقديم العون لحلفائه الزناتيين بالمغرب[8] ...الخ.

أما في حديثه عن خمس سنوات من حكم الخليفة المستنصر فيورد معلومات وافرة عن تاريخ المغرب أثناء تعرضه للصراع الأموي الفاطمي[9]، كما تعرض بإسهاب لأخبار الممالك النصرانية[10]،

---

[1]- أنظر على سبيل المثال: المصدر نفسه، ص 22، 25، 28، 31، 39.

[2]- أنظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 155 ومابعدها (رواية ابن حيان).

[3]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي) ص 319- 342.

[4]- ابن حيان: المقتبس، ج5، تحقيق بدرو شالميتا، المعهد الاسباني العربي، الرباط، 1979، ص 60- 80، 112- 115، 131- 138.

[5]- المصدر نفسه، ص 123- 238.

[6]- المصدر نفسه، 366_ 370.

[7]- المصدر نفسه، ص 24- 36. محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، ص 280.

[8]- ابن حيان: المقتبس، (تحقيق شالميتا)، ص 289- 485.

[9]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (الحجي) ص 26- 203.

[10]- المصدر نفسه، ص 218- 239.

فضلا عن إيراده لقضايا اجتماعية تخص أعياد الأندلس[1]، وأخرى ثقافية تهتم بأخبار أهـــل العلـــم والأدب[2].

اقتبس ابن حيان مادته من مؤلفات الإخباريين الذين سبقوه ولا سيّما أحمد بن محمد الرازي (ت 344هـــ/955م) صاحب عدد من الكتب التاريخية والجغرافية، مثل كتاب أخبـــار ملـــوك الأندلس[3]، وكتاب مسالك الأندلس ومراسيها[4]، وكتاب في أنساب مشاهير الأنـــدلس في خمـــس مجلدات[5]. هذه الكتب أخذ عنها مباشرة وصرّح بذلك بأنه نقل منها فصولا كاملة، وإليه يرجـــع الفضل في حفظ ما جاء في هذه المصنفات. كما اعتمد كذلك على عيسى بن أحمد الـــرازي (ت 379هـــ/989م) الذي أسماه بصاحب التاريخ[6]، ونقل عنه بإعجاب كبير أحداث الأنـــدلس في مراحل مختلفة[7]، كما أخذ ابن حيان أيضا عن كتابات عبد الملـــك بـــن حبيـــب الـــسلمي (ت 238هـــ/852م)، وأبي بكر بن القوطية (ت 367هـــ/977م)[8]، ومحمد بن حارث الخـــشني (ت371هـــ/1014م)[9]، ومعاوية بن هشام الشمبيصي (ت 319هـــ/ 931م) صاحب كتاب "تاريخ دولة بني مروان بالأندلس"[10] الذي روى عنه ابن حيان الكثير من أخبارهم، ومن بين هذه الروايات التي أوردها رواية تتحدث عـــن صفات الأمير عبـــد الله (275-300هـــــ/888-912م) الذميمة منها والحميدة[11]، وخروج ولد شربند بن حسان القومي مـــن مدينـــة قرطبـــة وانضمامه لابن حفصون الثائر ببشتر، وترأسه للهجمات التي قصدت قرطبة[12]، ونقـــل الأخبـــار

1- المصدر نفسه، ص 28، 59، 71، 93، 119، 136، 184.

2- المصدر نفسه، ص 120- 123، 184، 230.

3- ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس (المقري: المصدر السابق، ج3، ص 173.)، الحميدي: المصدر السابق، ص 92. الضبي: المصدر السابق، ص 130. Pens Boigues: *op.cit, p.62-63*

4- ابن حزم: المصدر السابق، ص 160- 161.

5- الحميدي: المصدر السابق، ص 92. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 254.

6- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي) ص 265.

7- أنظر مثلا المصدر نفسه، ص 295، 320، 331، 341، 346، 360، 379.

8- أخذ عنه على سبيل المثال في كلامه عـــن الزجالي كاتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم. المصدر نفسه، ص 32.

9- اعتمد عليه مثلا في ذكره لنوادر أخبار قضاة الأمير عبد الرحمن الثاني، المصدر نفسه، ص 49، 51-52، 57-58.

10- ابن الأبار: التكملة، ج2، 183.

11- ابن حيان: المقتبس في رجال الأندلس، تحقيق ملشور أنطو نيا، باريس، 1938، ص 37-41.

12- المصدر نفسه، ص 103- 104 .

عن بلاد المغرب من كتاب محمد بن يوسف الورّاق (ت 363هـ/ 974م) "مسالك إفريقيا وممالكها"[1]، وأيضا على كتاب ابن الجزار القيرواني (ت 369هـ/ 980م)[2]. كما استفاد من بعض الكتب الشعرية واللغوية مثل كتاب طبقات النحويين لأبي بكر الزبيدي (ت 379هـ/989م)[3]، وكتاب أخبار شعراء الأندلس لعبادة بن ماء السماء (ت 427هـ/ 1035م)[4]، أيضا نجد ابن حيان قد أفاد من بعض كتب الطب حيث أخذ عن يحي بن إسحاق بن فلفل الصغار المكنى بأبي زكرياء (ت 386هـ/996م)[5] الذي كان له كتابا كبيرا في الطب[6]، كما استفاد من الطبيب سعيد بن عبد ربه الذي له عدة تآليف منها الأقراباذين وتعاليق ومجريات في الطب وأرجوزة في الطب[7]، هذا فضلا عن الطبيب والمؤرخ عريب بن سعد (ت 369هـ/979م) الذي ألّف العديد من الكتب في مجال الطّب إلى جانب كتابه المعروف بـ "صلة تاريخ الطبري" الذي نقل منه مؤرخنا في مُصنفه. إلى جانب ذلك أخذ عن رواة الأخبار والحديث والأدب كفرج بن سلام البزاز، وابن الأشعث القرشي الاشبيلي، وإسحاق بن سلمة القيني، وابن النظام، ومحمد بن موسى الأقشبين، ومنذر بن سعيد البلوطي، وغيرهم. كما ينقل إلينا من معاصريه أمثال ابن الفرضي، وابن عبد البر، وابن حزم، إلى جانب أستاذه صاعد البغدادي الذي روى عنه في كلامه عن شعر لأعرابية يقارنه بحادثة وقعت للأعرابي العذري أبو محمد الحجازي[8] وهي من كتاب الفصوص الذي رواه مؤرخنا بكامله عن صاحبه.

لكن ما أورده من نصوص حول الممالك المسيحية تدل على معرفته الجيدة بأخبارهم جعل بعض الباحثين يتساءلون عن المصدر الذي استمد منه أبن حيان هذه المعلومات حول تلك

---

[1]- نقل عنه مثلا في حديثه عن أخبار جعفر وأخيه يحي ابنا حمدون وفرارهما إلى الأندلس خوفا من بطش بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، ابن حيان: المقتبس، تحقيق (الحجي)، ص 33- 36.

[2]- في أخبار جعفر بن حمدون. المصدر نفسه، ص 36-38.

[3]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 255.

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص 260. الضبي: المصدر السابق، ص 346. وأنظر عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ج4، ص 448.

[5]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 509.

[6]- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1969، ص 488.

[7]- المصدر نفسه، ص 489-490.

[8]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (ملشور أنطونيا)، ص13.

الممالك فذهب دوزي وملشور أنطونيا إلى أنه كان يعرف عجمية الأندلس أي اللاتنية الدارجـــة، وربما اطّلع على مُدونات مسيحية فقدت اليوم[1]، بينما يشكّ الباحث الإسباني إميليو غارسيا غوماز يشك في المعلومات ويعترض على الأدلة التي قدمها الباحثان في البرهنة علـــى ذلـــك باعتبـــار أن نصوص المقتبس لم تؤكد ذلك، و لم تذكر سوى النقول التي اقتبسها ابن حيان عن إخباريين سابقين له، غير أنه لا ينكر عليه إمكان معرفته بعجمية أهل الأندلس، كما لا ينكر احتمال إطلاعه بشكل أو بآخر على مدونات مسيحية[2].

والملاحظ أيضا على مصادر ابن حيان اعتماده على الوثائق الرسمية والإدارية ولعلّه اطلـــع عليها عن طريق أبيه خلف بن حسين الذي كان كاتبا للمنصور أو من خلال اشتغاله هو شخصيا بالسياسة جعله يفيد من ذلك، ومن الأمثلة على هذه الوثائق التي أوردها كتاب الحكم بن هـــشام عن ثورة الربض، والرّسائل المتبادلة بين الخليفتين الناصر والمستنصر وبين قواد جيوشهم في المغرب، وكتاب الناصر للرعية في حملته على ابن مسرة وتعاليمه[3]، وكتابه عـــن موقعة الخنـــدق، ونقلـــه لوصية المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الملك التي تعتبر نص هام[4]، وهناك نصوص أخـــرى تتعلـــق بحوادث ومناسبات مختلفة.

أمّا منهجه في هذا الكتاب فيتميز بخصائص وملامح جعلته ينفرد عن غيره من الإخبـــاريين فالملاحظ لكتب إخباري الأندلس الذين سبقوه يجد منهم من اعتمد على طريقة الكتابة على السنين مثل ما فعل عبد الملك بن حبيب، وأحمد الرازي وابنه عيسى، وعريب بن سعد، وغيرهم، ومنـــهم من اتخذ من عهود الدول المتعاقبة وأمرائها وخلفائها كقاعدة لكتابة تاريخ الأندلس كما جـــاء في كتاب أخبار مجموعة لمجهول، وكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ، فمؤرخنا هنا اســـتفاد من الطريقتين ومزج بينهما، كما اتسمت كتابته بالعرض الشامل للأحداث، عكس الكتب السابقة التي تميزت بالاهتمام بموضوع واحد دون آخر فهناك من اهتم بالجانب السياسي دون الثقـــــافي والعـــكس صحيح، وهناك من اهتم بطائفة من الناس كالفقهاء أو القضاة أو الكتاب والشعراء، إلا أن المقتبس جاء شاملا وهذا من خلال الجوانب التي طرقها مـــن سياســـية واقتـــصادية وثقافيـــة

[1]-Reinhardt Dozy*: Recherche sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge,* Leiden, 3ed, 1889, pp. 203- 204..

[2]- Garcia Gomes*: op. cit,* p.417- 418.

[3]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (شالميتا) ص 25- 36.

[4]- نقلها ابن بسام: المصدر السابق، مج4، ق4، ص 76.

واجتماعية، ففي الجانب السياسي تحدث عن تاريخ أمراء الأندلس وخلفائه متناولا حياة كل واحد منهم بالتفصيل وسياساته إبان حكمه وما اندلع في عصره من أحداث ووقائع.

وفي الجانب الاقتصادي؛ يتناول الحياة الاقتصادية ويعرض ما أصابها من أزمات وتطـــورات كحديثه عن اتخاذ الناصر لدار الضرب بقرطبة[1].

وفي المجال العمراني يتحدث عن التحصينات والقناطر والسدود[2].

وفي الحياة الثقافية يعرض فصولا يترجم فيها لأهل العلم من كُتّاب وأدباء و شعراء معالجـــا لأخبارهم و نوادرهم. هذا فضلا عن عرضه للأحوال الاجتماعية في حديثه عن الجوائح الطبيعيـــة والأوبئة والمجاعات[3]، و حتى الولادات[4]، إضافة إلى تناوله إلى الأحـــوال المناخيـــة[5]، والـــزلازل[6]، وأحوال الفلك[7].

وتتميز كتابته بالدّقة و الضبط في الإخبار فهو في بعض المواضع لم يكتف بتعـــيين الحادثـــة بالشهر واليوم بل يذكر الساعة[8] كما يذكر تاريخها الهجري و ما يقابله الميلادي أحيانا .

كما نجده ينقل بأمانة هذه الأخبار حيث يسند كل خبر إلى ناقله فأحيانا ينقـــل فـــصولا لحادثة معينة من كتب الذين سبقوه أو رواية عنهم فيصرح بنقله عنهم والموضع الذي نقل منه من بدايته إلى نهايته، فمثلا في حديثه عن فترة الحكم المستنصر فينقلها من كتاب الرازي مصرّحا بذلك ومشيرا إلى ما نقص من تاريخه بسبب فقدان بعض الأوراق منه قائلا: "ها هنا انقطع كتاب عيسى

---

[1]- كما هو معلوم فإن العملة الوحيدة المتداولة بالأندلس كانت الدراهم الفضية إلى أن ضرب الناصر أول دينار من الذهب في الوقت الذي اتخذ لنفسه لقب الخلافة سنة 316هـ/ 929م، ابن حيان: المقتبس، تحقيق (شالميتا)، ص 243.

[2]- المصدر نفسه، ص 63-66.

[3]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (شالميتا)، ص 105- 109 في حديثه عن مجاعة 303هـ/ 915م، كما جاء في المقتبس تحقيق (الحجي)، ص 93 ذكر لمجاعة 207هـ / 822م.

[4]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (الحجي)، ص 62 في حديثه عـــن ولادة صبي متفاوت الخلق.

[5]- المصدر نفسه، ص 66.

[6]- المصدر نفسه، ص 67.

[7]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (شالميتا)، ص 473 في حديثه عـــن الكوكب الذنبي.

[8]- يذكر مثلا في تأريخه لزلزال قرطبة أنه كان في أول الساعة الرابعة يوم الثلاثاء 19 ديسمبر من سنة 361هـ/971م. ابن حيان: المقتبس، تحقيق (الحجي) ص 67.

الرازي الذي إليه رجعت في خبر دولة الحكم بن عبد الرحمان فنظمت منه كتابي هذا المؤلف المتصل بما قبله من أخبار سلفه خلفاء بني مروان بالأندلس إلى أن انقطع في نظامه عند إتياني إلى آخر أخبار.

سنة إحدى وستين وثلاثمائة..."[1]. والأمثلة كثيرة في المقتبس على ذلك فهو في تأريخه لأي حدث كان يسبقه بذكر مصدره، هذه الطريقة جعلته يستحق الوصف بالصدق في الرواية، وقد جاءته هذه التزكية من أبرز محدثي الأندلس المعروفين بعدم تسامحهم في ميدان الجرح و التعديل ألا وهو أبو علي حسن بن محمد الغساني (ت 498هـ/1104م) الذي أثنى على أستاذه ابن حيان فيما حكاه من تاريخه[2].

وفي نقل هذه الأخبار لم يكن ابن حيان مجرد سارد لها فقط بل كان يخضع ما يبلغه إلى منظار النقد والنظرة التحليلية مبديا رأيه في ما يعرض من أحداث[3]. وطريقته في ذلك تحقيق الأخبار وتمحيصها واعتماد ما يراه صحيحا منها، معتمدا في ذلك بقياس هذه الروايات على العقل بعد فرزها ومقارنتها ببعضها البعض حتى يصل إلى الخبر الأقرب إلى الموضوعية لذلك خلت تواريخه من أي روايات أسطورية أو خرافية[4] .

أما أسلوبه فيدل على انه كان أديبا من الدرجة العالية، يمتاز بأسلوب بلاغي متفرد سهل جزل ومعبر يغلب علية الطابع القصصي المشوق وهذا بذكره للكثير من النوادر والملح التي أفردها أحيانا حيّزا كبيرا في كتاباته، ومثال ذلك في القصة المفصلة التي يرويها عن تولي محمد بن عبد الرحمن الخلافة، وكثيرا من النوادر والأشعار التي أوردها في عرضه لأخبار وتراجم حجابه ووزرائه ورجال دولته[5]، والأمثلة كثيرة في المقتبس على هذا الأسلوب الذي تميز به ابن حيان، وعرف كيف يمزج فيه بين الكتابة التاريخية والنثر الفني مما جعله يلقب بشيخ الأدباء والمؤرخين الأندلسيين.

---

[1]- ابن حيان: المقتبس تحقيق (الحجي)، ص 95-96.

[2]- أنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 138. وأنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 457.

[3]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 21.

[4]- محمود إسماعيل: الفكر التاريخي، ص 100.

[5]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، مقدمة المحقق، ص 101 وما بعدها.

لقد اشتهر ابن حيان بولائه الكبير لبني أمية وتسفــيه خصومهم في الداخل والخارج ونعتهم بأقدح الصفات والنعوت[1]، لدرجة أن المؤلفين الذين نقلوا عنه بعد ذلك مثل ابن بـسام وابـن الخطيب وابن عذاري اضطروا إلى تهذيب عباراته و حذف القبيح من كلماتها، ولعلّ ذلك يعود إلى الظروف القاسية التي مرت بها الدولة الأموية وأدّت إلى سقوطها جعلته يتأثرا بـذلك وهوكـان شاهدا ومعاصرا لعظمة هذه الدولة التي حافظت على وحدة الأندلس.

[1]- أنظر مثلا وصفه لعبد الرحمن بن مروان الجليقي الثائر في غرب الأندلس على الأمير محمد بن عبد الرحمن (238- 273هـ/ 852- 886) بالمارق وتارة بالخبيث، المصدر نفسه، ووصف المعز لدين الله الفاطمي (355- 365هـ/ 960- 985م) بالممد للضلالة، ونعتّ الحسن بن قنون بالمارق، ابن حيان: المقتبس، تحقيق (الحجي) ص 89. ولعن صاحب نكور "قبحه الله" ووصف النكوريين بالفاسقين، والأمثلة على ذلك عديدة في المقتبس.

ثالثا: السِّيرة النبوية

تعتبر السيرة النبوية من أشدّ الموضوعات التي اعتنى بها المسلمون ويعود ذلـــك إلى مكانـــة الرسول – صلى الله عليه وسلم- لذلك كانت من أولى اهتمامات الأندلسيين أيضا أثناء وجودهم بالمشرق فأدخلوها في وقت مبكر، وقد حفظ لنا أصحاب فهارس الكتب، ومؤلفو برامج العلماء والمشيخات عناوين كتب السيرة التي كانت مدار اعتماد العلماء الأندلسيين[1] فتناقلوها وتدارسوها، وكانت تروى في حلقات العلم أو تقرأ على الطلاب، واكتفى الأندلسيون زمانا بما وصل إليهم من المصنفات المشرقية الشاملة والمؤلفات الخاصة فيما يتعلق بالسيرة النبوية، وشاع ذالك في الفترة التي سبقت القرن الرابع الهجري ويحتمل أنه كان قبل أن يتجه الأندلسيون للتأليف في هذا المجال.

وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري أو قبله بقليل بدأت كتابات الأندلسيين في الـــسيرة تظهر[2]، نتيجة النمو الثقافي الذي تحول من الأخذ إلى العطاء ، ومن المحاولات الأندلسية الأولى للتأليف في السيرة النبوية أو في المواضيع القريبة منها هو ما ألفه عبـــد الملـــك بـــن حبيـــب الـــسلمي (ت 238هــ/854م) في مغازي رسول الله- صلى الله عليه وسلم[3]-، وما كتبه قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي (ت 941/302م) في مصنفه "الدلائل أو شرح غريب الحديث"، الذي أكمله أبوه ثابت بن حزم (ت 313هــ/925م) بعد وفاته[4] .

وقام أبو عيسى يحي بن عبد الله بن يحي الليثي (ت 367هــ/978م) بتـــأليف كتـــاب اختصار سيرة رسول صلى الله عليه وسلم[5]، كما ألّف في أواخر القرن 4هــ /10م أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (ت 402هــ/1011م)[6] كتابا عنوانه "أعلام النبوة ودلالات الرسالة"

---

[1]- وردت معظم هذه المصادر في فهرسة ابن خير وفي بعض كتب التراجم ، وقد ذكرناها في الفصل الأول من بحثنا. أنظر ص 9-11.

[2]- هذا لا يعني أنه لم يكتب الأندلسيون في السيرة قبل القرن الرابع مؤلفات لكنها لم تكن تشكل ظاهرة تلفت النظر.

[3]- ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص13.

[4]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 283. ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 232-235.

[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 432. ابن خير: المصدر السابق، ص 285-286.

[6]- أنظر ترجمته عند ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 255-258. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 216. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 163. عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج5، ص 186.

ذكره بهذا العنوان ابن بشكوال في صلته[1] بينما صنّفه شمس الدين السخاوي (ت 904هـ/1499م) ضمن كتب دلائل النبوة[2].

وفي القرن 5هـ/11م عصر الازدهار العلمي في الأندلس نشطت ظاهرة التأليف في العديد من جوانب المعرفة، وكان أشهر من ألف في هذا القرن أبو عمر ابن عبد البر، وأبو محمد ابن حزم اللّذان يمثلان قمة الكتابة في السيرة النبوية خلال هذه الفترة، فالأول ألف كتابا عنوانه "الدرر في اختصار المغازي والسير"[3]، وله كتاب آخر عنوانه "أعلام النبوة"[4]، أما الثاني فكتب "جوامع السيرة"[5] و"حجة الوداع"[6]، ثم جاء بعدهما البكري وهو أحد تلامذة ابن عبد البر فكتب مصنفا عنوانه "أعلام النبوة"[7]، وربما كان قد تأثر بمصنف شيخه الذي يحمل نفس العنوان .

ثم أخذت مؤلفات السيرة تكثر ويتفنن العلماء في طرق تأليفها والجوانب التي تتخصص فيها، فكتبوا في أسماء النبي- صلى الله عيه وسلم-، ومولده، ومبعثه، وخصائصه وفضائله وشمائله وأعلام نبوته- ومغازيه- أو جمعوا بين ذلك كله[8]. وفي هذا المبحث نخصص دراسة لابن عبد البر وكتابه "الدرر" كنموذج لكتابة تاريخ السيرة النبوية خلال القرن 5هـ/11م.

ابن عبد البر وكتاب الدرر نموذج للسيرة النبوية

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، من أهل قرطبة، ولد بها سنة 362هـ/982م[9] نشأ وتلقى علومه الأولى بها حيث تتلمذ على أستاذه عبد العزيز بن أحمد الأخفش (ت 389هـ/998م)[10] في النحو واللغة، ثم بعد ذلك انتقل إلى رواية الحديث عن شيخه

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 256.

[2]- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، نشر مكتبة المثنى، بغداد، 1963، ص 88، وأنظر فرانز روزنتال: المرجع السابق، ص 536.

[3]- تحقيق شوقي الضيف نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966.

[4]- أشار إليه ابن عبد البر في كتابه الدرر، ص 31.

[5]- تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

[6]- تحقيق ممدوح حقي، ط2، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1966.

[7]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 240، وأنظر عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج6، ص 75.

[8]- ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 255-256.

[9]- الحميدي: المصدر السابق، ص 332، الضبي: المصدر السابق، ص 425.

[10]- الحميدي: المصدر السابق، ص 255.

عباس بن الأصبغ الهمداني (ت 380هـ/1009م)[1] وغيره من الشيوخ، كما أخذ عـــن أبي عمر أحمد بن عبد الملك هاشم الاشبيلي المعروف بابن المكوي (ت 401هـ/1011م) من أكبر المفتين بقرطبة وشيخ فقهائها[2]. ولزم ابن الفرضي (ت 403هـ/1013م)[3] وأخذ عنه الفقـــه والحـــديث والأدب، وعـــلم الرجال، وأخذ علم الرجال والحديث أيضا عن عبد الـــوارث بـــن ســـفيان (ت 395هـ/ 1005م)، وخلف بن القاسم المعروف بابن الدباغ (ت 393هـ/1003م)، وأحمـــد بن قاسم التهرتي البزاز (ت 395هـ/ 1005م)، وأبي المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي (ت 413هـ/ 1022م)، والقاضي يونس بن مغيث (ت 429هـ/1037م)[4]، كما سمع من ســـعيد بن نصر (ت 395هـ/ 1005م)، وأحمد بن محمد الطلمنكي (ت 420هـ/1029م)[5]، وأحمد بن محمد بن الجسور (ت 401هـ/1011م)[6] وغيرهم.

ويبدو مما سبق أن ابن عبد البر لازم كثيرا من الشيوخ، و مجالس العلم، التي كانـــت تعقـــد في جامع قرطبة ومساجدها، بل وفي منازل العلماء[7]، وقد أشار ابن الفرضي أن هذه المساجد كانت تعقد بالتناوب[8]، وظل ابن عبد البر على ذلك فجمع علما غزيرا، واتسع أفقه العلمي، فأصبح حافظ الغرب الإسلامي[9].

ولما ساءت الأحوال السياسية في قرطبة اثر سقوط العامريين سنة 399هـ/1009م واشتعلت الحرب الأهلية بين البربر وأهل قرطبة، غادرها سنة 403هـ/1013م متنقلا بين المـــدن الأندلـــسية فقصد اشبيلية وأقاليمها، وكان يعقد حلقات العلم أينما حلّ، ويستدرك لنفسه كذلك بلقاء العلمـــاء

---

[1] - المصدر السابق، ص 285.

[2] - ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 35-36.

[3] - الحميدي: المصدر السابق، ص 223. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4، ص 808.

[4] - ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 521.

[5] - أنظر الحميدي: المصدر السابق، ص 232. الضبي: المصدر السابق، ص 428. ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 521.

[6] - ابن الجسور؛ عالم بالحديث، والأنساب وعلم الرجال، لزمه ابن عبد البر مدة طويلة، حيث درس عليه كتاب "ذيل المذيل" لابن جرير الطبري، وأخذ عنه كثيرا من رواياته الحميدي: المصدر السابق، ص 46. الضبي: المصدر السابق، ص 133.

[7] - ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1 ، ص 46 .

[8] - ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 422.

[9] - أنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 521. وأنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص 69، ذكر في ترجمته للخطيب البغدادي بأنه كان حافظ المشرق، وابن عبد البر حافظ المغرب، وماتا في سنة واحدة.

الذين يجد عندهم ما فاته فكان له لقاء بإسماعيل بن علي القرشي (ت 421هـ/1030م) ودراسته عليه واقتباسه مما لديه[1]، كما أخذ عن خلف بن سعيد بن أحمد (ت بعد 403هـ/1013م)[2]، وأحمد بن عمر بن منظور (ت 410هـ/1020م)[3]، وأحمد بن عبد الله الباجي (ت حوالي 400هـ/1008م [4] وغيرهم، ثم تحول إلى شرق الأندلس، وكان ثمة مجاهد العامري (400-436هـ/1008- 1044م) الذي عرف بتقريبه للعلماء، فجال ابن عبد البر في دانية وبلنسية وشاطبة، وكان يلقى دروسه على الطلاب الذين يفدون عليه من شتى أنحاء الأندلس[5] . ولما توفي مجاهد خلفه ابنه علي الذي لم يكن مثل أبيه في تشجيعه للعلم والعلماء، فاتجه ابن عبد البر إلى الغرب، وأقام مدة، واستقضاه المظفر بن الأفطس (437-451هـ/1045-1068م)[6] ملك بطليوس أيام الطوائف فتولى قضاء لشبونة وشنترين ثم تحول مرة أخرى إلى شرق الأندلس بعد وفاة المظفر فقصد بلنسية التي كانت تحت إمرة عبد العزيز بن أبي عامر (411- 452هـ/1021-1071م) الذي كان يحترم العلماء ويقربهم إليه، وبعد وفاة هذا الأخير انتقل إلى شاطبة التي بقي فيها إلى أن توفي سنة 463هـ/1070م. عن عمر يناهز95 عاما تاركا وراءه إنتاجا ضخما من التصانيف في العديد من مجالات المعرفة في الفقه والحديث والأدب والتاريخ، ويعود ذلك لثقافته الموسوعية المتعددة ، ووصفت مؤلفاته بأنها "تيجان رؤوس العظماء، وأسوة العلم والعلماء"[7]، واعترف له ابن حزم بالبراعة في التأليف بقوله: "ولصاحبنا ابن عبد البر كتب لا مثيل لها"[8]، كما شهد له ابن سعيد بقوله: "أنظر إلى آثاره تغنيك عن أخباره"[9]. وفي المشرق كان بعض العلماء يتمنون الارتحال إليه والأخذ عنه، أو عن

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 144-145. المقري: المصدر السابق، ج3، ص 69-70، وأنظر محمد بن يعيش: ابن عبد البر حياته آثاره ومنهجه في فقه السنة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996، ص 62-63.

[2]- الحميدي: المصدر السابق، ص 182.

[3]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 41-42.

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص 115-116.

[5]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 407.

[6]- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 97.

[7]- ابن بسام: المصدر السابق، مج 1 ، ق 1 ، ص 81 ، وأنظر ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 199.

[8]- ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس (المقري: المصدر السابق، ج3، ص 169-170).

[9]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 407.

تلاميذه، وبالجملة كان اعترافهم له بسعة العلم وحسن التأليف، والذي يهمنا في هذا المقام هي مؤلفاته التاريخية التي نذكر أهمها:

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب[1]، الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء[2]، الإنباء على قبائـــل الـــرواة[3]، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، هذا إلى جانب تآليف أخرى كثيرة تخـــص أخبار الفقهاء والأئمة والقضاة وفهرسة شيوخه ...الخ.

ألّف ابن عبد البر في السيرة النبوية، ويعتبر كتابه "الدرر في اختصار المغازي والسير" هو أهم ما ألف في الأندلس خلال القرن 5هـــ/11م في هذا الحقل المعرفي، وكانت له مكانة خاصة جعلـــت من المؤلفين الأندلسيين لا يستغنون عـــنه في تآليفهم في السيرة النبوية، ومثال ذلك أن معاصره ابـــن حزم كان معتمده الكبير الذي رجع إليه في تأليف كتابه "جوامع السيرة"[4]، كما انتقـــل الكتـــاب إلى خارج الأندلس ولقي اهتماما من قبل المؤلفين المغاربة والمشارقة أيضا.

عرّف ابن عبد البر بكتابه "الدرر" في مقدمته؛ حيث افتتحه بذكر منهجه ومراجعه ومـــصادره الرئيسة فقال: "هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي-صلى الله عليه وسلم-، وابتداء نبوته، وأول أمره في رسالته ومغازيه وسيرته فيها، لأني ذكرت مولده وحاله في نشأته وعيونا من أخباره في صـــدر كتابي في الصحابة[5]، وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه وأوقاته-صلى الله عليـــه وســـلم-... فذكرت مغازيه وسيره على التقريب والاختصار، والاقتصار على العيون مـــن ذلـــك، دون الحـــشو والتخليط"[6].

وكما أسلفنا مما نقلناه من مقدمة المؤلف، فإن كتاب الدرر يبدأ من البعثة النبوية، أمّا ما قبـــل ذلك من ولادة الرسول- صلى الله عليه وسلم- ونسبه ووفاة أبيه وأمه وجده وكفالة عمه أبي طالب ونشأته وأطواره قبل البعثة وزواجه بالسيدة خديجة - رضي الله عنها- فقد أجملـــه في صـــدر كتابـــه "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"[7].

---

[1] - تحقيق محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1960.
[2] - تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1940.
[3] - تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1940.
[4] - أنظر مقدمة كتاب جوامع السيرة، وما ذكره المحققون حول مصادر ابن حزم.
[5] - يعني كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
[6] - ابن عبد البر: الدرر، ص 29.
[7] - رضوان الداية: المرجع السابق، ص 28.

ومن مصادره الرئيسية "سيرة ابن إسحاق" برواية وتهذيب ابن هشام[1]، وبروايتين أخريين: رواية يونس بن بكير (ت 199هــ/814م)[2]، ورواية إبراهيم بن سعد (ت 184هـــ/800م)[3]، ومـــن مصادره كتاب المغازي لموسى بن عقبة (ت 188هــ/899م)[4]، ومغازي الواقدي (ت 211هـــ/ 999م) وطبقاته[5]، وكتاب أحمد بن زهير أبي بكر بن أبي خيثمة (ت 279هــ/ 892م)[6].

وإلى جانب هذه المصادر هناك مجموعة كبيرة أخرى من المصادر المكتوبة نقل عنها، بعضها في السيرة، ومنها ما هو في علم الرجال، ومنها كتب رواة الحديث التي لهـــا عـــلاقـــة بالسيرة النبويـــة، هـــذا فضـــلا عـــن مؤلفاته التي أحال إليها و لم يفصّل في النقل عنها التزاما بالاختصار ومنها التمهيد[7]، والاستيعاب[8]، وفهرسة مروياته[9]، وكتب أبدى رغبته في تأليفهـــا مثـــل كتـــاب "محـــن العلماء"[10]، وكتاب "أعلام النبوة"[11] الذي أراده مؤلفنا أن يكون مكملا لكتاب "الدرر".

ومما سبق يتبين أن ابن عبد البر حرص على تقديم كتابه مهذبا مُختصرا متنوعـــا في مـــصادره، وموثقا في مادته.

أمّا المنهج الذي اتبعه في تأليف هذا الكتاب فيبدو عليه التأثر بثقافته الموسوعية التي اتسم بها في الحديث والفقه والأدب والتاريخ على منهجه في كتابه تاريخ السيرة النبوية، وأهم هذه الميزات:-

المزاوجة بين طريقة المحدثين والمؤرخين في تدوينه للسيرة فهو يهتم بالإسناد لكنه لا يتقيد به في كثير من المواضع، مع المحافظة على وحدة الموضوع وتسلسل الأحداث، لذلك نجده يحـــذف بعـــض

---

[1]- نقل عنه ابن عبد البر: الدرر، ص 40، 41، 42، 59، 206، 211، 273.

[2]- حقق سهيل زكار قطعتين هامتين من سيرة ابن إسحاق برواية ابن بكير وطبعه في دار الفكر (بيروت 1978) بعنوان السير والمغازي.

[3]- نقل عنه ابن عبد البر: الدرر، ص 31، 211.

[4]- أنظر على سبيل المثال المصدر نفسه، ص 39، 56، 59، 62، 209، 214.

[5]- كانت كتب الواقدي من مصادره، ونص على ذلك في خاتمة كتاب الدرر ولكنه لم ينقل عنه إلا نصا واحدا، أنظر المصدر نفسه، ص 39.

[6]- المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص 9.

[7]- ابن عبد البر: الدرر، ص 33، 176، 217، 221، 287.

[8]- ابن عبد البر: الدرر، ص 40، 44، 123، 162، 169، 221، 225، 271، 276، 287.

[9]- المصدر نفسه، ص 276.

[10]- المصدر نفسه، ص 49.

[11]- المصدر نفسه، ص 31.

الأسانيد، وبعض الحشو، وكأنما رأى كتب السيرة تحتوي على حشو كثير فرأى أن يكتفـــي بالـــدرر والفوائد التي تجعل منها خيطا ممدودا متصلا[1].

كما نجده يبتعد على ما لم يصح من الروايات، مع مناقشة ما رواه من ضعيف الأخبار وذلك بميزان الجرح والتعديل[2]. إلى جانب قيامه بنقد الأسانيد والحكم عليها تضعيفا وتصحيحا[3].

تناوله لبعض المسائل الفقهية من خلال أحداث السيرة ويناقشها بمقدار لا يخرجه من طريقته في الاختصار، وإلا يحيل القارئ إلى مؤلفاته التي عالجت هذه المسائل بشكل موسع[4].

يعرض الأحداث ويناقشها ثم يبدي رأيه مرّجحا لما يراه موافقا لما يحصل عليه من معلومات عند ورود الاختلاف[5]، ويعتمد على بعض الأشعار في التعبير عن بعض الأحداث التي تناولها مراعيا في ذلك الاختصار[6]. هذه أهم خصائص منهجه في هذا الكتاب الذي أصبح مصدرا مهما بين يدي مـــن ألف في هذا المجال أمثال ابن حزم[7]، والسهيلي (ت 581هـــ/1186م)[8]، والكلاعي (ت 634هـــ/

---

[1]- ابن عبد البر: الدرر، مقدمة المحقق، ص 13.

[2]- المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص 15.

[3]- المصدر نفسه، ص 35، 64.

[4]- المصدر نفسه، ص 176، 210، 414، 217، 221، 230، 232، 246، 287.

[5]- ابن عبد البر: الدرر، ص 54، 186، 201، 202.

[6]- المصدر نفسه، ص 115، 168، 169، 172، 173، 112، 213.

[7]- ابن حزم (ت 456هـ /1064م) ألّف جوامع السيرة، ويؤكد المحققون لهذا الكتاب وهم إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، وأحمد محمد شاكر، أنه أخذ من كتاب الدرر في العديد من المواضع.

[8]- هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت581هـــ/1186م) صاحب كتاب "الروض الأنف". أنظر ترجمته عند ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار العلم للملايين،1955، ص 230. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 448. ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص 323. ابن تُغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ج6، ص 100.

1236م)[1]، وابن سيد النـــاس (ت 734هـــــ/1333م)[2] مـــن الأندلـــسيين وابـــن الأثـــير (ت 630هــ/1234م)[3]، وابـــن حجـــر العـــسقلاني (ت 852هـــــ/1351م)[4]، والـــصالحي (ت 942هــ/1535م)[5]، وغيرهم من أهل المشرق.

[1]- هو أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت 634هت/1236م) صاحب كتاب "الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ومغازي الثلاثة الخلفاء" هكذا ورد اسمه في مقدمة المؤلف، وعند ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)،ج4، ص 83.

[2]- هو محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري (ت 734هــ/1333م) صاحب كتاب "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" أنظر ترجمته عند الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناءوط، وتركي مصطفى، دار الإحياء والتراث العربي، بيروت، 2000، ج1، ص 291. وأنظر بالنثيا: المرجع السابق، ص 238.

[3]- هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630هــ/1234م)، أخذ عن ابن عبد البر في كتابه " أسد الغابة في معرفة الصحابة". أنظر ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج5، ص 138.

[4]- هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852هــ/1448م). أخذ من كتاب ابن عبد البر وجعله من مصادره الأساسية في كتابيه "الإصابة في تمييز الصحابة"، و"تهذيب التهذيب". أنظر المصدر نفسه، ج7، ص272.

[5]- هو محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت 942هــ/1535م)، في كتابه "عقد الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان". اعتمد على كتاب الدرر لابن عبد البر. أنظر ترجمته في المصدر نفسه، ج8، ص249- 250.

رابعا: التراجم والطبقات

اهتمت الثقافة الإسلامية بدرجة كبيرة منذ عهودها الأولى بالتراجم، وقد ظهرت العناية بهذا التأليف لحاجة العلماء المعنيين بتدوين الحديث معرفة لسير رجال الأسانيد أو رواة الحديث، بهدف التحقق من صدقهم طبقا لمنهج "الجرح والتعديل" الـــذي اتبعـــه المحدثـــون فظهرت في البداية طبقات المحدثين[1]. ثم توسعت إلى وضع تراجم أخرى لطبقات الرجال الذين تتفق توجهاتهم وتخصصاتهم في لون واحد من العلم ، فظهرت كتب طبقات الصحابة، وطبقات المفسرين، وطبقات القراء، وطبقات النحاة وطبقات الشعراء، وطبقات الأطباء، وغيرهم[2]. ومع مرور الوقت امتد هذا الفرع ليتعرض لتراجم الخلفاء والأمراء والقادة وأرباب الصناعات وغيرهم.

وفي الأندلس كان اهتمام مؤلفيها كبير في التأريخ لعلمائهم وفقهائهم ومحدثيهم وغيرهم من رجالاتهم متميزة كتاباتهم بتنوعها وتعدد طرقها وتواصلها وغزارة إنتاجها، مما أعطى لبلاد الأندلس جانبا من التميز والخصوصية الفكرية في حضارة الإسلام[3]، وقد سلك المؤلفون في ترتيبها منهجين، منهج الطبقات، ومنهج الترتيب على حروف المعجم، ومن أهم المؤلفات على المنهج الأول كتاب "طبقات الكتّاب في الأندلس" لمحمد بن موسى بن هاشم الأقشتين (ت309هـ/921م)[4]، وكتاب "الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار" لعبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت351هـ/962م)[5]، وكتاب "طبقات الأطباء والحكماء" لسليمان بن حسان المعروف بابن جلجل

---

[1]- هاني العمد: دراسات في كتب التراجم والسير، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، 1981، ص 14.

[2]- سالم أحمد محل: المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997، ص 128- 129.

[3]- عمارة علاوة: المرجع السابق، ص 364.

[4]- الزبيدي: المصدر السابق، ص 305، ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 316. ابن مأكولا: الإكمال في الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي، ط2، بيروت، 1965، ج1، ص 104-105. الحميدي: المصدر السابق، ص 42. القفطي: المصدر السابق، ج3، ص 216. المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ج7، ص 22، السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 145.

[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 191-192. القاضي عياض: المصدر السابق، ج4، ص 42.

(ت372هـ/1000م)[1]، وكتاب "طبقات اللغويين والنحويين" لمحمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ/1007م)[2].

أما المؤلفات على المنهج الثاني، فمن أهم مؤلفيها أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي المنتجيلي (ت 350هـ/961م) الذي كتب تاريخا في المحدثين، وجعله في خمسة وثلاثين جزءا[3]، وقد جمع فيه عدد من المرويات لأهل العدالة والتجريح[4]، ويعد كتابه مصدرا هاما عوّل عليه القاضي عياض كثيرا فذكره ضمن مصادره التي اعتمد عليها[5]. وألّف خالد بن سعد القرطبي (ت351هـ/963م) للحكم المستنصر كتابا في الرجال بعد عودته من المشرق سنة 345هـ/963م[6]، وقد أخذ عنه ابن الفرضي الكثير في كتابه التراجمي. وصنف محمد بن أحمد بن يحي بن مفرج (ت 380هـ/990م) تاريخا في الرجال جمعه للحكم المستنصر وكان حافظا للحديث بصيرا بالرجال، رحل للمشرق سنة 337هـ/965م، وعاد إلى وطنه سنة 345هـ/965م[7] وقد عوّل عليه ابن الفرضي كثيرا. كما ألّف ابن الفرضي كتابا تراجميا بعنوان "تاريخ الفقهاء والقضاة ورواة العلم والأدب من أهل الأندلس"[8] خصصه لفئات العلماء بترجمات

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 493-495.

[2]- الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، 1983، ج1، ص 70. ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص 276. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج16، ص 181. الصفدي: المصدر السابق، ج2، 351. إسماعيل البغدادي: المرجع السابق، ج1، ص 51.

[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 46. الرشا طي: الأندلس في اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا، وخاثينتو بوسك بلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية-معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م، ص 65. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص 105. المقري: المصدر السابق، ج3، ص 170.

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص 111. الضبي: المصدر السابق، ص 156.

[5]- القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص 56.

[6] - وكان الحكم المستنصر يقول عنه إذا فاخرنا أهل المشرق بيحي بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد. ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 113-114. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص 18.

[7]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 367-368. المقري: المصدر السابق، ص 422.

[8]- الحميدي: المصدر السابق، ص 223-224، ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 212-216. الضبي: المصدر السابق، ص 290-291. ابن دحية: المصدر السابق، ج1، 235. ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص 375. ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص 452. حاجي خليفة: المصدر السابق، ص 285، 286، 1102، 1430. الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص 121.

قصيرة بنفس الكيفية، وبإقصاء النخب السياسية منه، لقي ترحيبا كبيرا في أوساط العلماء فتتدارسوه في حلقات العلم، وحظي بعمليات تذييل وإيصاله بكتب أخرى على فترات متتالية[1]، وهذا الذي عرف باسم "الصلة" التي أصبحت فيما بعد فنّا من فنون الكتابة التاريخية التي تميز بها الأندلسيون في مصنفاهم التراجمية.

هذه أهم المؤلفات التي سبقت القرن 5هـ/11م، وكانت نموذجا سار عليه من جاء بعدهم، ولكن بإضافات وتطورات في الرؤى والمناهج التي تدل على تقدم الأندلسيين في هذا الحقل من المعرفة التاريخية. وكان من أبرز من ألف في القرن 5هـ/11م في ميدان التراجم ابن حزم وابن عبد البر والحميدي.

فالأول استطاع أن يُقدّم لنا في ثنايا كتبه المختلفة مجموعة كبيرة من التراجم، لم تكن هي المقصودة لذاتها وإنما كان المقصود تقديم اتجاهها ومكانها من الثقة والتجريح، وما يتصل بها من آراء وأحاديث ومعارف مختلفة[2] .

والسمة الغالبة على تراجم ابن حزم أنها أقرب إلى الطبقات، التي هي نوع من أنواع التراجم . ويعترف السخاوي لابن حزم بأنه من المبرزين في التراجم[3].

ولكي نعطي أمثلة على ذلك ما جاء في كتابه المحلى الذي قدّم فيه العديد من الأراء الفقهية نظمها على حسب طبقات هؤلاء الفقهاء، (فقه أهل البيت، فقه الصحابة، فقه التابعين، وتابع التابعين...) مستخدما عمل الجرح والتعديل في التراجم التي طرقها[4].

وقد قدّم ابن حزم تصنيفات في رسالة قائمة بذاتها –"لأصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا" رتّب فيها أصحاب الفتيا ترتيبا تنازليا على مراتبهم في كثرة الفتيا فقط وفيمن بعدهم إلى عصره، وقد انتهى ابن حزم إلى أن المكثرين في الفتيا سبعة هم: عائشة وعلي بن أبي طالب وعبدا لله بن عمر وعبد الله بن عباس وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وزيد

---

[1]- عمارة علاوة: الكتابة التاريخية في الغرب الاسلامي، ص 367.

[2]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 203.

[3]- السخاوي: المصدر السابق، ص 348.

[4]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 205.

بن ثابت..ثم ثلاثة عشر متوسطون، والباقون مقلون عددهم مائة واثنان وأربعون، ومجموعهم مائة واثنان وستون مفتيا[1].

كما قدّم لنا رسالة أُخرى اتبع فيها تصنيفا طبقيا سماها "أسماء الصحابة الرُّواة وما لكل واحد من العدد" حصر فيها ابن حزم (حملة الحديث) عن رسول –صلى الله عليه وسلم- بدءا من أصحاب الألوف، ثم أصحاب المئات، وانتهاءا بمن روى عنهم حديث واحد لرسول الله[2].

وإلى جانب هذه الرسائل التراجمية قدّم لنا ابن حزم تراجم وطبقات من نوع آخر حين سرد علينا تراجم وجيزة، يبين فيها فضائل علماء الأندلس من طبقة المفسرين والمحدثين، واللغويين، والمؤرخين، والأطباء، والفلاسفة في الأندلس[3].

أما المؤلف الثاني ونعني به ابن عبد البر صنف العديد من المؤلفات منها:

- معجمه التاريخي الكبير للصحابة ورواة الحديث أسماه "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ورتّب فيه الصحابة ترتيبا أبجديا على طريقة أهل المغرب، وقد اشتمل كتابه على ثلاثة ألاف وخمسمائة ترجمة[4]، عالجه بنظرة جديدة تمثلت في تنوع مصادره إذ عول على الإخباريين كسيف بن عمر والواقدي وأبي معشر وغيرهم، مخالفا بذلك ما درج عليه المحدثون المهتمون بالتاريخ من اقتصار مصادرهم على روايات أهل الحديث[5]. وله "كتاب الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى"[6]، كما له سير لشخصيات معينة لم يصل لنا منها إلا القليل مثل: أخبار المنذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة زمن الناصر[7]، وهو مفقود، ترجمة الإمام مالك، مخطوط بمكتبة

---

[1]- أنظر ابن حزم: جوامع السيرة (رسالة أصحاب الفتيا)، ص 319.

[2]- المصدر نفسه، (رسالة أسماء الصحابة الرواة)، ص 375 وما بعدها.

[3]- ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس (المقري: المصدر السابق، ج3، ص 169-170.)

[4]- محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير (فنون الأدب العربي، الفن القصصي)، ط2، دار المعارف، مصر، 1969، ص 55.

[5]- محمود إسماعيل: الفكر التاريخي، ص 79.

[6]- الزركلي: المرجع السابق، ج8، ص 240.

[7]- كانت لهذا القاضي (ت355هـ/917 م) العديد من المواقف من الخليفة الناصر جعلته علما للنزاهة والصلابة في الحق، ومنها تعريضه به من خلال نصحه بسبب تخلفه عن صلاة الجمعة، وكذلك عن الأموال الباهظة التي استخدمها في بناء مدينة الزهراء. أنظر ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص 42. وأنظر النباهي: تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق الجديدة، (د.ت)، ص 71-72. المقري: المصدر السابق، ج1، ص 570-572، ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 313-315.

اليونسكو[1]، الدفاع عن عكرمة البربري، وهو مفقود أيضا[2].كما له مؤلفات في التراجم العامة مثل: الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء مالك وأبو حنيفة والشافعي[3]. أخبار أئمة الأمصار (ضائع)[4]، التعريف بجماعة من فقهاء المالكية[5].

أما المؤلف الثالث الذي كتب في التراجم هو الحميدي الذي نأخذه في هذا المبحث كنموذج لكتابة تاريخ التراجم خلال هذا القرن وهذا بدراسة كتابه "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث والأدب".

الحميدي وكتابه الجذوة نموذج للتراجم:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الميورقي الأندلسي المشهور بأبي عبد الله الحميدي نسبة إلى جدّه، المولود في جزيرة ميورقة والذي نشأ في قرطبة، وكانت ولادته قبل 420هـ/1029م[6].

اهتم به أبوه منذ صغره وجعله يتلقى العلم وعمره خمس سنوات، وكان أوّل سماعه سنة 425هـ/1037م على أصبغ بن راشد وعلى حداثة سنه كان يقول: "كنت أفهم ما يقرأ عليه وأفصح ما يقرأ عليه"[7]، وعندما شبّ بدأ يلازم مشيخة بلده أمثال ابن حزم الظاهري الذي اختص به وأكثر من الرواية والأخذ عنه واشتهر بصحبته، هذا فضلا على أنه كان على مذهبه، كما أخذ عن ابن عبدالبر، وأيضا عن ابن حيان، وغيرهم من الشيوخ. وكان من شدّة انكبابه على العلم والاجتهاد فيه "ينسخ بالليل في الحرّ، ويجلس في إجانة ماء يتبرد به"[8].

---

[1]- ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 282.

[2]- المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 356. الزركلي: المرجع السابق، ج8، ص 240. ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 317-322.

[4]- ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 283.

[5]- ليث سعود جاسم: المرجع السابق، ص 323-325.

[6]- أنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 438. الضبي: المصدر السابق، ص 106. ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 282، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج6، ص 693، ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5، ص 156، عمر فروخ: المرجع السابق، ج4، 723. كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ج6، ص 103.

[7]- المقري: المصدر السابق، ج2، ص 113، 114.

[8]- الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص 1219. والإجانة: إناء كبير كالإناء الذي تغسل فيه الملابس عندنا.

وفي سنة 448هـ/1056م رحل إلى بلاد المشرق فرارا من النكبات التي تعرضت لها بلاد الأندلس خلال حكم إمارات الطوائف، وفي رحلته مرّ على افريقية ثم على مصر فتناظر مع شيوخها، وحمل عنهم العلم وحملوا عنه، وفي الحجّ لقي بالمحدثة كريمة المروزية[1]، كما زار بلاد الشام وكانت وجهته الأخيرة إلى بغداد التي استقر فيها إلى أن توفي سنة 488هـ/1095م. وببغداد التقى بالكثير من علمائها وأخذ عنهم، ومن أبرزهم حافظ المشرق الخطيب البغدادي (ت 463هـ/ 1070م)، مما أكسبه معرفة واسعة جعلته يتصدر مجالس العلم وحلقاتها، وقد شهد له بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع، فوصفه الذهبي بقوله: "كان إماما في علم الحديث ومعرفة متونه ورواته، محققا في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث متبحرا في علم الأدب والعربية"[2].

ومن تصانيفه التي ذكرت له واشتهر بها: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تسهيل السبيل إلى علم الترسل، الجمع بين الصحيحين، الذهب المسبوك في وعظ الملوك، مخاطبات الأصدقاء، وفيات الشيوخ...[3]

ويعدّ "الجذوة" كتاب في تاريخ الأندلس، ومشاهير أعلامه ألّفه في بغداد بناءا على طلب البغداديين الذين تشوّقوا إلى معرفة المزيد عن أعلام الأندلس من خلال تأثرهم بأحاديث الحميدي عن وطنه الأصلي حيث بقيت صورته ملازمة له، لم تغب عنه، بعلمائها ومجالسها ومنتدياتها وشعرائها. فكم حدّث أهل بغداد عن ذلك، وكم كان منه حنين إلى تلك الأماكن، مما جعلهم يشيرون عليه أن يجمع ما كان يحدثهم به في كتاب، فأجاب رغبتهم وسمّى هذا العمل "جذوة المقتبس" لعله تيمنا بما فعل ابن حيان في كتابه "المقتبس في أخبار بلد الأندلس"، وكذلك تلميحا إلى أن الكتاب لم يف بالقدر الذي كان يتمنّاه إحاطة بعلماء الأندلس وولاتها وشعرائها، حيث لم تكن مصادر هذا العمل متيسرة[4]، لكنه كتبه اعتمادا على ذاكرته حيث يقول: "بادرت إلى جمع

---

[1]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 438.

[2]- الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص 1219.

[3]- الزر كلي: المرجع السابق، ج6، ص 327-328، عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج11، ص122.

[4]- أحمد يوسف خليفة: مصادر الأدب الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص 19، 20.

المفترق الحاضر وإخراج ما في الحفظ منه وإتعاب الخاطر"[1] معتذرا عن هذا الأمر إذا كان فيه تقصير.

جاء الكتاب في عشرة أجزاء تناول في الجزء الأول منه لمحة تاريخية تحدّث فيها عن فتح الأندلس على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير، ثم تكلّم عن عصر الولاة، وعن الدولة الأموية وأمرائها ثم خلفائها، وتحدث حتى عن الحكام الأمويين في زمن الحرب الأهلية التي بدأت مع مطلع القرن 5هـ/11م بداية بمحمد المهدي ثم سليمان بن الحكم المستعين، لينتقل الحُكم إلى علي بن حمود الحسني، ثم تعود الإمارة مرة أخرى إلى بني أمية سنة 414هـ/1023م بمبايعة أهل قرطبة عبد الرحمن بن هشام المستظهر، إلى أن يصل لآخر خلفائهم هشام بن محمد المعتد بالله، ثم زالت دولتهم بقيام بني جهور بالاستيلاء على الحكم سنة 422هـ/1031م، كما تضمّن هذا الجزء الحديث عن بعض أمراء الطوائف كبني عباد باشبيلية، وبني حمود في مالقة. وفي حديثه عن هؤلاء الحكّام يُقدّم ترجمة لكل أمير أو خليفة بذكر ولادته، ونسبه، وكُنيته ووفاته، ومدّة حكمه وأهم الأحداث التي جرت في عصره وإن كان للمترجم له شعرا أو نثرا يذكره، وقد يستطرد فيما كتب بذكر بعض النوادر، ففي ترجمته للحكم المستنصر أشار إلى أنه منع الخمر وتشاور في استئصال شجرة العنب، فقيل له يصنعونها من التين فعدل عن ذلك[2].

أما الأجزاء التسعة من الكتاب فخصّصها لأصحاب الحديث وأهل الفقه والأدب والأخبار مُتضمنة تسعمائة وسبعة وثمانون (987) شخصية، فيبدأ الترجمة باسم العالم متتبعا نسبه حتى الجدّ العاشر أحيانا، ثم يذكر كنيته ونسبه وبلده وشيوخه ونشاطه ورحلاته ومؤلفاته ثم يعرض نماذج من شعره إن وجدت، وقد يورد القصص والروايات أحيانا[3].

وقد جاءت هذه الترجمات مرتبة حسب أحرف المعجم، كل حرف خصّص له باب، لكنه بدأ بالمحمدين[4] تيمنا بذكر سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- ثم بالأحمد ين[5]، ولا يتقيد بالحرف

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 12.
[2]- المصدر نفسه، ص 19.
[3]- المصدر نفسه، (مقدمة المحقق)، ص 7.
[4]- المصدر نفسه، ص 35-89.
[5]- المصدر نفسه، ص 89-131.

الثاني في ترتيب الأعلام، فقد أورد إسماعيل[1] قبل إدريس[2] وحزم قبل حبيب، بينما بعض الحروف لم يذكر لها إلا علما واحدا كحرف الذال، وبعضها لم يذكر واحدا مثل حرف الراء، وحرف الظاء متعللا أنه لم يجد شيئا. ثم جاء الجزء العاشر مشتملا على من اشتهر بالكنى ومن نسب إلى أحد أبائه ومن ذكر بالصفة، ثم خصّص بابا لأسماء النساء[3].

أما المنهج الذي اتبعه الحميدي في تأليف هذا الكتاب : فيمكن ذكر الخصائص التالية:

- الملاحظة الأولى؛ عنوان الكتاب يدل عن إبداع جديد في موضوع التاريخ، حيث جمع فيه الحميدي بين التاريخ السياسي والتراجم، وإن كان التاريخ السياسي في الكتاب جد مختصر، كما أنه جمع في محتواه بين المشهورين في العلوم النقلية والعلوم العقلية، وهذا يعتبر تطورا جديدا في ميدان كتابة الطبقات[4]. والحميدي في هذه الترجمات لم يلتزم بمنهج أو طريقة محددة، ففي بعض الأعلام لا تتجاوز الاسم والكنية واللقب، وفي بعضها تشمل تاريخ المولد والوفاة ومكانها ومواقف من حياة المترجم له وذكر بعض أصدقائه، ويأتي ذلك في صفحات، وقد يشير إلى رحلات بعضهم وفضلهم وما لهم من تصانيف، ولذا فله الفضل في الكشف عن كثير من الكتب، أكثرها مفقود وبعضها ما زال مخطوطا لم يحقق بعد[5]. كما أنه لم يهتم بالإسناد وعالج الأحداث والوقائع استنادا إلى تحقيق الروايات بعيدا عن النظرة الأسطورية والخرافية[6].

وعلى الرغم من حُبّه وحنينه للخلافة الأموية في الأندلس لم يمنعه من انتقاد الجائرين من حُكّامها وتمجيد المحسنين منهم فهو ينتقد مثلا الحكم بن هشام ويعتبره طاغية مسرفا لما فعله بأهل الربض[7]، ويمتدح الحكم المستنصر لحسن سيرته وحُبّه للعلم وإكرام أهله[8].

ويحاول الحميدي أن يكون أمينا فيما يذكره لمن يترجم لهم مثلا قوله: "محمد بن أبي الأسعد، محدث أندلسي، مات بها سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وأخاف أن يكون الأول، وصحف

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 143-147.

[2]- المصدر نفسه، ص 148-149.

[3]- المصدر نفسه، ص 372-374.

[4]- محمود إسماعيل: الفكر التاريخي، ص 91.

[5]- أحمد يوسف خليفة: المرجع السابق، ص 22.

[6]- محمود إسماعيل: ابن حزم ومدرسته، ص 399-300.

[7]- الحميدي: المصدر السابق، ص 16.

[8]- المصدر نفسه، ص 19.

الأشعث بالأسعد"[1]. وتبدو أمانته ودقته أيضا في محاولة نسبه الرّوايات إلى أصحابها مُتأثرا في هذا بروايات رجال الحديث[2]. كما نجده مولع بالنوادر من الحكايات، يذكرها بهدف العبرة والموعظة، كما أنـــه يهتم بذكر أشعار المترجم لهم، فهو يحاول أن يجمع الكثير منها، كما أشار إلى ذلك في ترجمته لعلي بن أحمد بن حزم حيث قال عنه: "وكان له في الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير وقد جمعناه على حروف المعجم ومنه..."[3].

أما مصادر الحميدي في تصنيفه لهذا الكتاب فهو اعتمد على الذّاكرة إبان وجوده ببغداد حيث يقول: "وبادرت إلى جمع المفترق الحاضر وإخراج ما في الحفظ منه واستيعاب الخاطر"[4]، وكانت أهم مصادره هي مؤلفات ابن حزم ومروياته حيث اختص به وأكثر من الأخذ عنه واشتهر بصحبته، والأمثلة في الجذوة كثيرة، ففي نهاية الجزء الأول الذي تحدث فيه عن التاريخ السياسي يقـــول: "هـــذا آخر ما استفدنا أكثره من شيخنا أبي محمد علي بن أحمد رحمه الله، وعلمناه نحن من جمل أخبار من ذكرنا من ملوك تلك البلاد إلى وقت خروجنا منها ..."[5]، وفي رواياته التي تختص بالتراجم فكانت أكثر نصوصها لابن حزم التي جاءت بعدة أوجه بقوله: "أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:"[6]، أخبرنا عنه أبو محمد علي بن أحمد قال:"[7]، "حدثنا عنه أبو محمد علي بن أحمد الفقيه"[8]، "حدثني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الفقيه، وأملاه علي بالأندلس قال[9]".

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 41.

[2]- أحمد يوسف خليفة: المرجع السابق، ص 23.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 278-279.

[4]- المصدر ننفسه، ص 12.

[5]- المصدر نفسه، ص 33.

[6]- المصدر نفسه، ص 46.

[7]- المصدر نفسه، ص 44.

[8]- المصدر نفسه، ص 63.

[9]- المصدر نفسه، ص 64.

كما أخذ عن ابن عبد البر الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد ابن حزم من حيث كثرة النصوص التي رواها عنه[1]، وذلك فيما يختص بتراجم الأندلسيين ومشاهيرهم ومصادره في ذلك رواياته التاريخية التي وردت في صيغ عدّة منها "قال لنا ابن عبد البر"، وأخبرنا شيخنا"، و"أخبرنا أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري بالأندلس قال:"[2]، والمصدر الآخر هو مؤلفات ابن عبد البر المكتوبة وفهرسة شيوخ ابن عبد البر على رأسها، وكان ينقل عنها بصيغة "ذكرهُ ابن عبد البر في شيوخه" أو "شيخ من شيوخ ابن عبد البر"[3]، ثم ابن عبد البر قد أجاز الحميدي بأغلب مؤلفاته ومسموعا ته في مختلف العلوم التي كتب فيها أو تلقاها عن مشايخه[4].

وإلى جانب ابن حزم وابن عبد البر أخذ عن العديد من رواة وفقهاء الأندلس وغيرهم بما حفظته ذاكرته، وأيضا من خلال مشاهداته ومعاينته للأحداث التي عاصرها، ورحلاته داخل الأندلس وخارجها.

[1]- عدد النصوص التي أسندها صراحة إلى ابن عبد البر كانت واحدا وثمانين نصا، ولعله نقل عنه نصوصا أخرى لم يسندها إلى ابن عبد البر لأنه ألف كتابه وهو بعيد عن كثير من مصادره ومكتوباته، وقد اعتذر لنفسه بذلك في مقدمة كتابه. الحميدي: المصدر السابق، ص 11، 12.

[2]- المصدر نفسه، ص 58.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 37.

[4]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 572.

خامسا: الأنساب

عني العرب بأنسابهم في الجاهلية، وتجددت عنايتهم بالأنساب عقب الفتوحات الإسلامية الأولى عندما أنشأ عمر بن الخطاب الديوان الذي يهتم بتنظيم قضية العطاء وضبطه وتوزيعه وما يلحق به من غنائم وفيئ وخراج ....الخ، وراعى عمر في هذا النظام القرابة من النبي-صلى الله عليه وسلّم- فبدأ بالعباس عمّ النبي، ثم قدّم بني هاشم على غـــيرهم من العشائر القرشية، وقدّم قريشا على غيرها من القبائل[1]. ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة، مُراعيا في ذلك الاعتبار الديني والقبلي في آن واحد[2].

وفي العهد الأموي ازداد الاهتمام بالأنساب ووُضعت لهذا الغرض سجلات خاصة بها، وكان الاهتمام السياسي بالقرشيين والطائفي بآل علي، والاهتمام القديم بالقبائل العربية، واعتزاز الحكام والأشراف بأحسابهم وأنسابهم عندما قامت الخصومات القبلية، ونشأت الشعوبية في أواخر العصر الأموي التي أخذت تفتش عن مثالب العرب، كان كل ذلك من العوامل التي ساعدت على الكتابة في الأنساب[3]، والتي استمر الاهتمام بها في القرون التي تلت تلك الفترة.

وفي الأندلس وجدت الكتابة في الأنساب مجالا خصبا لها لغلبة الصفة الإقليمية لهذه الرقعة الجغرافية المتميزة، بالإضافة إلى اصطدام العناصر العربية هناك بعناص أخرى كالبربر والصقالبة فضلا عن العنصر المحلي نتج عنه اهتمام المؤلفين بالكتابة في الأنساب فظهرت كتب في هذا المجال، حيث ألّف قاسم بن أصبغ في الأنساب كتابا "في غاية الحسن والإيعاب والإيجاز"[4]، وألّف أحمد بن محمد الرازي (ت 344هــ/952م) كتاب "الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس"[5]، وكذلك معاصره عبد الله بن عبيد الله بن الحكيم (ت341هــ/952م) الذي ألف كتابا "ذكر فيه الخلفاء

[1]- خليفة بن خياط: كتاب الطبقات، تحقيق أكرم العمري، مطبعة العاني، بغداد، 1967، مقدمة المحقق، ص 33.

[2]- عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص 40.

[3]- أنظر فرانز روزنتال: المرجع السابق، ص 14.

[4]- ابن حزم: فضل أهل الأندلس (المقري: المصدر السابق، ج3، ص 173). الحميدي: المصدر السابق، ص 298. الضبي: المصدر السابق، ص 91. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج16، ص 237، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص 472.

[5]- الحميدي: المصدر السابق، ص 92. الضبي: المصدر السابق، ص 130. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2، ص 133. الصفدي: المصدر السابق، ج8، ص 131.

ومن تناسل منهم في الأندلس، ومن سائر قريش ومواليهم، وأهل الخدمة منهم والتصرف لهم، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق من غير قريش ومواليهم، ومشاهير قبائل البربر الذين سكنوا الأندلس، رفعه للناصر أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد سنة ثلاثين وثلاثمائة"[1]، وألف كذلك مطرف بن عيس الغساني (ت 357هـ/967م) كتابا في "أنساب العرب النازلين في البيرة وأخبارهم"[2]، وألف معاوية بن هشام الشمبيصي (ت بعد 350هـ/961م) كتاب في "نسب العلوية وغيرهم من قريش، سمّاه "التاج السني من نسب آل علي"[3].

وفي القرن 5هـ/11م ازدهرت الكتابة في الأنساب وأسهم ابن عبد البر، وابن حزم بمؤلفات أعطت لهذا الحقل من المعرفة التاريخية دفعا جديدا.

فابن عبد البر صنف كتابين، الأول عنوانه "الإنباه على قبائل الرواة" تكلّم فيه عن القبائل التي روت عن الرسول –عليه الصلاة والسلام- من قريش، ومن الأنصار، ومن غيرهما، وفي مُقدّمة هذا الكتاب ذكر أهمية علم الأنساب وقال: "فلو كان لا منفعة له لما أشتغل العلماء به لأن معرفة الأنساب علم لا يليق جهله بذوي الهمم والآداب"[4].

والكتاب الثاني عنوانه "القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم" وهو عبارة عن رسالة صغيرة مختصرة ألفها بهدف إعطاء فكرة عامة عن الأجناس البشرية وأصولها من لدن آدم ونوح عليهما السلام ومن ثم أولاد نوح الذين تفرعت عنهم سائر الأمم "وما تداخل من بعضهم في بعض على تباعد البلدان ومر الدهور والأزمان إذ لا يحصى فروعهم وجماعتهم إلا الله خالقهم"[5].

أما ابن حزم فقد عُــرف بالأنساب، وقد ذهب كثير من المؤرخين، ومنهم ابن خلدون إلى "أن ابن حزم إمام النسابين ولا ريب"[6]، ويتجلى ذلك في مصنفه "جمهرة أنساب العرب" الذي سنخصُّه بدراسة نُعرّف من خلالها بابن حزم وأسلوبه ومنهجه في هذا الكتاب.

---

[1]- عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ق1، ص 213.

[2]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 399-400.

[3]- أنظر ابن حيان: المقتبس (تحقيق ملشور) ص 37-41، والمقتبس (تحقيق شالميتا) ص 40، 102-104، 138-139، ابن الأبار: التكملة، ج2 ، ص 183.

[4]- ابن عبد البر: الإنباه، ص 42.

[5]- ابن عبد البر: القصد والأمم، ص 8.

[6]- ابن خلدون: المقدمة، ص 75

ابن حزم وكتاب الجمهرة نموذج في الأنساب:

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد[1]، وهو أحد رجالات الفرس الكبار[2]. فكان على دين النصرانية ثم أسلم فأصبح مولى ليزيد بن أبي سفيان بن حرب أخو معاوية الذي ولاه أبو بكر إمرة الجيش الأول الذي ذهب لفتح الشام، وإلى هذا النسب ربما يكمن السر في ولاء ابن حزم للأمويين[3]، وجده خلف أول من دخل الأندلس من أبائه[4].

وقد استوطنوا قرية "منت ليشم" من إقليم الزاوية من عمل "أونبة" من كورة لبلة[5]. غربي الأندلس ثم انتقل أبوه إلى قرطبة وأستقر بها[6].

هذا ما ذكره معظم المؤرخين حول نسب ابن حزم، وقد نقل أكثرهم في ذلك عن القاضي صاعد بن أحمد الطليطلي (ت 462هـ/1069م). الذي كان أحد تلامذته.

و لم يعارضه في ذلك، إلا ما شككّ فيه ابن حيان (ت 469هـ/1070م) الذي أرجع أصله إلى جذور إسبانية مبعدا عنه النسب الفارسي[7].

وقد ولد بقرطبة سنة 384هـ/994م، ونشأ في أسرة غنية تشتهر بالعلم، حيث كان أبوه عالما ووزيـــرا من وزراء المنصور بن أبي عامر وابنه مـــن بعده عبد الملك المظفر[1]. حيث تلقى دروسه

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 302، صاعد: المصدر السابق، ص 181، الضبي: المصدر السابق، ص 364. الذهبي: العبر في خبر من غبر، سلسلة التراث العربي، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، 1960-1966، ج2، ص 306، الفيروز أيادي أبو طاهر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972، ص 146.

[2]- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج12، ص 235-236.

[3]- يقول القلقشندى: "بنو أمية كان له عشرة أولاد يسمون الأعياض، وستة يسمون العنابس، وكان من العنابس أبو سفيان الجد الأعلى لابن حزم وهم أبناء أمية بن عبد شمس القرشي كما سبق أن جاء في السلسلة الكاملة لاسمه. ومن العنابس كان أبو سفيان كان أبو سفيان الذي صرحت التراجم بأنه جد ابن حزم الأعلى يزيد مولى ليزيد ابن أبي سفيان" أنظر القلقشندى: نهاية الأرب في أنساب العرب، ص 83.

[4]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 322، وأنظر أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج1، ص 402.

[5]- لبلة: كورة كبيرة بالأندلس، تتصل بعمل أكشونبة، وهي شرق أكشونبة وغرب قرطبة، وهي برية بحرية تقع على نهر طنتس. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 10، 301.

[6]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 333.

[7]- ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق1، ص 142.

الأولى على أيدي نساء عالمات كن يعشن في قصر والده، فلقن مبادئ العلوم، وروين له الأشعار وحفظنه القرآن[2]. وقد عني والده بتربيته وأشرف على تعليمه منذ حداثة سنه، وقد بقي ابن حزم متأثرا بشخصية والده الوزير طيلة حياته، فقد كان أحد مصادره الشفوية في التاريخ، لأنه كان يقصّ عليه بعض الأحداث التي شهدها في وزارته للمنصور بن أبي عامر[3]. ومن أساتذته بعد والده في التاريخ ابن الجسور (ت 401هـ/1011م) وقد كان أيضا أستاذه في الحديث، وأوّل سماعه كان منه قبل الأربعمائة كما في الصلة لابن بشكوال[4]، وفي بغية الملتمس للضبي الذي ذكر أن ابن حزم قرأ على ابن الجسور "كتاب التاريخ" للطبري[5]، وهو من الكتب التي عرف ابن الجسور بإقرائها، هذه الدراسة التي أعطته إدراكا وفهما لتاريخ البشر والأديان. كما أخذ عن القاضي ابن الفرضي، وهو من المذكورين في رسالة ابن حزم في "فضائل علماء الأندلس"[6] وابن الدلائي العذري (ت 478هـ/ 1085م)، وابن المسور أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد أبي عمر الأموي (ت401هـ/ 1011م)، وهو محدث كالعذري ومكثر، وسمع من أبي بكر احمد بن الفضل بن العباس الدينوري (ت 349هـ/ 960م)، حدث عنه بكتاب التاريخ لابن جرير الطبري.

كما سمع الحديث أيضا على أبي عمر الطلمنكي (ت 420هـ/ 1029م)، ويحي بن مسعود ابن وجه الجنة (ت 402هـ/ 1012م)، وأبي بكر ابن حمام بن أحمد القاضي، وتعلم الفلسفة والمنطق وعلوم الأوائل على يد أستاذه محمد بن الحسن المدحجي المعروف بابن الكتاني (ت بعد 400هـ/ 1009م)، وكان أديبا شاعرا طبيبا من مدرسة المجريطي.

ولابن حزم غير هؤلاء شيوخ كثيرون في الحديث والأدب والفقه لا يمكن حصرهم تلقى عليهم مباشرة، كما يوجد العديد ممن أخذ عنهم، دون يقابلهم أو يراهم، وإنما أخذ عن كتبهم، حيث أنه كان شغوفا بالقراءة فجمع من الكتب شيئا كثيرا، فأطلع على العديد من مؤلفات المشارقة والمغاربة، وحتى كتب الأندلسيين، كما أنه كان له إطلاع على الكتب المترجمة من اللغات

---

[1]- أنظر الحميدي: المصدر السابق، ص 112، صاعد: المصدر السابق، ص 184.

[2]- ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق فاروق سعد، مكتبة الحياة، بيروت، 1982، ص 140.

[3]- أنظر إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 248- 249.

[4]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 334 .

[5]- أنظر الضبي: المصدر السابق، ص 365. وأنظر بالنثيا: المرجع السابق، ص 174، 213.

[6]- ابن حزم: فضل أهل الأندلس، (المقري: المصدر السابق، ج3، ص 169).

الأخرى إلى العربية[1]. مما جعله يحضى بكثير من الصفات والعديد من المواهب التي مكنته من بلوغ مكانة عالية في مجالات العلوم المتنوعة والمعارف المختلفة، والذي يهمنا في هذا الإطار هوما قدمه في مجال المعرفة التاريخية وذلك من خلال استفادته من الروافد الثقافية المتنوعة وخبرته الإنسانية فقد كان واسع الإطلاع على مختلف المؤلفات التاريخية الموجودة في عصره، فأدرك مناهجها ونزعاتها المتعددة، فكان راصدا للتاريخ المعاصر له، وكان أحيانا مشاركا في صنعه، أو قريبا من صُنّاعه بحكم مركزه الاجتماعي، مما أهلّه أن يكون عارفا بما يجري حوله من دقائق الأمور، كما اعتمد بالإضافة إلى المؤلفات والمشاهدات، على الروايات الشفوية، ولقاء الشيوخ، ومحاورة الأقران وفي هذا يقول: "وقد شاهدنا الناس، وبلغتنا أخبار أهل البلاد البعيدة، وكثر بحثنا عما غاب عنا منها، ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة في أخبار من سلف من عرب وعجم في كثير من الأمم"[2]، فتولد لديه –عن هذا كله- فهم عميق للتاريخ، وتصور صحيح لأحداثه ووقائعه، فكان منهجه في نقد الأخبار دقيقا يبتعد عن الخرافة والمبالغة والتهويل.

أمّا حياة ابن حزم السياسية فقد مرّ بنا أن أباه كان وزيرا للحاجب المنصور بن أبي عامر، ثم لابنه المظفر. وقد أمضى طفولته في قصور والده يعيش بين النساء والحريم حتى بلغ سن الشباب[3].

لكن بعد ذلك يتنكر الزمان له ولأسرته، خاصة بعد ذهاب العامريين وقيام الحرب الأهلية بقرطبة في مطلع القرن 5هـ/11م، ووفاة أبيه بعد ذلك بقليل سنة 402هـ/1011م[4].

وكان ابن حزم في ذلك الوقت قد بلغ الثامنة عشر من عمره، فيضطر للخروج مع أسرته سنة 404هـ/1013م من قرطبة قاصدا المرية فاختلف مع حاكمها خيران العامري مما اضطره لسجنه فترك المرية بعد ذلك إلى بلنسية، والتقى بالمرتضي الأموي وانضم إليه، وتوجه معه إلى قرطبة لاستعادة الخلافة من الحمّوديين، ولكنه أسر في غرناطة سنة 408هـ/1017م، ولم يتمكن ابن حزم من العودة إلى قرطبة إلا سنة 409هـ/1018م، وبقي فيها، ولما تولى الخلافة عبد الرحمن المستظهر سنة 414هـ / 1023م، استوزره. ولم يمر إلا شهر ونصف حتى قُتل المستظهر وسُجن

[1]- ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج2، ص 11، مقدمة المحقق.

[2]- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق يوسف البقاعي، دار التراث العربي، بيروت 2002، ص 173.

[3]- ابن حزم: طوق الحمامة، ص 140.

[4]- المصدر نفسه، ص 251.

ابن حزم ثم عفي عنه، ولما تولى هشام المعتد الخلافة (417- 422هـ/ 1027- 1031)[1]. وُلّيّ ابن حزم الوزارة كذلك[2].

وبعد خلع هشام المعتد وانتهاء أمر الدولة الأموية نهائيا سنة 422هـ/1031م، ترك ابن حزم السياسة، وانصرف بعد ذلك للعلم والتأليف[3]، ونشر مذهبه متنقلا بين الحواضر الأندلسية منتقدا ما آل إليه حال الأندلس وانقسامها إلى ممالك متناحرة، حيث هاجم العديد من حُكّامها وعلى رأسهم المعتضد بن عباد (433- 469هـ/ 1042- 1069م) الذي لم يتوان في اضطهاده وإحراق كتبه نتيجة تحريض فقهاء المالكية عليه.

وعندما فشل ابن حزم في نشر مذهبه اعتزل الناس في بيته الريفي بضواحي لبلة بالقرب من اشبيلية في غرب الأندلس، وهناك ألّف عدة كُتب لم تتخط عتبة داره كما يقول معاصره ابن حيان[4]. وتوفي ابن حزم سنة 456هـ/1064م عن عمر يناهز واحد وسبعين عاما تاركا وراءه مؤلفات وتصانيف كثيرة تميزت بثقافته الواسعة وعلمه الغزير وهذا باعتراف الكثير من معاصريه أو الذين جاءوا بعده.

والذي يهمنا في هذا الصدد هو مؤلفاته التاريخية التي نذكر منها:-

نقط العروس في تواريخ الخلفاء، أسماء الخلفاء ومددهم، رسالة في فضل أهل الأندلس وذكر رجالها، رسالة حجة الوداع، جمهرة أنساب العرب، كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، رسالة في أمهات الخلفاء، كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف، وغيرها.

ألف ابن حزم في حقل الأنساب الذي يحتل مكانة معتبرة عند العرب، فهو باب من أبواب التاريخ الإسلامي، وعند ابن حزم هو جزء من علم الخبر أي التاريخ.

ويعد كتابه "جمهرة أنساب العرب" من أهم المؤلفات التي عالجت موضوع الأنساب خلال القرن 5هـ/11م، ويذكر محمد هارون محقق "الجمهرة" منطلقا من إشادة ابن خلدون به من امتياز ابن حزم في هذا الباب بالخصوبة والتوسع، وذلك بالإشارة -على حد قوله- إلى أهم الأحداث التاريخية والقبلية والأدبية، وأيام العرب والمشهور من أمثالها وأنبائها مع التحقيق في ذلك،

---

[1]- صاعد: المصدر السابق، ص 181.

[2]- المصدر نفسه، 262.

[3]- محمد أبو زهرة: المرجع السابق، 40.

[4]- ابن بسام: المصدر السابق، مج 2، ق1، ص 70

وبيان الخلاف فيه، مع الحكم الصادق، ثم بما حاوله بدقة والتزام بعقد الصلة بين القبائل العربية النازحة إلى الأندلس والمغرب، وبيوتات الحكم والولاية والسلطان منهم، وبيّن أجذامها وأصولها المشرقية التي انحدرت منها وأنسابت متشعبة في بلادها الجديدة[1]، ولم يغفل مع ذلك عن بيان المدن والمساكن التي تجمهرت فيها تلك الجاليات وتكاثرت، وحفظ لنا بذلك أسماء تلك البلدان وتعليل تسمياتها أحيانا[2]، فهو يعد وثيقة هامة في هذه الناحية.

كما يمدنا الكتاب بأخبار عن الحركات والفرق المختلفة، كحركة الزنج[3]، والقرامطة[4]، والشيعة[5]، والزنادقة[6]، مفندا لدعواهم التي اعتمدوا فيها على النسب، وخاصة العبيديون حيث أبطل دعوتهم بانتمائهم إلى فاطمة.

كما أن هذه المعارف الكثيرة المبثوثة المضافة إلى أصحابها تمدنا بقدر كبير من التراجم الوجيزة التي تضم إلى جهود ابن حزم في باب التراجم والطبقات[7].

فالملاحظ أن معظم النّسابة اعتادوا على ذكر الأصول والفروع الكبرى فقط، على أساس أن ذلك من شأن كتب التاريخ العام. لكن ابن حزم كان يلجأ إلى التفريع، ويذكر الفروع بالتفصيل، ويورد الأمهات، ويبين هل هن حرائر، أم أمهات أولاد، بل أنه كان مغرما بتتبع سيرة هؤلاء الأمهات وبيان عدد الأزواج الذين تتابعوا عليهن[8].

وبذلك نرى في أنساب ابن حزم من التفصيلات الدقيقة لحياة المرأة العربية، والأبناء والأحفاد وأنسابهم ما لا نكاد نجده عند غيره. وفي تناوله لهذه الأنساب كان يركّز على المشهورين منهم[9].

---

[1]- أنظر ابن حزم: الجمهرة، مقدمة المحقق، ص 12.

[2]- المصدر نفسه، أنظر مثلا: ص 6، 47، 48، 50، 51، 52، 59، 122، 321 وغيرها.

[3]- المصدر نفسه، ص 57، 58.

[4]- المصدر نفسه، ص 55، 60.

[5]- المصدر نفسه، ص 58، 61، 63.

[6]- المصدر نفسه، ص 71.

[7]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 211.

[8]- ابن حزم: الجمهرة، أنظر مثلا: تفريعه لأولاد علي بن عبد الله بن العباس ص 12، وتفريعه الأمويين والعباسيين وغيرهم، وأبناء علي بن أبي طالب (من ص 37 إلى 38)، وأنظر مثلا تتبعه لزيجات الزعوم بنت أياس ألتي تتابع عليها خمسة (ص 224)، وأنظر اهتمامه بالأمهات ص 14، 15 وغيرها كثير.

[9]- المصدر نفسه، ص 36.

وهو يوضح ذلك في مقدمته بقوله: "فجمعنا في كتابنا هذا تواشح أرحام قبائل العرب، وتفرع بعضها من بعض، وذكرنا من أعيان كل قبيلة مقدارا يكون من وقف عليه خارجا من الجهل بالأنساب ومشرفا على جمهرتها[1].

ثم رأى ابن حزم أن هذه الأنساب المبسوطة محتاجة إلى تجميع مختصر، فعمد إلى تلخيصها ليسهل الوقوف على اتصال بعضها ببعض، وتشعب بعضها مع بعض ليقرب حفظ ذلك على من أراده، وعقّب بعده بالكلام عن مفاخرة عدنان وقحطان، وهما الجذمان الكبيران لجميع قبائل العرب. وفي خاتمة هذا الفصل ينتهي ابن حزم بإظهار فضل العدنانيين على القحطانيين[2].

ونجد بعد هذا الفصل فصلا آخر في ديانات العرب وأصنامها[3]، ثم يتصل الكلام بوثيقة هامة لابن حزم في نسب البربر، وما من شك في أنه الأصل الأصيل لكل ما عرف علماء النسب من العرب عن أنساب هؤلاء القوم، وهو المرجع الذي اعتمده ابن خلدون في تاريخه "العبر"، كما اعترف بذلك عن الأخذ من كتابه[4]. ثم يعرض ابن حزم لبيان أسرة بني قسي المولدة التي تنتمي إلى أصل اسباني[5]، وهذا مما يمتاز به هذا الكتاب أيضا.

وميزة أخرى تتجلى بعد ذلك في ذكر ابن حزم لنسب بني إسرائيل، وقد أفادته خبرته الواسعة، ودراسته الدقيقة للتوراة في تلخيص هذا النسب[6]، ولم يفته في ختام تأليفه أن يذكر ملخصا لأنساب ملوك الفرس هو الغاية في الاختصار والاستيعاب[7].

وبذلك يكون هذا الكتاب وثيقة جامعة لأنساب العرب ومن لاذ بالعرب واتصل بهم في هذه الفترة من تاريخهم[8].

---

[1]- ابن حزم: الجمهرة، ص 6.

[2]- المصدر نفسه، ص 495، 498، وأنظر مقدمة المحقق، ص 14.

[3]- المصدر نفسه، ص 487- 490.

[4]- أنظر ابن خلدون: العبر، ج9، ص 70- 150.

[5]- ابن حزم: الجمهرة، ص 506.

[6]- ابن حزم: الجمهرة، ص 511.

[7]- المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص 14، 15.

[8]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 212.

ويلاحظ أن نزعة ابن حزم التاريخية الواضحة في موضوع الأنساب تدفع به إلى الاستيعاب فهو يعني بالجوانب الحضارية الراجعة إلى أصحاب النسب كالكتب المؤلفة للمتحدث عنهم، وعن مذاهبهم، وأعمالهم والنوادر المتصلة بهم، وتاريخ وفاتهم[1].

وما يمكن ملاحظته حول منهج ابن حزم:

- فالكتاب عنوانه أضيق من مضمونه فهو لم يؤرخ للعرب فقط، بل أرّخ فيه أيضا لعناصر أخرى استوطنت الأندلس كالبربر والفرس والمولدين واليهود[2]، كما أنه لم يقتصر على موضوع النسب فحسب بل يذهب إلى عرض معتقدات تلك العناصر وأخبارهم السياسية. والكتاب ليس فيه كل أنساب العرب وإنما بعض من اشتهر منهم ومن استقر بالأندلس.

في الكتاب تصحيح لأخطاء كتب الأنساب، ولكنه من ناحية أخرى لم يسلم من بعض الهفوات التي وقع فيها، من بينها قوله في عبارة متناقضة من ناحية تركيبها ودلالتها: "أما أبو العباس أمير المؤمنين فأعقب بنين، أكبرهم محمد ولي البصرة، ومات عن غير عقب، ولا عقب لأبي العباس السفاح"[3]، إلاّ أن هذه الهفوة لا تنقص من جهود ابن حزم في حقل الأنساب الذي يعدّ من أبرز وأجدر مؤرخيه.

ويبرز تمسك ابن حزم برؤيته السنية لقضية الخلافة، وهذا بإصراره على أن الإمامة في قريش دون سواها حسب معتقد أهل السنة حيث يقول: "ومن الفرض في علم النسب أنه يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهد بن مالك بن النصر بن كنانة، ولو وسع جهل هذا لأنكر أدعاء الخلافة لمن لا تحل له"[4].

---

[1]- ابن حزم: الجمهرة، ص 26، 32، 33، 63، 88، 118، 124، 398 وغيرها.

[2]- أنظر محمود إسماعيل: الفكر التاريخي، ص 90.

[3]- ابن حزم: الجمهرة، ص 85. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 214.

[4]- ابن حزم: الجمهرة، ص 66، وأنظر محمود إسماعيل: الفكر التاريخي، ص 90.

سادسا: تاريخ الأدب

يعتبر التأليف في هذا الفن من الموضوعات التي لم يتطرق إليها المؤرخون المحدّثون من قبل في الأندلس، طرقها نظراءهم في هذا العصر، على الرغم من أن طلائعها الأولى ترجع إلى القرن4هـ/10م، أما ازدهارها الكبير فكان مع نهاية القرن 5هـ/11م. وتُحدّثنا المصادر عن المؤلفات الأولى التي عنيت بالشعراء وسيرهم، نذكر منها ما كتبه عثمان بن ربيعة القرطبي (ت 310هـ/ 922م) في مصنفه "طبقات الشعراء بالأندلس"[1]، وابن أبي الفتح قاسم بن نصير بن وقاص (ت 338هـ/ 949م) الذي كان فقيها ونحويا وشاعرا وأكثر شعره في الزهد، ألف كتابا في الشعراء من الفقهاء بالأندلس[2]. ومن أوائل مؤرخي الأدب الأندلسيين كذلك محمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد (ت 340هـ/ 951م) له كتاب في "أخبار الشعراء بالأندلس"[3]. ومنهم عبد الله بن محمد بن مغيث الأنصاري (ت 352هـ/ 993م) الذي كان مقرّبا من الحكم المستنصر فكلّفه بتصنيف كتاب عن "شعراء الخلفاء من بني أمية"[4]، كما كتب أحمد بن محمد بن فرج الجياني (ت359هـ/970م) كتاب الحدائق ألفه للحكم المستنصر ضمّ فيه أخبار معاصريه من شعراء الأندلس[5]، وألّف علي بن عبد المحسن الفتوحي (ت 384هـ/ 994م) كتابا جمع فيه بين الشعراء واللغويين وأهل السياسة عنوانه "المستجاد من فعلات الأجواد"[6].

وفي مطلع القرن 5هـ/11م ألّف في هذا النوع أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن أفلح الأنصاري الخزرجي بن ماء السماء (ت419هـ/1031م) كتابا في "أخبار شعراء

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 272. الضبي: المصدر السابق، ص 361.

[2]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 285، 286، بالنثيا: المرجع السابق، ص 285، 286.

[3]- الحميدي: المصدر السابق، ص 85. الضبي: المصدر السابق، ص 120.

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص 221، ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 206، الضبي: المصدر السابق، ص 288. إسماعيل البغدادي: المرجع السابق، ج1، 446. عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج6، ص 141. الزركلي: المرجع السابق، ج3، ص 120.

[5]- الحميدي: المصدر السابق، ص 92، 93. الضبي: المصدر السابق، ص 130.

[6]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 287.

الأندلس"[1] أثنى عليه ابن حزم، وقد قال عنه ابن بسام: "إن له كتابا جمع فيه أشعار الأندلس خاصة، وهو صاحب كتاب "البديع في وصف الربيع"[2].

ولكن أبرز من كتبوا في هذا المجال خلال هذا العصر بالأندلس هما ابن بسام الشنتريني، والفتح بن خاقان الاشبيلي اللذان عاشا بين القرنين (الخامس والسادس الهجريين) وكتابتهما تناولت القرن 5هـ/11م الذي هو مقام بحثنا.

فالأول هو أبو الحسن علي بن بسام التغلبي النسب (ت541هـ/ 1147)، من أهل شنترين في غرب الأندلس (البرتغال حاليا) ألف مصنفا عنوانه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" وهو عبارة عن موسوعة أدبية تضمنت تراث القرن 5هـ/ 11م وهي الفترة العلمية المزدهرة التي عرفتها الأندلس، وقد ذكر ابن بسام السبب الذي جعله يترك الحديث عن الشعر الذي قاله الأندلسيون في فترتي بني أمية والمنصور، فهو لا يرغب أن يكرّر ما احتواه "كتاب الحدائق" لابن فرج الجياني الذي ضاهى به "كتاب الزهرة" لابن داوود الأصفهاني، ولهذا قصر كتابه على أهل زمانه ممن رآه بنفسه أو عرفه معاصروه وفي ذلك يقول: "فأضربت أنا عما ألف، و لم أعرض لشيء مما صنف، ولا تعديت أهل عصري، مما شاهدته بعمري، أو لحقه بعض أهل دهري، إذ كل مردد ثقيل، وكل متكرر مملول..."[3]. ولما استأثرت بالمؤلف الثقافة الأدبية النقدية وغلبت عليه دون سائر الثقافات فقد اعتمد في الجزء التاريخي من كتابه على "التاريخ الكبير" لابن حيان، الذي يعتبر بدوره أيضا كتاب تاريخ وأدب من خلال الطابع الأدبي الذي أضفاه عليه، وبهذا العمل فقد حفظ لنا الشيء من هذا المصنف الضائع.

والهدف المعلن من تصنيفه لهذا الكتاب هو الرغبة في التعريف بأهل الأدب الأندلسيين، وغيرته على نتاج وطنه من شعر ونثر، ورغبته بالتالي في جمع هذا النتاج، خصوصا وأنه لاحظ تعلق أهل الأندلس بكل ما هو مشرقي في هذا الباب "حتى ولو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب،... فغاظني منهم ذلك، وأنفت مما هنالك، وأخذت نفسي بجمع ما وجدت

---

[1]- الحميدي: المصدر السابق، ص 260. ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، 357. الضبي: المصدر السابق، ص 346.

[2]- ابن بسام: المصدر السابق، مج2، ق3، ص 235.

[3]- ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ق1، ص 15. وللمزيد من التوسع أنظر الدراسة التي قام بها علي بن محمد: ابن بسام الأندلسي وكتاب الذخيرة دراسة في حياة الرجل وأهم جوانب الكتاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1989.

من حسنات دهري، وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري، غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعـــود بـــدوره أهلّة، وتصبح بحاره ثمادا مضمحلة، مع كثرة أدبائه وفور علمائه"[1].

وقد قسّم ابن بسام كتاب الذخيرة تقسيما جغرافيا يتفق مع تقسيم البلاد إلى ثلاثة أقـــاليم (وسط وشرق وغرب) كل قسم منها يتكلم عن تاريخ هذا الإقليم وعن ملوكه وأمرائه وشعرائه.

فالقسم الأول: يتناول قرطبة وما جاورها من بلاد وسط الأندلس.

القسم الثاني: يتكلم عن اشبيلية ومنطقة غرب الأندلس.

القسم الثالث: خصصه لشرق أهل الأندلس.

أما القسم الرابع: فخصصه للوافدين إلى بلاد الأندلس من الكتاب والشعراء والفقهاء مـــن المشرق أو من المغرب أو صقلية.

أما المنهج الذي انتهجه ابن بسام في كتابه فهو يراد توطئة تاريخية يتبعها بمن يترجم لهم من الرؤساء والكُتاب والوزراء والشعراء على هذا الترتيب. وهو يبدأ عادة بترجمة العلم المراد في نشر بديع مسجوع، ثم يذكر مؤلفاته، ويورد مقتطفات من شعره ونثره[2]، وفي كل ذلك تظهـــر ســـعة اطلاعه، وهو يكثر من المقارنة بين شعر معاصريه وبين شعر القدامى، ويشير إلى المواضع التي قلّدوا فيها[3].

كما زاد في أهمية كتابه تعويله كثيرا على تاريخ ابن حيان وعلى ما يتعلق فيه بقواعد النقد التاريخي، وأغراض البحث في التاريخ، في الاعتبار بدروس الماضي، والعناية باستقـــصاء الأخبـــار، وبتقييد الشارد والوارد منها[4].

أما المؤلف الثاني الذي كتب في فن المحاسن وأشتهر بالتاريخ الطبقي أو التراجمي المـــصطبغ بالطابع الأدبي هو الفتح بن خاقان الاشبيلي الذي سنتحدث عنه وعن كتابه "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان" في هذا المبحث.

---

[1]- ابن بسام: المصدر السابق، مج2، ق2، ص 88.

[2]- أحمد توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص 152.

[3]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 296.

[4]- أنظر ابن بسام: المصدر السابق، مج 2، ق1، ص 576 حيث الإشارة إلى التاريخ الكبير المعروف بالمتين.

- ابن خاقان وكتاب القلائد:

هو أبو نصر الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله القيسي الاشبيلي، المعروف بابن خاقان من مواليد 480هـ/ 1007م) بقرية من قرى يحصب من أعمال غرناطة، بحسب المصادر التي ترجمت له[1]، غير أن حياته يكتنفها الغموض في أكثر أطوارها، على الرغم ما لقيه أدبه، وبخاصة كتابه القلائد من الاهتمام – إذ نُسخ أكثر من عشرين مرة- فإننا نلاحظ إهمال المصادر التي تحدثت عنه لجزئيات حياته وتنقلاته وتحديد زمنها[2]، ولعلّ ما عُرف به ابن خاقان من سلوكيات غير سوية كمعاقرته للخمر والطعن في الآخرين، كان من أسباب هذا الاهمال.

نشأ ابن خاقان في محيط علمي كانت فيه العلوم والآداب مزدهرة فقد عاصر نهاية الطوائف وعاش فترة المرابطين اللتان حفلتا بشخصيات لامعة في مختلف نواحي المعرفة الإنسانية، ومن الطبيعي أن يتأثر الفتح بن خاقان بثقافة عصره، وقد كان لشيوخه الذين درس عليهم أثر كبير في تكوين ثقافته الواسعة والمتنوعة، ومن أبرزهم المحدث والأديب أبو علي الصدفي[3]، وأبو محمد بن السيد البطليوسي الذي كان عالما موسوعيا في اللغة والأدب والحديث والفقه[4]، كما درس على أبي بكر محمد بن عيسى بن لبابة الذي اشتهر بالتأليف في الأدب والتاريخ[5]، وغيرهم كثير، هذا فضلا عن العلماء الذين التقى بهم واستفاد منهم خلال تنقلاته عبر مدن الأندلس وقد سجلهم في كتابيه القلائد والمطمح.

والقارئ لما ألّف ابن خاقان يرى أنه ذا دراية بتاريخ العرب والمسلمين منذ الجاهلية وحتى عصره، فقد اطلع على تاريخ الأدب العربي، نثره وشعره وخطبه ورسائله وعرف أيام العرب وغزواتهم، وفصحاء خطبائهم، وكانت له معرفة بالأسماء والألقاب والكنى وأسماء الأماكن، وعلى معرفة كبيرة بالأنساب، كما كان يعرف مصطلحات علوم الأدب والبلاغة والعروض، وغيرها من العلوم[6]. ومن مؤلفاته التي اشتهر بها: الكتابين المطبوعين "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان"، و"مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس"، وهناك مؤلفات ضائعة جاء ذكرها في بعض المصادر، منها

---

[1]- أنظر ترجمته عند ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج16، ص 186. ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص 113. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 254. عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج2، ص 529. الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص 332. بالنثيا: المرجع السابق، ص 296.

[2]- ابن خاقان: المطمح، مقدمة المحقق، ص 24.

[3]- أنظر ابن الأبار: المعجم، ص 313.

[4]- ابن الأبار: المعجم، ص 313.

[5]- أنظر ترجمته، عند ابن خاقان: القلائد، ج1، ص 118

[6]- ابن خاقان: المطمح، مقدمة المحقق، ص 55.

كتاب "بداية المحاسن وغاية المُحاسن" ذكره ابن الأبار في المعجم[1]. "كنــز الفوائد" ذكره البغدادي في هدية العارفين[2]. و"حديقة المآثر"[3]، وأيضا مجموعة من الرسائل ذكرها ابن الأبار وابن الخطيب.

وقد توفي ابن خاقان مخنوقا في فندق بأحد دروب مــراكش في 529هـــ/ 1134م، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن علي بن يوسف بن تاشفين هو الذي أوعز بقتله، في حين ذهــب آخرون إلى أن نفرا من أهل حاشية علي هم الذين دبروا قتله، لما آلمهم من نقــده فبعثــوا أحــد غلمانهم فقتله[4].

افتتح ابن خاقان كتابه القلائد بذكر الهدف من تأليفه له مُوضحا أهمية الــنظم والنثــر في تهذيب النفوس وتربية الملكات، كما رأى مشغلة عن الأدب وانشغالهم بأحداث سياسية وماديــة وحروب ومعارك: "رأيت عنانه (الأدب) في يد الامتهان وميدانه قد عطل من الرهان، وبواتره قد صدئت في أغمادها، وشعله قد قذيت برمادها"[5].

كما تحدث عن الجهد الذي بذله في جمع مادة كتابه انتقاءا وتصنيفا مدعيا أن عمله فريد من نوعه على الرغم من أن هناك أعمالا عاصرته أو سبقته كأعمال ابن حيان وغيره في الأنــدلس والمشرق.

في الكتاب تكلّم المؤلف عن رجال قال: إنهم مغمورون فذكر محاسنهم وأعمالهم ومراتبهم، وزاد اهتمامه بهذا العمل ما وجده من تشجيع الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هــ/ 1106- 1143م) واهتمامه بالعلم والأدب لذا أهدى إليه هذا الكتاب: "رأيت أن أخدم مجلسه العالي بزف الكتاب إليه، وأشرف محاسنه بمثولها بين يديه فوسمته باسمه وكسوته نــور وسمه..."[6].

وكان الغريب في حياته أن الذي أهدى إليه كتابه لم يأمن إليه فساءت العلاقة بينهما، فأمر بقتلــه فيما بعد، مما يشير إلى خلل العلاقة التي تربطه به، وبالآخرين أيضا.

---

[1]- ابن الأبار: المعجم، ص 313.

[2]- هدية العارفين، ص 814.

[3]- عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج2، ص 530.

[4]- بالنثيا: المرجع السابق، ص 297.

[5]- ابن خاقان: القلائد، ج1، ص 47.

[6]- المصدر نفسه، ج1، ص 50.

قسّم كتابه إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول؛ في محاسن الرؤساء وأبنائهم.
- القسم الثاني؛ في غرر علية الوزراء والكتاب والبلغاء.
- القسم الثالث؛ في أعيان القضاة والفقهاء ولمح أعيان العلماء.
- القسم الرابع؛ في بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء.

ابتدأ القسم الأول من كتابه بالترجمة للمعتمد بن عباد، وجاءت الترجمة قطعة نثرية تمتاز بأسلوب أدبي متميز ثناء على خصال المعتمد وأعماله و فصاحة لسانه و لعل هذا يشير إلى أن المؤلف لم يكن هدفه من هذا الكتاب ترجمة تاريخية مفصلة لمن ذكرهم، وإنما كما يتضح من عنوان الكتاب – الاكتفاء بذكر محاسنهم و نوادرهم و مجالسهم و ما لهم من أثر في أيامهم[1]، كقوله عن المعتمد: "أصبح عصره أجمل عصر، وغدا مصره أحسن مصر، تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسانا سيف وقلم... وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا، ولتلك الجملة عينا، إن ركبوا خلت الأرض فلكا تحمل نجوما"[2].

وفي هذا القسم الخاص ببني عباد أبرز الوجه المشرق في حياهم، حتى في نكبتهم تعامل مع التأريخ لهم من منطلق أنه فرد منهم، وليته عرض لنا الجانب الآخر من حياة هذه الدولة فهو شاهد عيان، لكن حبّه لإمارهم تركه يمدحهم دون أن يؤرخ لهم، ويشفع له في هذا أن بني عباد من الولاة الذين كاد الاخباريون يجمعون على حسن سياستهم، ورغد العيش في ظلهم، وإجلالهم للعلماء والأدباء .

ومن منهج ابن خاقان في الترجمة ذكر المترجم له بلقبه، كالمعتصم بالله أو المتوكل على الله أو الرئيس الأجل، أو باللقب والوظيفة كالوزير الكاتب، أو ذي الوزارتين الأديب، أو ذي الرئاستين[3]، وقد يضم أشخاصا تحت مسمى واحد، مثل الوزراء بنو القبطرنة، وهم ثلاثة إخوة[4].

أما القسم الثاني في كلامه عن غرر علية الوزراء وفقر الكتاب والبلغاء، فابتدأ بابن زيدون المخزومي لمكانته السياسية في دولة بني جهور ودولة بني عباد، ولمركزه الأدبي، وشهرته في الحياة

1- أحمد يوسف خليفة: المرجع السابق، ص 40.
2- ابن خاقان: القلائد، ج1، ص 52.
3- أحمد يوسف خليفة: المرجع السابق، ص 41.
4- ابن خاقان: القلائد، ج1، ص 103.

الأندلسية، ولذا خصه كغيره من كبار الأدباء بعبارات الثناء والتبجيل: "زعيم الفئة القرطبية، ونشأة الدولة الجهورية، الذي بهر بنظامه، وظهر كالبدر ليلة تمامه...ولم يطلعه إلا في سماء مؤانسة وأفراح، ولا تعدى به الرؤساء والملوك"[1]، ثم يشير إلى خاصية في شعر ابن زيدون فهو شاعر الأمراء، وشعره السياسي مشهور تشهد عليه مجالسه بقرطبة، ثم يتطرق إلى محنته أثناء اعتقاله ويذكر اعتذاراته شعرا ونثرا لأبي الحزم بن جهور، وابن خاقان حريص على ذكر نصوص لمن يترجم له، ثم وصف هروب ابن زيدون إلى بني عباد وإكرامهم له، ثم وصف عودته إلى قرطبة متشوقا إلى لقاء ولادة، ذاكـــرا أشعاره التي قالها في الأحداث التي مرّت به[2].

لقد أكثر المؤلف من النصوص ومن القصائد لرسم الأحداث التاريخية مع ابن زيدون، وهذا ربما بحكم قربه منه وعلو شأن ابن زيدون في السياسة وشهرته لدى العامة والخاصة في الأندلس.

كانت هذه طريقته مع ابن زيدون وغيره من الشعراء والكتّاب كابن عمار صاحب المعتمد، وابن لبون صاحب ذي النون، وأبي بكر الصيرفي كاتب المعتمد. وتضمن هذا القسم أيـــضا وزراء وكتابا وشعراء آخرين ذكر نماذج من شعرهم ونثرهم للإفصاح عن مكانتهم في إمــــاراتهم الـــتي عاشوا بها.

أما القسم الثالث الذي خصه بالحديث عن أعيان القضاة والفقهاء وأعلام العلماء، فكان أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي في صدر هؤلاء، فهو من الفقهاء الذين لهم شــــهرتهم في المــــشرق والمغرب يقول فيه: "بدر العلوم اللائح، وقطرها الغادي الرائح، وثبيرها الذي لا يزاحم،...كــــان إمام الأندلس الذي تقتبس أنواره، ...فكر الأندلس بحرا لا تخاض لججـــه، وفجـــرا لا يطمـــس منهجه"[3]. ثم أورد نصوصا من شعره في أغراض المدح والرثاء.

وفي مواضع قليلة ونادرة يصدر الصفحة السوداء في حياة بعض الشخـــصيات، كشخـــصية الوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور الذي صدر الكلام عنه بقوله: "قد كنت نويت ألا أثبت له ذكرا، ولا أعمل له فكرا...لتهوره، وكثرة تعقره، فانه كان بادئ الهوج وعر المنهج، لـــه ألفـــاظ

---

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص 213.

[2]- أنظر المصدر نفسه، ج1، ص 213 وما بعدها.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص 300.

متعقدة، وأغراض غير متوقدة...مع نفس فاسدة الاعتقاد، ثابتة الأحقاد...أستغفر الله إلاّ نظمـــه، فربما ألم فيه بالبدائع إلماما وأمسك لها زماما "[1].

وفيما قاله يؤكد على ما أشيع عنه من عدم اتزان أو اعتدال في علاقاته مع الآخـــرين فـــإذا أحب ألبس أجمل ثوب وأحسنه، وإذا أبغض قال أقبح قول وأشينه.

وفي هذا القسم من خلال تناوله للقضاة والفقهاء لم يذكر أعمالهم فيما تخصصوا فيـــه، وإن هي إلا عبارات ثناء في ثوب أدبي جيد، ولذلك دلالته -أيضا- وهي أن المؤلف كتب هذا الكتاب وهو مشدود إلى آليات الأدب وفنونه أكثر من آليات التاريخ أو الفقه أو علوم الشريعة الأخرى[2].

أما القسم الرابع الذي تكلم فيه عن بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء ابتدأه بـــأبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة الهوا ري مادحا ومثنيا عليه كما فعل مع الأعلام السابقة: "مالك أعنـــة المحاسن وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، ...العالم بجلائها وزفافها"[3]، ويثني على ابن خفاجة في الوصف ويكثر من نماذجه في هذا الغرض.

كما يذكر -أيضا- مساجلات ومكاتبات شعرية بينه وبين ابن خفاجة، وفي الترجمة قـــد يذكر سقطات الأدباء الخلقية كجريهم وراء الغلمان والغزل فيهم، وأورد في هذا نـــصوصا مـــن شعرهم[4].

وفي هذا القسم ذكر العديد من الألقاب كالأديب أو الأســتاذ أو الأديـــب الكاتـــب، أو الحكيم، وقد يخلط في تصنيف الأعلام، ولا يلتزم بما حدده في صدارة العنوان من القسم فقد أورد في القسم الرابع أسماء بعض الفقهاء ويبدو أن هذا من قبيل الاستدراك لما لم يذكره في القسم الثالث من مصنفه[5].

وما يمكن أن نلحظه من منهج ابن خاقان في هذا المصنف؛ يبدو الكتاب أدبي بالدرجة الأولى، لأن أكثر ما يشتمل عليه نصوص من النظم والنثر، ففي تناوله لترجمات الأعلام لم يذكر مولـــدهم

---

[1]- ابن خاقان: القلائد، ج1، ص 466.
[2]- أحمد يوسف خليفة: المصدر السابق، ص 45.
[3]- ابن خاقان: القلائد، ج2، ص 650.
[4]- أنظر على سبيل المثال، المصدر نفسه، ج2، ص 768 وما بعدها.
[5]- أحمد يوسف خليفة: المصدر السابق، ص 46.

أو وفاتهم فهو لا يهتم بذلك كثيرا، ولا باختصاصاتهم وأعمالهم خارج دائرة الشعر والنثـــر فهـــو يقتصر على أن يقول مثلا: "وله نثر تجلّت الأيام بسناه، ونظم استحلت الأفهام جناه"[1].

للكتاب قيمة أدبية وعلمية فيما صنف من أعلام، وفيما أحصى من وقائع، لكن المؤلف غلبـــت عليه طريقة الإسراف في المدح، إذ ألبس جل من ترجم لهم ثياب النـــزاهة، والشرف والإجلال.

ابن خاقان في كثير ما دوّن تعامل مع الأحداث والشخصيات بطريقة الشاعر المتكسب الذي يلبس الشخصية محاسن ليست لها، ويغض الطرف عن عيوبها، ومن ثم كان هذا المأخذ صفحة سوداء في كتابه لامه عليها كثير من الكُتاب والباحثين، وعدّوها نفاقا ممقوتا لأنها تُشوه الحقائق "بمثل هـــذه الأماديح التي لا تفيدنا بشيء في التعرف على شخصية المترجم له، فضلا على أننا نعرف قلة ما فيها من صدق و إخلاص إذ هي لا تخرج عن كونها قوالب محفوفة تردد بـــشكل أو بـــآخر في كـــل ترجمة"[2].

على الرغم من الأسلوب الأدبي الجميل الذي كتب به ابن خاقان فقد وقع في الإكثـــار مـــن الأساليب البيانية و البديعية التي أبعدته على المضمون، وهو يؤرخ للأدب أو للحياة وللشخصيات في مرحلة مهمة من تاريخ الأندلس فهو شاهد عصر لمرحلة النصف الثاني من القرن 5هـــــ/ 11م وأوائل القرن 6هـــ/ 12م.

ابن خاقان غلبت على كتابته روح الأديب فوقع ما وقع فيه لكن ربما يشفع له ما أطلقه على كتابه هذا "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان" فقد يكون للعنوان دلالته في الطريقة التي سلكها المؤلف فيه.

1- ابن خاقان: القلائد، ج2، ص 630.

2- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، مقدمة المحقق، ص 128.

سابعا: كتابة المذكِّرات الشخصية

شهد القرن 5هـ/11م أيضا ظاهرة الكتابة التاريخية التي تدخل في باب المذكرات الخاصة أو الشخصية، وهي من المواضيع المستحدثة في الأندلس وفي العالم الإسلامي في هذه الفترة، وخير مثال على ذلك ما كتبه ابن حزم في مؤلفه "طوق الحمامة في الألفة في الأُلاف"، وعبد الله بن بلكين في كتابه "التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة".

فالأول ونقصد به ابن حزم قدّم لنا في كتابه "طوق الحمامة" الذي ألفه بعد خروجه من قرطبة في زمن الحرب الأهلية سيرة ذاتية لشخصه يتحدث فيها عن تفاصيل ما جرى له، حيث يعرض أطوار حياته أثناء طفولته وشبابه، ومجال تعليمه وذكرياته عن نفسه وعن أصدقائه، كما تحدث فيه عن بعض الشخصيات القرطبية، وعقد تراجم مختصرة لبعض الرجال، وتحدث عن بعض شيوخه بعناية، وسجل اعترافاته وتجارب حياته، وعن غمرات حبّه التي كانت لون طوقه معبرا عنها بكل جرأة ودون خوف من المجتمع، ولكنه لا يتعدى حدود الالتزام الأخلاقي النابع من شخصيته الفقهية..والمشاركة في حل مشاكل أصدقائه المحبين..والحياة الراقية التي عاشها وأسرته مع أفراد الطبقة العالية، ملقيا الضوء على مسالك الأحداث التي تُصور أبعاد الحياة الاجتماعية والحضارية في الأندلس، وترشد القارئ إلى بعض الجوانب والحقائق التي انفرد بها كتابه حول المجتمع الأندلسي، وحياة العلية بين مختلف طبقاته، كما تحدث عن مجد أسرته الذي ضاع مع ذهاب أملاكها بقرطبة، ونراه في مواضع أخرى يذكر ما حل به من النكبات والمآسي التي حملته على النزوح عن قرطبة مدينته المحببة في نفسه[1]، وفي خضم هذه الأحداث يتكلم عن تأثره لفقدان الكثير من أصدقائه، وتألمه من الذين غدروا به، وعن خروجه من قرطبة متنقلا بين مدن الأندلس بحثا عن الأمن، ومحاولا في نفس الوقت جمع الصفوف لإحياء الخلافة الأموية وبعثها من جديد. وبكلمة مجملة فكتاب طوق الحمامة يمثل في الوقت ذاته نص تاريخي مهم تناول عصري الفتنة والطوائف، والفترة العامرية أيضا، وكشف لنا كثيرا من أبعاد الحياة الاجتماعية والسياسية في الأندلس خلال القرن 5هـ/11م[2]، هذا فضلا على أنه يُشكل مذكرات خاصة لصاحبه.

---

[1]- ابن حزم: طوق الحمامة، مقدمة المحقق، ص 15.

[2]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 241.

أما المؤلف الثاني الذي كتب في باب المذكرات الخاصة هو الأمير الغرناطي عبـــد الله بـــن بلكين (ت 488هـــ/1095م) الذي سنتحدث عنه وعـــن كتابه بشكل من التفصيل كنموذج لهذا النوع من الكتابة التاريخية.

عبد الله بن بلكين وكتاب التبيان:

هو عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي[1]، آخر ملوك غرناطة في عصر الطوائف بالأندلس ، ولد في سنة 447هـــ/ 1056م وعُيّن عند وفاة أبيه بلكين سيف الدولة عام 456هـــ/1064م كولي عهد لجدّه الأمير باديس بن حبوس، ثم أعتلـــى بعده عرش غرناطة في سنة 465هـــ/1077م[2]، بينما أصبح أخوه تميم المعز مستقلا في مالقة، و لم تكن دولة الأمير إلا سلسلة طويلة من الاضطرابات في داخل مملكته، والمشادات المسلحة مع جيرانه من الأمراء المسلمين، والمواطآت مع ملك قشتالة الفونسو السادس[3]، وساهم عبـــد الله في وقعـــة الزلاقة ومحاصرة حصن لييط عند دخول المرابطين إلى الأندلس[4]، لكن اتفاقاته مع الملك النـــصراني أدت به إلى ضياع عرشه، فقد جاء الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين لمحاصرته في غرناطـــة عـــام 483هـــ/1090م، فقام باعتقاله ونفييه مع أخيه تميم أمير مالقة وبرفقتهما المعتمد بن عباد ملك اشبيلية إلى مدينة أغمات جنوب المغرب الأقصى[5].

ولقد أمضى المعتمد بن عباد بقيّة حياته يقول شعرا حزينا، بينما عكف الأمير عبد الله علـــى كتابة مذكراته الخاصة التي يصور فيها الأحداث التي سبقت عزله عن إمارته مُتـــضمنة معلومـــات تاريخية عن عصر ملوك الطوائف بصفة عامة.

وقد اطلع عليها بعد ذلك الوزير الغرناطي ابن الخطيب أثناء زيارته لأغمات في القرن 8هـــ/ 14م وأشار إلى أهميتها: "وقفت على ديوان بخط عبد الله بن بلكين ألفه بعد خلعه بمدينة أغمـــات وقرر فيه أحواله و الحادث عليه مما يستظرف من مثله، أتحفني به خطيب المسجد بأغمات رحمـــه

1- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 2001، ص 389.

2- ابن الخطيب: اعمال الأعلام، ص 233، 234.

3- عبد الله بن بلكين: كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، مقدمة المحقق، ص 9.

4- أنظر عبد الله بن بلكين: المصدر السابق، ص 132- 133 في حديثه عن مشاركته في معركة الزلاقة.

5- عبد الله بن بلكين: المصدر السابق، ص 187، 193، 194، 204.

الله"[1]، وهذا الكتاب رآه أيضا أبو الحسن النباهي مؤلف "تاريخ قضاة الأندلس" فنقل عنه وسّـماه "التبيان عـن الحادثة الكائـنة بدولة بني زيـري في غرناطة ".

كتاب التبيان عبارة عن مذكرات كتبها أمير غرناطة بعد خلعه بحوالي أربع سنوات في الفترة الواقعة بين منتصف سنة 487هـ/1094م ونهاية سنة 488هـ/1095م في منفـاه بمدينـة أغمات كما سبق أن ذكرنا. وقد خصّها أمحمد بن عبود بالدراسة والتحليل في حديثة عن التأريخ في الأندلس[2].

تعرض ابن بلكين في مذكراته إلى تاريخ إمارة غرناطة خلال حقبة تاريخية محددة وهي فتـرة حكم دولة بني زيري الطائفية من سنة 403هـ/ 1012م إلى غاية 483هـ/ 1090م.

ابتدأ كتابه بالحث على أهمية التمرس بالتجربة السياسية في ممارسة مهنة الحكم، كما يـنص على قواعد التأليف ومناهج البحث في التاريخ، من استخدام العقل والقياس، ومقارنـة الماضـي بالحاضر، وهو في هذا المجال يصر على الاستشارة العقلية، وينص على ذاتية الأحـداث التاريخيـة حيث يكون للصدفة مكانها في التاريخ، ويعطي المثل لذلك قصة صعود المنـصور بـن أبي عـامر ووصوله لحكم الأندلس[3].

ثم ينتقل بعد ذلك إلى استعراض حكم أسرته بني زيري متحدثا عـن قدومهم إلى الأنـدلس واستقرارهم في البيرة وغرناطة[4]، ثم قيام إمارتهم بعد ضعف الخلافة الأموية ثم سقوطها. متعرضـا لحكم كل أمير بالتفصيل ولأهم الأحداث في عصره، مبتدءا بحكـم زاوي بـن زيـري (403-410هـ/ 1013- 1019م)[5]، وإمارة والد جده حبوس بن ماكـسن (410- 429هـ/ 1019- 1038م)[6]، ثم إمارة جده بـاديس بـن حبـوس (429- 465هـ/ 1038-

---

[1] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص

[2] - راجع أمحمد بن عبود: المرجع السابق، ص 150- 163.

[3] - أنظر عبد الله بن بلكين: المصدر السابق، ص 15- 28.

[4] - المصدر نفسه، ص 31- 36.

[5] - المصدر نفسه، ص 37- 38.

[6] المصدر نفسه، ص 40- 44.

1073م)[1]، وحـــوادث عـــصره، وحروبه وسير ملوك الطـــــوائف المعاصـــرين ومقـــدم المرابطين وتدخلهم

في شؤون الأندلس، ثم يتناول حوادث حياته الشخصية، حتى انتهاء ملكـــه واستـــسلامه لأمـــير المسلمين يوسف بن تاشفين[2].

وقد استطاع المؤلف أن يوفق في حصر موضوعه من ناحية الزمان والمكان ليسيطر على مادته بحكم معرفته الشخصية والدقيقة لها، وأن يتعمق فيها سواء عند التطرق إلى أبعادها أو إلى تفاصيلها كمعالجته في ذلك للأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إطار تاريخ الأندلس العام، متطرقا لعلاقاته واتصالاته الخارجية مع الزعماء المعاصرين لتلك الحقبة ومنهم الفونسو السادس ملك ليون وقشتالة، والمعتمد بن عباد صاحب اشبيليـــة وأخيه تميم بن بلكين صاحب مالقة[3].

وقدم لنا عبد الله بن بلكين روايات عن الأحداث الهامة مثل احتلال الفونـــسو الـــسادس لطليطلة سنة 478هـــ/1085م. ومعركة الزلاقة في السنة التي تلاها والحصار الذي أقامه يوسف بن تاشفين والأندلسيون حول حصن ليبط[4].

وقد وجّه له توفيق الطيبي بعض الانتقادات عند تحقيقه لكتاب التبيان نقلها أمحمد بن عبود في كتابه المذكور سابقا بأن الأمير عبد الله تجاهل بعض الأحداث الهامة من التـــاريخ الأندلـــسي والمغربي مثل العداوة بين بربر زناتة وصنهاجة، وإلغاء الخلافة الأموية في قرطبة، واغتيال إسماعيل بن عباد في المعركة مع باديس وحلفائه سنة 431هـــ/ 1099م[5].

كما تطرق الطيبي لثغرة أخرى في "كتاب التبيان" وهو ميل المؤلف إلى اتخاذ مواقف سلبية اتجاه بعض الناس عندما يريد تلبية مصلحته وخير مثال على ذلك ما اتخذه في حق مقاتل بن عطيـــة

1- المصدر نفسه، ص 47- 87.

2- عبد الله بن بلكين: المصدر السابق، 91- 238.

3- أمحمد بن عبود: المرجع السابق، ص 153.

4- عبد الله بن بلكين: المصدر السابق، ص 98-99، 132- 137.

5- المصدر نفسه، ص 153- 154.

البرزالي المعروف بالرويو الذي طرده من منصبه بالرغم من الخدمات الجليلة التي قدمها له والمؤهلات الكبيرة التي يملكها[1].

ومع ذلك تبقى هذه الملاحظات ثانوية مع أهمية وقيمة هذا الكتاب، بينما الثلث الأول منه خصصه لحكم كل من زاوي وحبوس وماكسن، حيث تتميز معالجته للفترة التي حكم فيها بالمعرفة العميقة، ويعود ذلك إلى التقنيات والمناهج المتطورة التي اعتمدها فيها مقارنة مع ما أستعمله في معالجة تاريخ أجداده. حيث لم يحصر مجهوده في الوصف وسرد الأحداث، وإنما يحلل المشاكل الاجتماعية والأحوال المختلفة ويطرح بعض الأسئلة ثم يقترح أجوبة ممكنة لها مراعيا في ذلك التطورات الداخلية والخارجية لمملكته[2].

وما يمكن قوله بأن ما كتبه عبد الله شكل محاولة رائدة وفريدة في انجاز نوع جديد من الكتابة التاريخية إلى درجة لا نجد ما يماثلها إلاّ القليل في العالم الإسلامي في تلك الفترة التي ظهرت فيها. وما يميزه عن بقية المؤرخين أنه كان ملكا ومع ذلك وضع مؤلفا بطابع شخصي أعطاه تلقائية وعفوية نتيجة معرفته العميقة بأحداث القرن 5هـ/ 11م لأنه كان أحد وأبرز صُناعه، ولكن ما وُجد في مؤلفه من ثغرات تكلم عنها بعض النقاد فهي لا تتعدى أن تكون مميزات لا يخلو منها التاريخ الأندلسي في تلك الفترة بصفة عامة.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 154.

[2]- أنظر على سبيل المثال عبد الله بن بلكين: المصدر السابق، ص 93، في إقراره لمبدأ حسن الجوار خاصة مع صاحب المرية مع قدرته على البطش به في حالة الحرب والمواجهة، ولكنه يقدم دليلا على إيثاره السلم في علاقاته الخارجية لما في ذلك من مصلحة واستقرار لدولته في تلك الفترة.

الفصل الثالث

انتقال المعرفة التاريخية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

أولا: تعليم التاريخ ومؤسّسات انتقاله

ثانيا: طرق التحصيل والكتب المدّرسة

ثالثا: مدلول التاريخ ومكانته

رابعا: جماعات المؤرِّخين ودورهم في نقل المعرفة التاريخية

الفصل الثالث: انتقال المعرفة التاريخية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

اخترت في دراستي لانتقال المعرفة التاريخية في هذا القرن فهرسي ابن خير وابن عطية، وهذا لتوضيح كيفية تعليم التاريخ، والطرق المستعملة في تدريسه، ونوعية الكتب المُدرّسة، وذكرت في مقدمة هذا البحث أهمّية هذين الفهرسين في هذه الدراسة.

أولا: تعليم التاريخ ومؤسّسات انتقاله

يذكر الجدول الآتي عدد الكتب التي درسها ابن خير، وعبد الحق بن عطية، فالأول يذكر قائمة ألف وثلاثمائة وثلاثين (1330) كتاب مقسمة إلى تسعة وعشرين (29) قسم، تبدأ بعلوم القـــرآن (التفسير والتجويد) وتنتهي بفهارس العلماء، ويطغى على هذا الحجم الكبير من الكتب المواد الدينية (علم الكلام، وعلم الفقه)، ولسانيات وأدبيات (نحو، شعر، نثر)، وتطغى علوم الحديث والفقـــه في فهرس ابن عطية. جاء التاريخ في المرتبة الرابعة في كتاب الفهرسة لابن خير بعد المـــواد المـــذكورة سابقا.

وجاء التاريخ عند ابن عطية في المرتبة الثالثة بعد علوم الحديث والفقه.

وبهذه المعطيات نتأكد بدون شك بأن التاريخ كان يُدّرس فعلا في الأندلس خلال هذه الفترة.

عدد الكتب التي ذكرها ابن خير وابن عطية

العلوم	ابن خير	ابن عطية
علوم القرآن	131	08
علوم الحديث	194	35
التاريخ	132	12
أصول الفقه	36	43
كتب الطبخ	4	-
الحساب	10	02
الرؤية	4	-
العقائد	197	03
اللغة العربية والأدب	507	09
الفهارس	115	08
المجموع	**1330**	**120**

أما مؤسسات انتقاله، ونقصد بها أماكن تعليم التاريخ وغيره من المعارف. فمن أهم المؤسسات الثقافية التي عرفها مسلمو الأندلس وغيرهم من بلدان العالم الإسلامي هو المسجد الذي يعتبر النواة الأولى للتعليم قبل ظهور المدارس والتي لم يعرفها أهل الأندلس إلا في عصور متأخرة من تاريخهم أي في عصر دولة بني الأحمر بغرناطة[1]، وهكذا فلم يكن المسجد مكان للعبادة فحسب، بل كان إلى جانب ذلك مركز إشعاع علمي ومنارا للعلم والمعرفة في الدين والفكر وهو ما أشار إليه المقري[2]: "ليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرأون جميع العلوم في المسجد".

وبناء على ما تقدم فإن المسجد أو الجامع ظلّ هو الكيان الرئيسي لتلقي العلوم والمعارف في الفترة موضوع البحث، وحتى في العصور التي شهدت قيام بعض المدارس في الأندلس، فإن تلك المدارس رغم ممارستها لوظيفتها في التعليم فإن المسجد أو الجامع بقي مقصدا لكثير من العلماء وطلبة العلم لتلقي دروسهم فيه[3].

وكان جامع قرطبة الشهير يمثل أهم هذه المراكز لما أضفاه عليه الحكام الأمويين من تشييد وإصلاح جعله مقصدا لطلبة العلم من كافة أنحاء العالم، و لم تتراجع مكانته بعد زوال الخلافة الأموية فبقيت تعقد فيه مجالس العلم المشهورة كمجلس العالم والأديب عبد الملك بن زيادة الله السعدي التميمي (ت 450هـ/ 1058م) الذي كان يزدحم بمئات العلماء والطلبة لمتابعة دروسه[4]، وغيرها من المجالس الأخرى.

و لم يكن جامع قرطبة وحده بل كان يشاركه في ذلك بقية الجوامع في مختلف المدن الأندلسية وخاصة التي كانت موجودة بعواصم ملوك الطوائف كاشبيلية وبطليوس، وطليطلة، وغرناطة، وبلنسية، ودانية وغيرها، حيث كانت تعقد فيها مجالس العلم، والحلقات الدراسية، وتجري فيها المناظرات العلمية في شتى فروع المعرفة، وكان يحضرها الكثير من الطلبة بمختلف ميولهم وتخصصاتهم المعرفية.

ومن أماكن التعليم الأخرى البيوت الخاصة ومنازل العلماء التي كانت تنعقد بها الكثير من حلقات العلم وندوات الفكر، إذ تمدنا كتب التاريخ والتراجم بالعديد من منازل العلماء التي كان لها

---

[1]- أنظر محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر، بيروت ، 1982 ص 386- 388.

[2]- نفح الطيب، ج1، ص 220.

[3]- عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص 222، 223.

[4]- الحميدي: المصدر السابق، ص 251، 252، ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 293.

نشاط علمي بارز في تلك الفترة فقد قرأ العلامة طاهر بن خلف بن خيرة على أبي علي حسين بن محمد الصدفي كتاب رياضة المتعلمين لأبي نعيم بمنزل أبي داوود المقرئ وذلك سنة 491هـ/ 1097م[1]، كما يذكر ابن بشكوال أحد الأساتذة اسمه أحمد بن سعيد بن كوثر (ت 403هـ/ 1013م) كان يقصده تلاميذه وهم يقاربون الأربعين في وقت الشتاء فينزلهم في مجلس قد فُرش ببسط الصوف، وفي وسط المجلس كانون على قامة الإنسان مملوءا فحما فيأخذ دفئه كل من في المجلس، فإذا انتهى التدريس قدّم لهم الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب، أو ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد[2].

ويتضح مما تقدم أن النشاط العلمي لم يكن محصورا في المساجد، بل امتد إلى الكثير من المواضع سواء في المنازل أو في بيوت العلماء أو غيرها من الأماكن التي تساعد على ذلك.

وهذه المؤسّسات التي ذكرناها كانت تُدرّس فيها مختلف أنواع المعرفة بما فيها التاريخ، غير أن التفاوت يبقى في تدريس هذه المواد أو المعارف هل كان يتم بصفة جماعية أم فردية؟ فكتب الفهارس والتراجم تشير أحيانا إلى التدريس بصفة جماعية بعبارات حدثنا، أخبرنا، أنبأنا، وأحيانا بصفة فردية بعبارات حدثني، أخبرني، وغيرها من العبارات التي تدل على صفة المفرد.

يذكر ابن عطية وابن خير في فهرسيهما في الكثير من الحالات أن الكتب التاريخية المروية تتم بصفة فردية، والمنازل الخاصة هي الأماكن الأكثر استعمالا في تدريسها[3]. معنى ذلك أنّ التاريخ كان تعليمهُ شخصيا، وهذا باستعمال شكل حدثني، أخبرني، وهذه الملاحظة بارزة خصوصا عند ابن خير في مجموع القسم الذي خصصه للتاريخ[4].

---

[1]- ابن الأبار: المعجم، ص 95.

[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 46.

[3]- أنظر مثلا ابن خير: المصدر السابق، ص 262 في تناوله لكتابي (الإستيعاب والإنباء) لابن عبد البر، حيث ذكر قول أبو علي الغساني في دراسته لهما: "حدثني بهما أبو عمر ابن عبد البر قراءة عليه في منزله بشاطبة سنة 453هـ/ 161م. وأنظر أيضا ص 269، 288.

[4]- المصدر نفسه، ص 250- 281، 284- 294. إلاّ أن الملاحظ في القرون التي جاءت بعد القرنين 5 و6 الهجريين/11 و12 الميلاديين يأخذ التاريخ طابعا أو منحى التعليم الجماعي، وهذا ما نلحظه في برنامج التجيبي (ت 730هـ/ 1329م) الذي كان شاهدا على الحياة الثقافية في القرنين 7 و8هـ/ 13 و14م وذلك باستخدامه لعبارات الجمع مثل: قال لنا، أخبرنا، حدثنا في دراسته للكتب التاريخية. أنظر كتابه، البرنامج، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص 261.
ولمزيد من المعلومات حول تدريس التاريخ في هذه الفترة، راجع مقال: Allaoua Amara: *op cit.* p. 218- 219.

ثانيا: طرق التحصيل والكتب المُدرّسة

إن الطرق المستعملة في انتقال المعارف خلال العصور الوسطى متنوعة وكثيرة ولها أصول وفروع، وتشعبات، لكن الكاتب الأكثر شهرة في الأندلس والمغرب خلال النصف الثاني من القرن 5هـ/11م والنصف الثاني من القرن 6هـ/12م القاضي عياض يذكر ثمانية طرق منها أربعة رئيسية في عملية الانتقال وهي: (السماع، القراءة، المناولة، والإجازة)[1]، وبقية الطرق الأخرى أقل منها استعمالا[2].

1- السماع: وهو أن يستمع التلميذ للقراءات من لفظ الشيخ حفظا أو قراءة من كتابه، وفي ذلك يقول عياض: "فلا خلاف حينئذ أن يقول السامع: "حدثنا"، وأخبرنا وأنبأنا، وسمعت فلانا يقول، وقال لنا فلان، وذكر لنا فلان"[3].

2- القراءة: التلميذ يقرأ بصوت مرتفع حفظا أو من كتاب أمام الشيخ، وهذا الأخير يستمع ويقارن بين ما يقرأ عليه من النسخة الأصلية التي بحوزته، أو يكون الأصل بيد القارئ، أو بيد أحد المستمعين الثقات، وأكثر المحدثين يسمونه عرضا لأن القارئ يعرض ما يقرأه على الشيخ كما يعرض القرآن على إمامه[4].

3- المناولة: وهي أن يناول الشيخ الطالب كتابا من سماعه ويقول له: "أروي هذا عني" أو يُملكّه إيّاه أو يُعيره لينسخه ثم يُعيده إليه[5].

4- الإجازة: وهي إذنٌ من الأستاذ لتلميذه أن يروي عنه مروياته أو مسموعاته أو بعضا منها[6].

إذن هناك طريقتان في انتقال المعارف (قراءة وسماع) بحضور المعلم، وطريقتان في غيابه (مناولة وإجازة) هذه الطرق بصفة عامة تُسمّى طرق التحمل (أخذ وانتقال).

---

[1]- القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970، ص 68.

[2]- وهي: الكتابة، الإعلام، الوصية، والوجادة.

[3]- القاضي عياض: الإلماع، ص 69.

[4]- المصدر نفسه، ص 70، 71.

[5]- ابن كثير: الباعث الحثيث في شرح واختصار علوم الحديث، تحقيق علي بن حسين بن علي الحلبي، مكتبة المعارف، الرياض، 1996، ص 357.

[6]- أنظر ابن الصلاح: التقييد والإيضاح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة. وأنظر فؤاد سزكين: المرجع السابق، ج1، ص 93.

يذكرالفهرسان اللذان تمت دراستهما طرق انتقال المعارف والكتب؛ ابن خير في فهرسته ذكر مائة وثمانون (180) طريقة فيها مائة وإثنان (102)كتاب تاريخ دُرس من طرفه، وأربعة وأربعون (44) طريقة في كتاب عبد الحق بن عطية في إثنتا عشر (12)كتاب تاريخي درسه.

يسمح لي قسم التاريخ في كتاب فهرسة ابن خير بالإحاطة على سلاسل طويلة في الانتقـــال التي تصل إلى القرون الأولى للإسلام، ولكن لم أذكر سوى الطرق التي من خلالها يتم التعرف علـــى المراجع المتعلقة بالفترة المدروسة.

الانتقال الشفوي، هي الطريقة الأكثر استعمالا في الفهرسين؛ عند ابن خير مائة وســـبعة عشر (117) من مائة وثمانين (180) طريقة لعمليات الانتقال المذكورة، والعبارات الدالـــة علـــى ذلك استعماله لعبارات: حدّث، سمع، أخبر، أنبأ، وتأتي فيما بعد الإجازة بـــ أربع وثلاثـــين (34) مرة، ولقد مُنح ابن خير أكبر شهادات الانتقال من كبار العلماء في زمانه، تأتي القـــراءة في المرتبـــة الثالثة بذكرها عشرين (20) مرة، وهذا يبيّن المكانة المحدودة للكتاب في التعليم بالأندلس خـــلال القرن 6هــ/ 12م والقرون التي سبقته، وتأتي مناولة الكتاب في المرتبة الأخيرة بذكرها تسع (09) مرات، وهذا دليل على الاستعمال الضعيف عند ابن خير.

أما ابن عطية الذي نال أيضا قدرا كبيرا من إجازات العلماء فيذكر في كتابه أربع وثلاثـــين (34) طريقة للانتقال الشفوي من أربعة وأربعين (44) طريقة في سرد الكتب التاريخية التي رواها عن شيوخه سماعا أو قراءة أو مناولة أو إجازة، ويذكر أحيانا المكان والزمان، وفي مواضـــع أخـــرى يذكر سلسلة السند لبعض الكتب المروية إلى مؤلفيها.

غير أن الملاحظ من خلال دراسة الفهرسين يتبين أن ابن عطية لم يخصص للتاريخ أهميـــة كبيرة من خلال الكتب القليلة التي درسها بالمقارنة مع ما خصصه ابن خير للتاريخ في فهرسته.

ولنوضح بأن المشافهة هي الطريقة الأساسية في انتقال المعرفة التاريخية نـــبين في الجـــدول الآتي: مختلف طرق الانتقال عند ابن خير وابن عطية:

طرق الانتقال	ابن خير		ابن عطية
السّماع	محادثة	100	19
	سماع	11	-
	إخبار	04	15
	إنباء	02	-
المجموع	**117**		**34**
قراءة	20		02
المناولة	09		04
إجازة	34		04
المجموع	**63**		**10**

والكتب التاريخية التي درست وانتقلت شفويا، ذكرها ابن خير في فهرسته تشمل نوعين من المؤلفات أولها المشرقية التي تعود إلى القرون الأولى للإسلام، والثانية تمثل الإنتاج المحلي الأندلسي.

تتكون المجموعة الأولى أساسا من مؤلفات تتعلق بالسيرة النبوية ومغازي الرسول –صلى الله عليه وسلم-، وسير الصحابة، وبعض المؤلفات التي تختص بالفقهاء وأعلام المذاهب، إلى جانب كتب أخرى اهتمت بأحداث وقعت بعد وفاة الرسول كالردة والفتوح، هذا فضلا عن مؤلفـــات تتعلـــق بالتاريخ العالمي (الإسلامي الجامع)، وبعض كتب الأنساب[1].

ومن أبرز مؤلفات المجموعة الثانية التي كانت محور الانتقال خـــلال القـــرنين 5 و6هـــــ/ 11 و12م كتاب أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي (ت 350هــ/962م) في التـــاريخ العـــالمي الإسلامي عنوانه "كتاب التاريخ"[2]، ومجموعة من المؤلفات لابن عبد البر (ت 463هـــــ/1071م) أهمها كتاب في السيرة النبوية عنوانه "الدرر في اختصار المغازي والسير"[3]، وكتاب في سير الصحابة

---

[1]- أنظر تفاصيل هذه الكتب في الفصل الأول من بحثنا، ص 15- 20.

[2]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 277.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص 285.

بعنوان "الاستيعاب في أسماء الصحابة"، وآخر في الأنساب عنوانه "الإنباه على القبائل الرواة"[1]. كما وردت في الفهرسة كتب في التراجم يتصدرها كتاب ابن الفرضي (ت 403هـ/1013م) "تاريخ علماء الأندلس"[2]، وكتاب الحميدي (ت 488هـ/ 1095م) "جذوة المقتبس"[3]، يُضاف إلى هذه المؤلفات كتب تتعلق بالصحابة وبعض أعلام وشيوخ المذاهب الإسلامية ككتاب "الحروف في أسماء الصحابة" لأبي علي بن السكن[4]، وكتاب عنوانه "تذييل صحابة أبي عمر ابن عبد البر" لأبي بكر بن فتحون (ت 519هـ/ 1126م)[5]. كما ذكر ابن خير مُؤلف واحد لابن حزم (ت 456هـ/ 1064م) في الفضائل عنوانه "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها"[6]، وكتاب لأبي العباس العذري (ت 478هـ/ 1086م) عنوانه "أبكار أوائل الأخبار)[7].

غير أن الملاحظ في فهرسة ابن خير في ذكره للمؤلفات التاريخية سواء أكانت المحلية منها أو المشرقية هو عدم ذكره للعديد من المؤلفات ككتاب التاريخ للأندلسي عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238هـ/852م)، كما يغيب عنها كذلك كتاب "الملوك وأخبار مدين" لعبيد بن شرية الجرهمي (ت 97هـ/687 م)، وكتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي (ت 278هـ/ 891م).

هذا إلى جانب غياب مؤلفات المغاربة، وربما هذا يبرر بالظهور المتأخر لمدرسة التاريخ القيروانية وارتباطها بالتاريخ المحلي.

وفي المخطط الأتي نذكر بعض أنواع من المؤلفات التاريخية التي انتقلت شفويا، مع ذكر سلسلة رواتها في الأندلس وصولا إلى القرن 5هـ/11م.

---

[1] - ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 262.

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص 267.

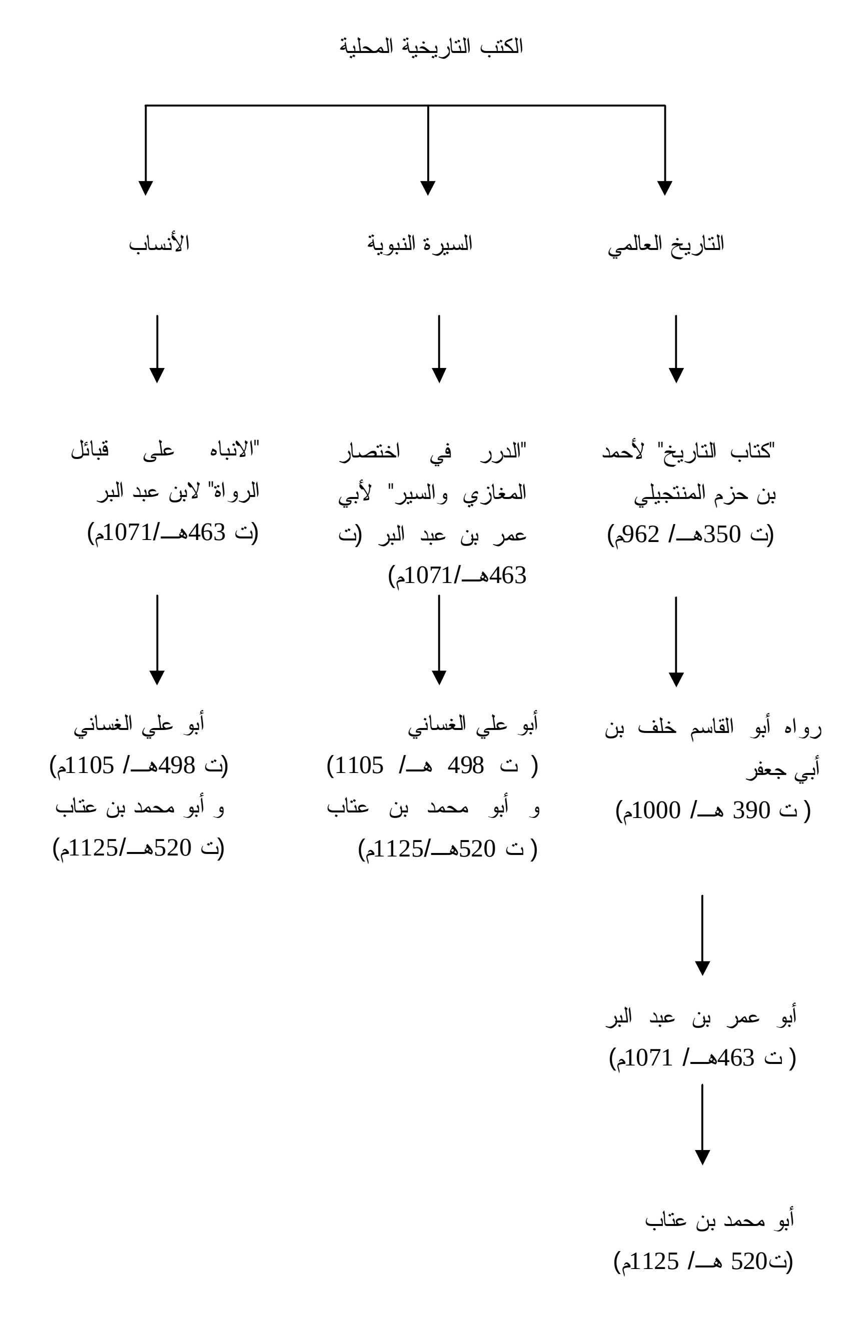
[3] - المصدر نفسه، ج1، ص 277.

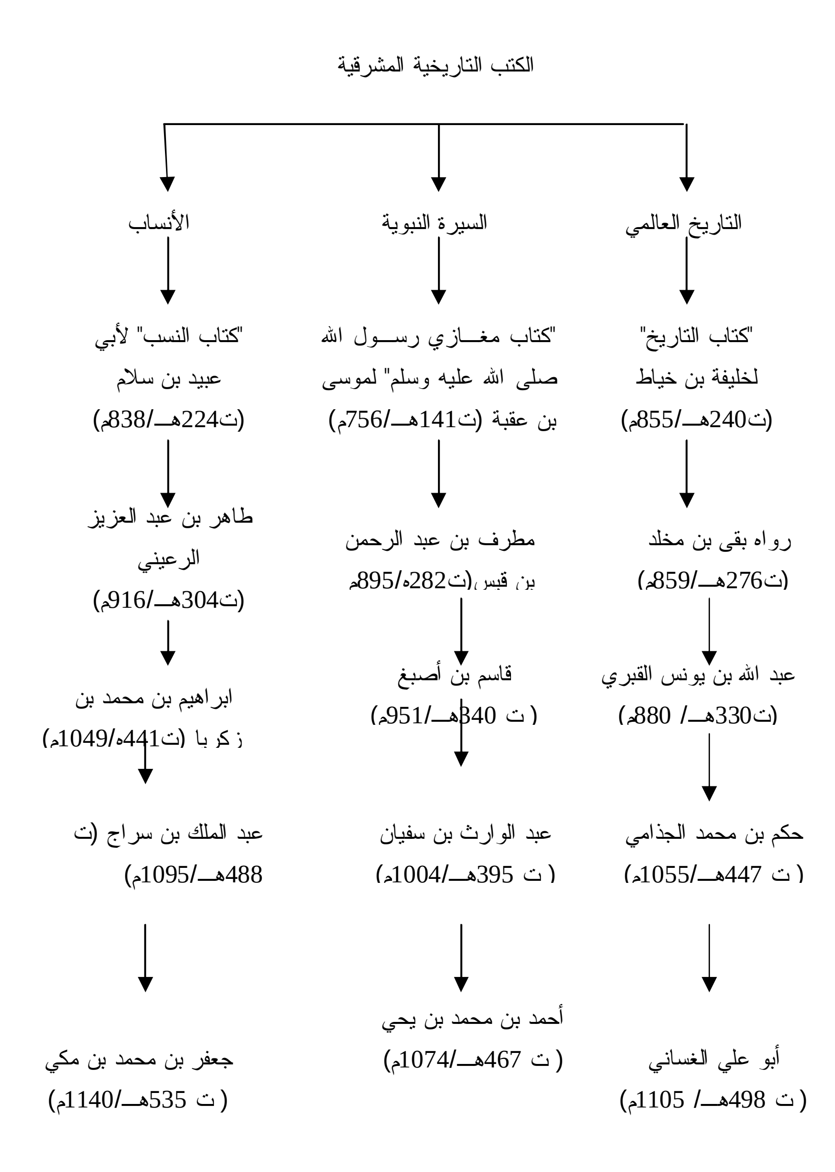
[4] - المصدر نفسه، ج1، ص 263.

[5] - المصدر نفسه، ج1، ص 264.

[6] - المصدر نفسه، ج1، ص 276.

[7] - المصدر نفسه، ج1، ص 271.


الكتب التاريخية المحلية
التاريخ العالمي
السيرة النبوية
الأنساب
"كتاب التاريخ" لأحمد بن حزم المنتجيلي (ت 350هـ/ 962م)
"الدرر في اختصار المغازي والسير" لأبي عمر بن عبد البر (ت 463هـ/1071م)
"الانباه على قبائل الرواة" لابن عبد البر (ت 463هـ/1071م)
رواه أبو القاسم خلف بن أبي جعفر (ت 390 هـ/ 1000م)
أبو علي الغساني (ت 498 هـ/ 1105) و أبو محمد بن عتاب (ت 520هـ/1125م)
أبو علي الغساني (ت 498هـ/ 1105م) و أبو محمد بن عتاب (ت 520هـ/1125م)
أبو عمر بن عبد البر (ت 463هـ/ 1071م)
أبو محمد بن عتاب (ت520 هـ/ 1125م)


الكتب التاريخية المشرقية
التاريخ العالمي
السيرة النبوية
الأنساب
"كتاب التاريخ" لخليفة بن خياط (ت240هـ/855م)
"كتاب مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم" لموسى بن عقبة (ت141هـ/756م)
"كتاب النسب" لأبي عبيد بن سلام (ت224هـ/838م)
رواه بقى بن مخلد (ت276هـ/859م)
مطرف بن عبد الرحمن بن قيس (ت282ه/895م
طاهر بن عبد العزيز الرعيني (ت304هـ/916م)
عبد الله بن يونس القبري (ت330هـ/ 880م)
قاسم بن أصبغ (ت 340هـ/951م)
ابراهيم بن محمد بن زكريا (ت441ه/1049م)
حكم بن محمد الجذامي (ت 447هـ/1055م)
عبد الوارث بن سفيان (ت 395هـ/1004م)
عبد الملك بن سراج (ت 488هـ/1095م)
أبو علي الغساني (ت 498هـ/ 1105م)
أحمد بن محمد بن يحي (ت 467هـ/1074م)
جعفر بن محمد بن مكي (ت 535هـ/1140م)

ثالثا: مدلول التاريخ ومكانته

إنّ نظرة النخب العلمية الأندلسية للتاريخ، خلال القرن 5هـ/11م هو التقسيم نفسه الذي كان متداولا في القرون الأولى للإسلام، ثلاث عبارات لتعيين الروايات؛ عبارة "حـديث" لتعـيين رواية أفعال وأقوال الرسول – عليه الصلاة والسلام-، عبارة "خبر" تستعمل لتعيين سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم-، وأخيرا كلمة "أثر" استعملت لتعيين سير الصحابة[1].

أما عبارة خبر أو أخبار فنجدها قد استعملت في كثير من الحالات في عنـاوين مؤلفـات التاريخ خاصة في القرون الثلاثة الأولى للإسلام[2]، ومثال ذلك ما فعله ابن النديم في فهرسـته الـتي خصص فيها فصلا للإخباريين والنسابين أصحاب الأحداث والأيام لتعيين المؤلفين لكتب التاريخ[3]. وأستمر استعمال هذه العبارات في القرون الأخرى اللاحقة حتى زمن ابن خير الذي عـاش خـلال القرن 6هـ/12م، حيث استعمل في كتابه الفهرسة عند تعيينه للمؤرخين وكُتاب السير العبـارات التالية: إخباري، أخباري[4]، وفي بعض المواضع القليلة كلمة مؤرخ أو تاريخي[5]. لكن قراءتنا للمصادر الأخرى المعاصرة له والتي سبقته تبيين أن القليل من رجال الأدب والثقافة من كان يطلق على هذه الحالات تسمية مؤرخ أو تاريخي ما عدا ما أطلقه أصحاب التراجم والطبقات على أبي عبد الله محمد بن يوسف الورّاق (ت 363هـ/973)[6]، وأحمد بن محمد الرازي (ت 374هـ/984م)[7]، وابن حيان القرطبي (ت 469هـ/1077م) الذي كان يعتبره ابن حزم "شيخ المـؤرخين والأدبـاء في قرطبة"[8]، وفي بعض المصادر بالتاريخي[9]، وفي هذا المقام أطلق ابن حيان على عيسى بن أحمد الرازي

1- حول هذه العبارات أنظر: Allaoua Amara: *op, cit.* p.133.

2- عبارة أخبار أستعملت مائة وأربعة وستين مرة (164) مرة في عناوين الكتب التاريخية مقارنة بعبارة تاريخ. أنظر ابن النديم في كتابه الفهرسة.

3- المصدر نفسه، ص 45- 116.

4- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 255، 273، 280، 290.

5- المصدر نفسه، ج1، ص 270.

6- أنظر مثلا الحميدي: المصدر السابق، ص 55. الضبي: المصدر السابق، ص 122.

7- المصدر نفسه، ص 72. الضبي: المصدر السابق، 130.

8- ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس، (المقري: المصدر السابق، ج3، ص171). وأنظر ابن سعيد: المغرب في حلى المغـرب، ج1، ص 117. ذكره بإسم "شيخ الأدب والمؤرخين" رواية عن أبو الوليد بن جهور.

9- أنظر ابن عطية: المصدر السابق، ص 81.

(ت 379هـ/989م) بصاحب التاريخ[1]، بينما كتب عن ابن الفرضي بأنه كان أحسن الـرواة (راوية)، وعالم بالحديث وكتب السيرة، وسحب منه تسمية مؤرخ[2]. بينما القرون اللاحقة نجـد أن كلمة تاريخي فرضت نفسها بفكرة أكثر منطقية وتأسيسا للدلالة على الماضي[3].

عرفت الفروع الثلاثة للتاريخ المذكورة سابقا في الفضاء الأندلسي في القرن 5هـ/ 11م اهتماما كبيرا، وهذا من خلال ما أولاه ابن عبد البر عند ترتيبه للتاريخ والإشارة للفائدة من دراسته؛ حيث أفرد بابا بيّن فيه أقسام العلوم بصورة عامة وجعله ضروريا ومكسبا وجعل مـن الـضروري معرفة الأمم التي خلت فقال: "ومن الضروري أيضا علم الناس أن في الدنيا مكة والهنـد ومـصر، والصين وبلدانا عرفوها، وأنها قد خلت"[4].

ثم يقسم العلوم بحسب أنواعها إلى ثلاثة أقسام:

علم أعلى: وهو علم الدين، وعلم أوسط ويتضمن علوم الدنيا كالطب والهندسة. وعلـم أسـفل: ويتضمن أحكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة والفروسية والزي، والتزويق، والخط وما أشبه ذلك[5].

والتاريخ صنفه تحت أقسام علم الدين، لأن مفهوم الدين هو المنهج الـذي يـنظم حيـاة الإنسان على هذه الأرض، والتاريخ هو الذي يقوم بدراسة حركة هذا الإنسان مما جعل ابن عبد البر يضعه تحت هذا التقسيم وفي ذلك يقول: "والقسم الثاني: معرفة مخرج خبر الدين، وشرائعه وذلـك بمعرفة النبي – يعني سيرته صـلى الله عليه وسـلم- الذي شرّع الله الدين على لـسانه ويـده... وبمعرفة أصحابه، الذين أدوا ذلك عنه، ومعرفة الرجال الذين حملوه وطبقاتهم إلى زمانك – المقصود به علم الرجال والتراجم بصورة عامة - وبمعرفة الخبر الذي يقطع العذر لتواتره وظهوره - وهـذا علم التاريخ العام -"[6].

---

[1]- ابن حيان: المقتبس، تحقيق (مكي)، ص 265.

[2]- ابن حيان: المقتبس، (تحقيق الحجي)، ص 77. Allaoua Amara: *op, cit.* p.220.

[3]- أنظر للكلام الذي ذكره جلال الدين السيوطي في مصنفه الذي خصصه لعلم التاريخ، بعنوان: "الشماريخ في علم التاريخ"، تحقيق محمد بن ابراهيم الشيباني، الدار السلفية، الكويت، 1979.

[4]- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، تحقيق عبد الرحمن عثمان، مطبعة السلفية، المدينة المنـورة، 1968، ص 287.

[5]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6]- المصدر نفسه، ص 291.

وفي كتابه "القصد والأمم" كتب ابن عبد البر جزءا هاما حاول من خلاله توضيح أهم الحقول التي تُكون المعرفة التاريخية: أهل الأثر، أهل العلم بالأنساب، السير، الأخبار، والتواريخ والأيّام[1].

وأما فائدة التاريخ عند ابن عبد البر فنستكشفها من خلال مؤلفاته؛ بحيث حصرها في فائدتين: تعليمية، وتربوية.

الفائدة الأولى: تتضمن فوائد تختص بعلم الحديث؛ لأنه من خلال تراجم الصحابة يُعرف المسند والمرسل من الحديث، ومعرفة علم الرجال يعرفنا بالثقات من الضعفاء الذين نقلوا الحديث، وبالتالي نتعرف على درجته في الترتيب[2]. وهناك فوائد تختص بعلم التاريخ؛ مثل معرفة تاريخ العصر الإسلامي الأول وما يليه من خلال سيرة النبي – عليه الصلاة والسلام- وسيرة أصحابه، وأعمالهم[3]. وكذلك معرفة التاريخ الإسلامي في العصور التي تلت من خلال معرفة تراجم رجال ذلك العصر من محدثين وفقهاء وقادة وإداريين[4].

والفائدة الثانية: تتعلق بالجانب التربوي ذكرها ابن عبد البر من خلال الإشارات المتعددة في مؤلفاته التي أكدت معناها؛ فاهتمامه بالسيرة النبوية وتدوينها نابع من هذا الأصل التربوي، وكذلك تدوينه لسير الصحابة التي كان يهدف منها التعرف على أخلاقهم وسلوكهم وتضحياتهم، وقد عبر هو بنفسه على سبب الاهتمام بذلك: "الاهتداء بهديهم فهم خير من سلك سبيله – أي الرسول- واقتدى به"[5]. والسبب نفسه دعى ابن عبد البر للكتابة في سير مشاهير الفقهاء وقد لخص ذلك بقوله: "فمن قرأ فضائل مالك، وفضائل الشافعي، وفضائل أبي حنيفة بعد فضائل الصحابة والتابعين وعُني بها، ووقف على كريم سيرهم وهديهم كان ذلك له عملا زاكيا"[6].

أما العالم الأندلسي الآخر والبارز خلال القرن 5هـ/ 11م فهو ابن حزم الذي تناول التاريخ كعلم قائم بذاته له خصائص وغايات متميزة، لذا منحه مكانة هامة بين بقية العلوم التي يراها

---

[1]- ابن عبد البر: القصد والأمم، ص 55.

[2]- ابن عبد البر: الاستيعاب، ج1، ص 19.

[3]- ابن عبد البر: الانتقاء، ص 9.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- ابن عبد البر: الاستيعاب، ج1، ص 19.

[6]- ابن عبد البر: جامع بيان العلم، ص 457.

أساسية، وهي حسب رأيه سبعة: علم الشريعة، وعلم الأخبار (التاريخ)، وعلم اللغة – وفيها تتميز كل أمة عن الأمم الأخرى- ثم تأتي بعد هذه العلوم، أربعة أخرى تشترك فيها كل الأمم وهي: علم النجوم، وعلم العدد، وعلم الطب، وعلم الفلسفة[1].

وفي دراسته للتاريخ (علم الأخبار) يذكر مختلف فروعه وأقسامه وهـــي: تـــاريخ خـــاص بالممالك، تاريخ خاص بالسنين (التاريخ الحولي)، تاريخ محلي (بلاد الأندلس)، تاريخ طبقات النـــاس من فقهاء وعلماء وغيرهم، تاريخ منثور وهو التاريخ الذي يضم أشتاتا، وعلم الأنساب[2].

والتاريخ – حسب رأيه- علم شرعي، اتفق عليه الناس في كل زمان ومكان[3]، لذا يجب الجدّ في طلبه والترغيب فيه، لأنه يساعد على فهم الشريعة، فابن حزم يوجب على الفقيه قدرا معينا مـــن المعارف التاريخية، خاصة المتعلقة بالسيرة النبوية، فيقول: "وفرض على الفقيه أن يكون عالما بـــسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم- ليعلم آخر أوامره وأولها، وحربه –عليه السلام- لمن حارب، وسلمه لمن سالم، وليعرف على ماذا حارب، ولماذا وضع الحرب، وحرّم بعد تحليلـــه، وأحكامـــه –عليـــه السلام- التي حكم بها[4]".

وعلم النسب الذي يعتبره من علم الخبر[5] (التاريخ)، يدافع عنه بقوة ويرد قول من قال علـــم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر فيبين ضرورته ومنافعه، فهو حسب رأيه يتأرجح بين الفـــرض والفضل؛ فأما الفرض من علم النسب فهو: مثل أن يعلم المرء أن النبي – صلى الله عليـــه وســـلم- الذي بعثه الله بالإسلام هو محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي أي كان بمكة وهاجر منها إلى المدينـــة المنورة، وكذا معرفة أن الخلافة لا تجوز إلا في قريش وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانـــة، وأيضا أن يعرف الإنسان والديه وكل من يلقاه بنسب في رحم محرمة، أو نسب يوجب ميراثـــا، أو صلة، أو نفقة، أو أحكاما. وأما الذي تكون معرفته من النسب فضلا فهو مثل معرفة أسماء أمهـــات المؤمنين وأسماء كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وغيرها من الأنساب[6].

---

[1]- ابن حزم: رسالة في مراتب العلوم (رسائل ابن حزم)، ص 87. وأنظر فرانز روزنتال: المرجع السابق، ص 54، 55.
[2]- ابن حزم: مراتب العلوم، ص 78، 79.
[3]- فرانز روزنتال: المرجع السابق، ص 269.
[4]- ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة الإمام، القاهرة، 1345هـ/ 1935م، ج5، ص 118.
[5]- ابن حزم: مراتب العلوم، ص 89.
[6]- ابن حزم: الجمهرة، ص 3- 6.

وفضلا عن هذا كله، فإن التاريخ – عند ابن حزم – هام جدا في بناء شخصية الفـــرد مـــن الوجهة الأخلاقية والنفسية، ويعود ذلك إلى الفوائد والمنافع التي يمكن تحقيقها من الاطـــلاع علـــى تواريخ الأمم والتي يحددها في:

- التزهيد في الدنيا: وذلك بمعرفة تقلبها بأهلها، ومصير الملوك الظالمين الذين لم تنفعهم أمـــوالهم ولا جيوشهم[1].

- القدوة الحسنة: من خلال الإطلاع على سيرة الصالحين والمتقين وأخبارهم، والوقوف على أقوالهم في الترغيب في الفضائل والحث عليها، والترهيب من الرذائل ومقتها[2].

- الاعتبار: بفناء ودثور الحصون والمدائن وتعاقب الأجيال وانتقـــال الأحـــوال مـــن العمـــران إلى الخراب[3].

- تمييز الصواب من الأخطاء: وذلك أنه حين تتناصر التواريخ على تفاوت الأزمان والديانات في نقل قصة فهي حق، وحين يحدث العكس يدرك الدارس للتاريخ أن القصة مضطربة[4].

- المتعة والرياضة والتنشيط: وذلك أن علم التاريخ سهل، وعلى الإنسان أن يتعمد قراءتـــه وقـــت السآمة من دراسة العلوم الأخرى، أو وقت فراغه من العمل[5].

وعلى العموم فابن حزم ينظر للتاريخ من زاوية الفقيه والمصلح، فهو رغم منحه لعلم التاريخ المرتبة الثانية بعد علوم الشريعة، إلا أنه يربط أهميته بمدى خدمته لهذه الأخيرة، وبمدى الاستفادة منه قي إصلاح المجتمع.

---

[1] - ابن حزم: مراتب العلوم، ص 71

[2] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - المصدر نفسه، ص 72.

[4] - المصدر نفسه، ص 73.

[5] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

رابعا: جماعات المؤرخين ودورها في نقل المعرفة التاريخية

المتتبع لطرق الإسناد في انتقال الروايات التاريخية التي جاء بها ابن خير يستخلص أن علم التاريخ مرتبط بالحديث، وأن المجموعات التي اهتمت بنقل المعرفة التاريخية معظمها مـــن أوســـاط الرّواة، التي تعود أصولها إلى القرون الأولى للإسلام، والتي كونت ثلاثة تيارات أساســـية في القـــرن 5هـــ/ 11م، واستمر دورها في هذا المجال خلال القرن 6هـــ/ 12م[1].

تكوّن التيار الأول حول الحافظ الكبير لمدينة قرطبة ابن عبد البر والذي ينتمي إلى عائلـــة علماء، وكان معلمه الأساسي كاتب السير أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل المدعو بابن الدباغ (ت 390هـــ/ 1000م) الذي تلقى علوم عصره على مشاهير الشيوخ بقرطبة وغيرها من بـــلاد الأندلس، وكانت له رحلة إلى المشرق استفاد منها في لقاء علماء الأمصار والمدن التي مرّ بها، أهمهـــا مكة التي درس بها التاريخ على أبي الحسن علي بن محمد بن إسماعيل الطوسي[2].

كما ساهم ابن عبد البر في إغناء معارفه التاريخية باقترابه من أندلسيين ومغاربة مثل أبـــو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي (ت 396هـــ/ 1005م)[3]، وكذلك أبو الفـــضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز (ت 395 هـــ/1004 م)[4]، وأبو القاسم بن خلف بن جعفر الأموي الاشبيلي (ت 405 هـــ/1014 م). كما درس كتب التاريخ لمعاصريه مثل أبو الوليد ابن الفرضي (ت 403هـــ/1012 م)، وتلميذه الحميدي (ت 488هـــ/1095) الـــذي قدّم أستاذه على أنه فقيه وعارف بالقراءات والخلاف وعلوم الحديث وعلم الرجال[5].

---

[1]- حول هذه التيارات التي اهتمت بنقل المعرفة التاريخية أنظر: Allaoua Amara: op. cit, p.221- 224. *224.*

[2]- أنظر ترجمته عند ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 118- 119. والحميدي: المصدر السابق، ص 62. الصالحي الدمشقي: طبقات علماء الحديث، تحقيق ابراهيم الزباق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989، مج3، ص 332.

[3]- أنظر ترجمته عند الحميدي: المصدر السابق، ص 115- 116.

[4]- أنظر ترجمته عند ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 83- 84.

[5]- الحميدي: المصدر السابق، ص 285.

وكتب تلميذ آخر لابن عبد البر هو أبو علي الحسين بن محمد الغساني (ت 498 هـ/1104م)[1] والمذكور من طرف ابن عطية (ت541هـ/ 1146م)، أن معلمه من كبار المحافظين وأنه نقل خاصة الكتب التي ترتبط بالسيرة النبوية والتاريخ[2]. كما اهتم ابن عبد البر بنقل الكتب التي لها علاقة بحياة الصحابة والفقهاء الأوائل قبل أن يهتم بالسير والتراجم المحلية[3]. وقد كتب ابن عبد البر الكثير من المؤلفات التي تشهد له بالعبقرية في ميدان السير والتراجم والأنساب، التي أصبح بها أحد أقطاب فريق المحافظين والمؤرخين الذين نجد من بينهم ابن حزم، وعبد الله بن سعيد بن لبّاج الشّنتجيالي (ت 436هـ/ 10454)[4]، وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب (ت 520هـ/ 1126م) وغيرهم.

بعد وفاة ابن عبد البر سنة 463هـ/ 1070م أصبح ابن عتاب وريثه وممثله الأساسي في هذا التيار، وهو ينتسب إلى عائلة اشتهرت بطلب العلم، وُلد في قرطبة سنة 433هـ/ 1041م[5]، تتلمذ على معلمين كبار محليين أبرزهم المؤرخ ابن حيان (ت 469هـ/ 1076م) الذي قرأ عليه كلّ كتبه، مما منحه شهادة الإجازة لمروياته[6]، وقد كانت ملازمته لابن عبد البر والتلقي عنه، جعل هذا الأخير يجيزه كل مروياته ومؤلفاته وهذا يدلّ على المكانة التي كان يحضى بها عنده.

---

[1]- ينتمي أبو علي الغساني إلى عائلة أصلها من جيان، ولد بقرطبة سنة 427هـ/ 1036م، تتلمذ على كبار شيوخ زمانه، واشترك مع ابن عبد البر في الأخذ عن بعضهم مثل: أبي عمر الطلمنكي، وأبي الوليد الباجي، وأبي عبد الله محمد بن عتاب وغيرهم. وتنقل بين حواضر الأندلس طلبا للعلم، و لم تسنح له الفرصة للرحلة إلى المشرق، مثله مثل شيخه ابن عبد البر وغيره. وقد نال منزلة عالية في العلم حيث وصل في وقته إلى رتبة رئيس المحدثين بقرطبة، وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين. عني بالحديث وعلم الرجال واللغة والأنساب وجمع في ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته. أنظر القاضي عياض: الغنية، ص 99، 100. أنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 130، 131. وأنظر ابن الأبار: المعجم، ص 78. الصالحي الدمشقي: المصدر السابق، ج4، ص 7- 8.

[2]- ابن عطية: المصدر السابق، ص 61- 67.

[3]- Allaoua Amara: op. cit, p. 222.

[4]- أنظر ترجمته عند ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 229- 230. وعمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج6، ص 58.

[5]- الضبي: المصدر السابق، ص 311 285. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج4، ص 61. إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، 1982، ج2، ص 50. الزركلي: المرجع السابق، ج3، ص 327.

[6]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 285.

ولو حاولنا استقراء فهرسة ابن خير لوجدنا صدق ذلك، فما من كتاب رواه ابن خير بسند فيه ابن عبد البر إلا وكان ابن عتاب أحد الرواة عنه. وقد قام بدور مهم جدا في توجيه الروايات المنشورة من طرف ابن عبد البر نحو التاريخ المحلي[1].

في أواخر حياته كان يلتقي به الكثير من طلاب العلم والمعرفة الأندلسيين والمغاربة[2]. هناك تلاميذ آخرين لابن عبد البر بقوا أوفياء له نذكر من بينهم أبو بكر محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون الأريولي (ت 519هـ/ 1126م) والذي ألف ذيلٌ لكتاب الاستيعاب المؤلف من طرف معلمه[3].

التيار الثاني الذي غلب عليه في عملية الانتقال كتابة السير المتعلقة بالرسول ومختلف طبقات المحدثين تعود أصوله إلى أبي العباس أحمد بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي (ت 478هـ/ 1086م)[4]، الذي سافر إلى مكة سنة 431هـ/ 1039م ودرس التاريخ على أبي ذر الهروي (ت 435هـ/ 1044م)[5] هذا الأخير عُرف بتلقينه للتاريخ المشرقي الذي انتقل أبا عن جد من قبل عائلة العذري[6]، التي كانت تقطن بالمرية. ومن أبرز أقطاب هذا التيار أيضا أبي الحسن علي بن عبد الله بن موهب الجذامي الذي روى عن أبي العباس العذري وأختص به، وخاصة في رواية كتابه التاريخي "أبكار أوائل الأخبار" وكتابه الجغرافي "نظام المرجان في المسالك والممالك"[7] وقد كان ابن موهب الجذامي يجمع كذلك الروايات التاريخية عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت

---

[1]- القاضي عياض: الغُنية، ص119، 120. ابن الأبار: المعجم، ص 114.

[2]- Allaoua Amara: op. cit, p. 222.

[3]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 451، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج2، ص 84. وأنظر أيضا كتابه إيضاح المكنون، ج1، ص 73.

[4]- أبو العباس العذري ولد في سنة 393هـ/ 1003م، ودرس على الشيوخ المشهورين في الأندلس، وقام برحلة إلى مكة بصحبة أبيه، وهناك درس على العديد من علمائها، وافته المنية سنة 478هـ/ 1086م. أنظر الحميدي: المصدر السابق، ص 120، 121. ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 70، 71.

[5]- ألّف العديد من كتب السيرة، نذكر منها: بيعة العقبة.

[6]- عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج6، ص 440.

[7]- هذا المؤلف هو كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك.

474هـ/ 1082م)[1]. كما تتلمذ أيضا على يد ابن عبد البر ولكن في حدود الكتب التي كانت تروي سيرة الرسول. هذا التيار الذي كان يجمع بين التاريخ والحديث بدأ في التقهقر بعد انفصام الخلافة بقرطبة وظهور ملوك الطوائف.

أما التيار الثالث الذي عُرف بتدريسه لمعاجم السير والروايات الكلاسيكية العالمية، فمن أشهر مؤسسيه أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد الغساني الحافظ[2] الذي هو كذلك أحد التلاميذ القدامى لابن عبد البر، ولابن عتاب ولأبي العباس العذري.

وكل الكتب التي نُقلت عن طريق هذا الإخباري والحافظ لمدينة قرطبة تعود إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين وخاصة الطبقات للوا قدي (ت207هـ/823م)، والمدائني (ت 231هـ/ /845م)، وخليفة بن خياط (ت 240هـ/ 855م)[3] ، كما أعطى أبو علي الغساني مكانة مهمة للتاريخ المحلي لقرطبة من خلال رواياته عن الإخباريين والمحدثين القرطبيين، غير أن هذا العمل لم يكن له تأثير كبير في توجهه العام الذي ذهب به للاهتمام بسير وتراجم ناقلي الحديث، حيث ألف ثلاثة كتب في هذا المجال "تسميات شيوخ أبي داود"[4]، "تسميات شيوخ الصنائع"، "ضبط رجال الصحيح وفهرسته"، "تقييد المهمل وتمييز المشكل من الأسماء والكنى والأنساب مما ذكر في الصحيحين"[5].

وبعد وفاة جل كبار رواة قرطبة أصبح أبو علي الغساني قائد فرقة التاريخ والحديث لمنطقة الأندلس[6]. ومن تلامذته أبو بكر محمد بن أحمد بن الطاهر (ت 542هـ/ 1147م) الذي كان

---

[1]- أنظر ترجمته عند ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 175- 176. وابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص 408. وياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج4، ص 313. ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص 98. الزركلي: المرجع السابق، ج3، ص 125.

[2]- سبق لنا التعريف به، أنظر هامش ص 125 من الفصل الثالث.

[3]- ماخوذة عن الفهرسة لابن خير، ومؤكدة عن طريق نص كتبه ابن عطية: المصدر السابق، ص 66.

[4]- ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 271.

[5]- القاضي عياض: الغنية، ص 99، ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 269. ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 131.

[6]- ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، ص 130.

يُدّرس المعارف التاريخية التي تعلمها من شيخه[1]، والقاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف التجيبي (ت 529 هـ/1134م)[2] و أبو بحر سفيان بن العاصي بن سعيد الأسدي (ت 520هـ/ 1126م)[3] هؤلاء يُعدّون من بين العناصر الأساسية في هذا التيار، إلى جانب القاضي عياض المغربي الذي أخذ عن أبي علي الغساني ودرّس كتبه في سبتة[4].

إن تحليل كتاب الفهرسة لابن خير يبين وجود تيارين آخرين كانا لهما تأثير محدود على تلقين الكتابة التاريخية. الأوّل أُسس حول أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث (ت 532هـ/1138م)[5] وهو الأخير في عائلة كانت تنقل روايات التاريخ المشرقي أبا عن جد. هذه الروايات في مجملها تتكون من معارف في علم الأنساب والتاريخ والفلسفة. والتيار الآخر يُمثله القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت 543هـ/1149م)[6] الذي قام بتلقين علم التاريخ بعد عودته من سفره من المشرق سنة 493هـ/1100م لأنه عاد ومعه مجموعة من الكتب ومعرفة تلقاها في بغداد، وتُبيين الكتب التي كان يُدّرسها في الأندلس عودة إلى التقاليد المشرقية الأولى من حيث الكتابة التاريخية[7].

1- محمد بن أحمد بن محمد بن طاهر القيسي، المولود بباجة والذي استقر فيما بعد في صقلية، كان من تلاميذ أبو علي الغساني، ثم أصبح فيما بعد يدرس كتبه بعد وفاته. أنظر ابن الأبار: المعجم، ص 158- 160.

2- أنظر ترجمته عند ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 453.

3- سفيان بن العاصي بن أحمد العاصي بن سفيان الأسدي المعروف باسم أبي بحر الراوية المولود في سنة 439هـ/ 1048م ببلنسية، والذي استقر بقرطبة حيث درس تحت اشراف ابن عبد البر، وأبي العباس العذري، وأبي الوليد الباجي، كان أبو بحر من كبار المترجمين في زمانه. توفي بقرطبة سنة 520هـ/ 1126. أنظر المصدر نفسه، ص 205- 206.

4- القاضي عياض: الغنية، ص 99.

5- أبو الحسن يونس بن محمد بن المغيث والمعروف بابن الصفار المولود سنة 447هـ/ 1056م بقرطبة، والذي درس على على يد جده مغيث بن محمد وعلى أبي عمر بن الحذاء، وحاتم بن محمد الطرابلسي وغيرهم، وقد عُرف عليه أنه كان عارفا بالخبر والتاريخ. القاضي عياض: الغنية، ص 163، 164.

6- أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري ، المعروف بابن العربي المولود باشبيلية سنة 468هـ/ 1076م، حيث درس فيها، ثم انتقل إلى المشرق ولقي مشائخه وسمع منهم، وأقام بالإسكندرية عند أبي بكر الطرطوشي وأخذ عنه، ثم أنصرف إلى الأندلس ودرس على علمائها حتى أصبح حافظا، أديبا، وأخباريا أيضا. من مؤلفاته شرح الجامع الصحيح للترمذي، وقانون التأويل في تفسير القرآن، وله أيضا العواصم من القواسم، و"أعيان الأعيان"، وغيرها. أما فيما يخص حياته أنظر القاضي عياض: الغنية، ص 39- 44. ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص 459- 460. الصالحي الدمشقي: المصدر السابق، ج4، ص 68- 70. عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج10، ص 242. الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص 230.

7- Allaoua Amara: op. cit, p. 223.

إن الاطلاع على مجموع كتاب فهرسة ابن خير يدلنا على أن أوساط الرواة والمــؤرخين نقلت مؤلفات من علوم القرآن والحديث والفقه والأدب الشيء الذي يؤكده القاضي عياض الذي يذكر المؤلفات التي درسها عن ابن عتاب في قرطبة: صحيح البخاري، ملخص القابسي، المدونـــة، والموطأ برواية يحي بن بكير، وسنن النسائي، طبقات العلماء لابن الفرضي، تفسير عبـــد الـــرزاق، وكتاب الفصوص لصاعد البغدادي، وفهرسة ابن عبد البر، وفهرست مكي، والسفاقسي وغيرهم[1].

ومن الملاحظات الهامة في فهرسة ابن خير نجد أن ابن حيان رغم شهرته في ميدان التاريخ لا نجد له أهمية كبيرة من حيث تعليم ونقل المعرفة التاريخية، بحيث أنه لم يمنح إلاّ إجـــازتين لكتـــاب "الفصوص" لصاعد بن الحسين البغدادي إلى ابن عتاب[2] وإلى أبي علي الغساني[3].

والكلام نفسه ينطبق على ابن حزم الذي كانت له مكانة ضعيفة في عهده، حيث لم يتم ذكره إلاّ مرة واحدة في فهرس ابن خير كمحافظ ومؤلف لرسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها[4]. بالرغم من كون ابن حزم هو مُؤلف للعديد من الكتب التاريخية المشهورة التي تناول فيهـــا العديـــد مـــن الموضوعات المختلفة[5].

---

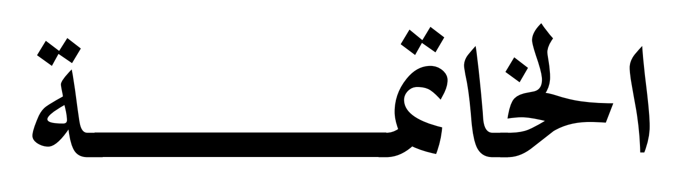
[1] - القاضي عياض: الغنية، ص 118، 119، 120.

[2] - ابن خير: المصدر السابق، ابن عطية: المصدر السابق، ص 81.

[3] - ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص 256. ابن عطية: المصدر السابق، ص66.

[4] - ابن خير: المصدر السابق، ج1،ص 276.

[5] - أنظر المؤلفات التاريخية لابن حزم المذكورة في الفصل الثاني من هذا البحث ص 93.



خاتمة:

نصل في نهاية هذا البحث المنصب حول المعرفة التاريخية خلال القرن 5هـ/11م إلى جملة من النتائج يأتي في مقدمتها أن الأندلس شهدت خلال هذه الفترة تقريبا أهم فترة من الانتاج المعرفي على الرغم من الإنحلال والتفكك السياسي الذي ضرب كل أجزاء الجزيرة الأيبيرية، وأستشرى فيه الخطر النصراني الذي تمثله الممالك الإسبانية.

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن عصر الخلافة والذي يمثل القرن 4هـ/10م، وهو عصر تميز بنشاطه العلمي والمتمثل في الرحلات المتبادلة بين الأندلس والمشرق التي أسهمت في نقل المعرفة التاريخية وإنتشارها بين المهتمين، كما أنّ تشجيع الخلفاء الأمويين ورعايتهم للمؤرخين نشّط من عملية تأليف الكتب والاعتناء بها، الأمر الذي إستلزم إنشاء مكتبات لإحتوائها، والتي كثرت بشكل لافت للإنتباه، كل هذه العوامل مجتمعة شكلت ميراثا ضخما أفاد منه من جاء بعدهم؛ حيث كان لهذا العطاء الثقافي أثره في إرساء تلك النهضة العلمية الكبيرة التي ميزت عصر الطوائف، وخاصة بعد الحرب الأهلية سنة 305هـ/1013م فالكثير من العلماء تفرقوا في أصقاع الأندلس المختلفة، حيث كانوا بمثابة مشاعل أنارت سبل المعرفة في شتى المدن الأندلسية بعد أن كانت مدينة قرطبة هي المركز الأول للنشاط العلمي.

وإذا كان عصر الطوائف قد تميز بانقساماته السياسية فإن ملوكه، رغم تنازعهم وتطاحنهم فيما بينهم على النفوذ والسيادة، قد أدُّوا دورا بارزا في إيقاد جذور النشاط العلمي والعمل على رقيّه وإزدهاره فقد إشتدّ التنافس فيما بينهم إلى النواحي الحضارية ومنها ميدان العلم والأدب فأجتذبوا العلماء إلى بلاطاتهم، وعملوا على تشجيعهم ورعايتهم وكانوا يفاخر بعضهم بعضا بما يضمه بلاط كل منهم من أهل العلم والأدب. وقد تميز هذا العصر بقدر واسع من تعدد الرؤى الفكرية نظرا لإفتقار الأندلس آنذاك إلى سلطة سياسية ودينية مركزية تفرض نفوذها على أنحاء الأندلس كافة وتحدد النشاط الفكري. هذا فضلا عن التوجه المذهبي الذي كان له دور بارز في التأليف التاريخي.

وقد عرف التأليف التاريخي عند الأندلسيين خلال هذا القرن تنوعا في حقوله، حيث طـــرق مُؤلفوه والمهتمون به الميادين التقليدية من تواريخ عالمية وإقليمية وسير وطبقات وتراجم ومغـــازي، وعلم أنساب...الخ، كما استحدثوا موضوعات جديدة تتمثل في تاريخ اللأدب (الأنتولوجيـــات)، والمذكرات الشخصية، وقد عرفت كتابتهم التاريخية تطورا ملحوظا، خاصة مع ابن حيـــان، وابـــن حزم، وتلميذيه الحميدي وصاعد الطليطلي في الموضوع والمنهج والأسلوب مبتعدين بـــشكل شـــبه كلي عن كتابة التاريخ الممزوج بالأساطير، معتمدين على التمحيص والتدقيق والتحري في الخبر، إذ كانوا يُخضعون كل ما يبلغهم إلى منظار النقد العلمي والنظرة التحليلية السائدة في تلك الفترة.

أما من ناحية تدريس التاريخ وإنتقاله في هذه الفترة، فقد كان ينقـــل كبقيـــة المعـــارف الأخرى، وجلّ الكتب نُقلت عن طريق المشافهة، كما أن عالم الفقهاء والمحدّثين قد إهتموا بالمعرفـــة التاريخية، لأن روّاة الحديث والسيرة النبوية كانوا في الوقت نفسه هم ناقلي المعارف التاريخية الشفوية والمكتوبة، وكانوا يُمثلون إلى جانب المؤرخين مجموعات حول شيوخهم، وهكذا فالكتابة التاريخيـــة وتدريس التاريخ كانت على علاقة مع الحياة السياسية في ذلك العهد، كما لاحظنا ذلك في قرطبـــة بعد ذهاب الأمويين، حيث إنفصمت الوحدة السياسية وظهور الممالك المحلية ســـاهم في إدخـــال الكتابة وتدريس التاريخ في عصر جديد، يتميز باهتمام كبير بالتاريخ المحلي لهذه الممالك وخاصة في كتابة السير والتراجم المحلية. إلا أن ظهور التاريخ المحلي لم يكن يعني الإبتعاد عن دراسة وتـــدريس المؤلفات التاريخية الكلاسيكية، لأن كتب السيرة والمغازي كانت متداولة بكثرة في أوساط الفقهاء، وهذا يعني أنه كان للمنطقة إهتمام كبير لمعرفة أصول الإسلام من جهة وإبراز النمـــوذج المثـــالي في المجالات السياسية والاجتماعية والتربوية. مقابل تراجع التاريخ العالمي الذي عرف خفوتا لـــيس في الأندلس وحدها بل في كل الأقطار الإسلامية مشرقها ومغربها وربما يعود ذلك إلى عـــدم وجـــود الخلافة الجامعة. ودراسة كتاب الفهرسة لابن خير يكشف الكثير مـــن الأمـــور المتعلقـــة بالمعرفـــة التاريخية، من ناحية الكتب المدرّسة ونوعيتها، ومتابعة سلسلة رواتها، وطرق التحصيل المستعملة فيها والتي يغلب عليها طابع المشافهة، والأوساط العلمية التي إهتمت بتدريس التاريخ وانتقاله والتي كانت مُكونة في مُعظمها من أوساط المحدثين والفقهاء.

وفي الأخير أنبِّه بأن هذه الدراسة المتعلقة بالمعرفة التاريخيـــة في الأنـــدلس خـــلال القـــرن 5هــ/11م موضوعها واسع، ومهما يكن من النقاط التي تطرقت لها أو التي لم أتطرق لهـــا يبقـــى الموضوع يحتاج إلى المزيد من التصورات والآراء التي تثري هذا النوع من البحوث التاريخية.

الملاحـــــق

خريطة لمراكز الإنتاج التاريخي خلال القرن 5هـ/11م



الفهارس

أولا: فهرس الأعلام

ـ حرف الألف ـ

ـ الأبناء ـ

ـــ الأباء ـــ

ـــ باقي حروف الألف ـــ

ـــ حرف الباء ـــ

ـ حرف التاء ـ

ـ حرف الثاء ـ

ـ حرف الجيم ـ

ـ حرف الحاء ـ

ـ حرف الخاء ـ

ـ حرف الدّال ـ

ـ حرف الزاي ـ

ـ حرف الطّاء ـ

ـــ حرف الضاد ـــ

ـــ حرف الكاف ـــ

ـــ حرف اللّام ـــ

ـــ حرف الميم ـــ

ــ حرف النّون ــ

ــ حرف الصّاد ــ

ــ حرف العين ــ

ـــ سعيد بن عثمان بن السكر البغدادي: 28.

ـــ حرف الشِّين ـــ

ـــ حرف الهاء ـــ

ـــ حرف الواو ـــ

ـــ حرف الياء ـــ

ثانيا: فهرس الأماكن

ــ حرف الألف ــ

ــ حرف الباء ــ

ـ حرف العين ـ

ـ حرف الغين ـ

ـ حرف الفاء ـ

ـ حرف القاف ـ

ـ حرف السِّين ـ

ــ حرف الشِّين ــ

ــ حرف الهاء ــ

ــ حرف الواو ــ

ــ حرف الياء ــ

ثالثا: فهرس المجموعات

ـــ حرف الألف ـــ

ـــ حرف الباء ـــ

رابعا: قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

* ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ/ 1238م):

1 ــ **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.

2 ــ **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985.

3 ــ **معجم أبي علي الصدفي**، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.

4 ــ **اعتاب الكتاب**، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961.

* ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم (ت 668هـ/1269م):

5 ــ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1969

* ابن أبي زرع، علي الفاسي (ت بعد 726هـ/1325م):

6 ــ **الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الله منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999.

* ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت 630هـ/ 1232م):

7 ــ **الكامل في التاريخ**، تحقيق نخبة من العلماء، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.

* الأزرقي، أبو الوليد محمد بن الوليد (ت 244هـ/858م):

8 - **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي الصالح ملحي، مكة، 1942م.

* الأنصاري، أبو الشيخ (ت 369هـ/979م):

9 - **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**، تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

* ابن بلكين، عبد الله بن بلكين بن باديس (ت بعد 488هـ/1095م):

10 ــ **كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

* ابن بسام، أبو الحسن نعلي الشنتريني (542هـ / 1246م):

11 ــ **الذخيرة في محاسن أهل الجريرة**، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1975.

* ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هــ / 1185م):

12 ــ **كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 2003.

* التجيبي، القاسم بن يوسف البلنسي (ت 730هــ/1329م):

13 ــ **برنامج**، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.

* ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت 874هــ/1469م):

14 ــ **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمد مصطفى وعبد القادر عطا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1977.

* الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت 429هــ/1037م):

15 ــ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية،

* ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان (ت 388هــ/م) :

16 ــ **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة 1955.

* حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هــ/1656م:

17ــ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456هــ/1063م):

18 ــ **مراتب العلوم**، الرسائل (الجزء الرابع)، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1980.

19 ــ **جوامع السيرة**، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

20 ــ **حجة الوداع**، تحقيق ممدوح حقي، ط2، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1966.

21 ــ **طوق الحمامة في الألفة والألّاف**، تحقيق فاروق سعد، مكتبة الحياة، بيروت، 1982.

22 ــ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق يوسف البقاعي، دار التراث العربي، بيروت 2002.

23 ــ **الأحكام في أصول الأحكام**، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة الإمام، القاهرة، 1935م

24 ــ **رسائل ابن حزم،** (الجزء الثاني)، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

25 ــ **الرد على ابن النغريلة اليهودي،** ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار العروبة القاهرة،1960.

* الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الفتوح (ت 488هـ/ 1095م):

26 ــ **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،** تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتب العلمية، بيروت ،1997.

* الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 717هـ/ 1314م):

27 ــ **الروض المعطار في خبر الأقطار،** تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

* ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت 469هـ/1071 م):

28 ــ **المقتبس في أخبار بلد الأندلس،** تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1973.

29 ــ **المقتبس في رجال الأندلس،** تحقيق ملشور أنطو نيا، باريس، 1838.

30ــ **المقتبس من أنباء أهل الأندلس،** تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي بيروت، 1973

31 ــ **المقتبس،** (الجزء الخامس) تحقيق بدرو شالميتا وآخرون، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979.

* ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت 529هـ/1134م):

32 ــ **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس،** تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983.

33 ــ **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان،** تحقيق حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الزرقا، اللأردن، 1989.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م):

34 ــ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام،** دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

ــ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 766هـ/1364م):

35 ــ **إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون**

الكلام (الجزء الخاص بالأندلس)، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت 1956.

36 ــ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 2001

* ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هــ/1306م):

37 ــ **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1956-1961.

37ــ **المقدمة**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط2، مكتبة نهضة مصر، 1981.

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين بن محمد (ت 681هــ/ 1282م):

39 ــ **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، 1968.

* خليفة بن خياط العصفري (ت 240هــ/855م):

40ــ **كتاب الطبقات**، تحقيق أكرم العمري، مطبعة العاني، بغداد، 1967.

* الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد (ت 316هــ/928م):

41- **أخبار الفقهاء والمحدثين**، تحقيق ماريا لويسا آبيلاولويس مولينا المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي مدريد، 1992.

* ابن خير، أبو بكر محمد الإشبيلي (ت 575هــ/ 1174م):

42ــ **فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني 1989.

* الذهبي، شمس الدين محمد أبو عبد الله (ت 748هــ/ 1344م):

43 ــ **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناءوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982،

44 ــ **تذكرة الحفاظ**، ط11، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

45 ــ **العبر في خبر من غبر**، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.

* الرشاطي، أبو محمد (ت 542هــ/1147م):

46 ــ **الأندلس في اقتباس الأنوار**، تحقيق إيميليو مولينا، وخاثينتو بوسك بلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية-معهد التعاون مع العالم العربي، 1990.

* الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي (ت 666هـ/ 1268):

47 ـ **برنامج شيوخ الرعيني**، تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق، 1962.

* الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ/922م):

48 ـ **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973.

* ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1372م):

49 ـ **الباعث الحثيث في شرح واختصار علوم الحديث**، تحقيق علي بن حسين بن علي الحلبي، مكتبة المعارف، الرياض، 1996.

50ـ **البداية والنهاية**، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

* ابن الكر دبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (ت أواخر القرن 6هـ/ 12م):

51 ـ **الاكتفاء في أخبار الخلفاء** (قطعة من الكتاب تتناول تاريخ الأندلس)، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1977.

* ابن ماكولا، علي بن هبة الله (ت 486هـ/1093م):

52- **الإكمال في الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب**، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي، ط2، بيروت، 1965.

* المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي (ت 667هـ/ 1269م):

53 ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963.

* المقري، أحمد بن محمد (ت 1041هـ/ 1632م):

54 ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988.

* المقريزي، تقي الدين (ت 845هـ/1441م):

55 ـ **المقفى الكبير**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

* المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسن (ت 346هـ/ 957م):

56 ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، 1967.

* موسى بن ميمون (ت 603هـ/1135م):

57 ــ **دلالة الحائرين**، ترجمة حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002.

* النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت 793هــ/1390م):

58 ــ **تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق الجديدة، (د ت).

* ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت 385هــ/995م):

59 ــ **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، 1978.

ــ صاعد الطليطلي، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت 462هــ/1069م):

60ــ **طبقات الأمم**، تحقيق حياة علوان، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1985.

* الصالحي، محمد بن يوسف الدمشقي (ت 942هــ/1535م):

61 ــ **طبقات علماء الحديث**، تحقيق ابراهيم الزباق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989.

ــ ابن الصلاح، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت 806هــ/1306م) :

62 ــ **التقييد والإيضاح**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة (د ت).

* الصفدي، خليل بن أيبك (ت 764هــ/1362م):

63 ــ **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناءوط، وتركي مصطفى، دار الإحياء والتراث العربي، بيروت، 2000.

* الضبي، أبو جعفرأحمد بن يحي (ت 599هــ/ 1203م):

64 ــ **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1997.

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت 463هــ/ 1070م):

65 ــ **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم وأول من تكلم العربية من الأمم**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1983.

66 ــ **الدرر في اختصار المغازي والسير**، تحقيق شوقي الضيف نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966.

67 ــ **الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء،** تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1940.

68 ــ **الإنباء على قبائل الرواة،** تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1940م.

69 ــ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** تحقيق محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1960.

70 - **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله،** تحقيق عبد الرحمن عثمان، مطبعة السلفية، المدينة المنورة، 1968.

* ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأوسي (ت 703هـ/1303م):

71 ــ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة،** (الجزء الثاني والرابع والخامس والسادس)، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

ــ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد 712هـ/ 1312م):

72 ــ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** تحقيق ومراجعة ج، س، كولان، وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983.

* العذري، أحمد بن عمر بن أنس المعروف بإبن الدلائي (ت 478هـ/988م):

73 - **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك،** (نصوص عن الأندلس من هذا الكتاب) تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، 1986.

* ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر (ت 541هـ/1146م):

74 ــ **الفهرس،** تحقيق محمد أبو الأجفان و محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1980.

* ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت 1089هـ/1678م):

75 - **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق لجنة التراث العربي، دار الأفاق الجديدة بيروت، (د ت).

* عياض، القاضي أبو الفضل بن موسى السبتي (ت 544هـ/ 1149م):

76 ــ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، نشر مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

77 ــ **الغُنية**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، 1979.

78 ــ **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970.

* ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت 799هــ/ 1397م):

79 ــ **الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 1976.

* ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت403هــ/ 1013م):

80ــ **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**، تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتاب العلمية، بيروت 1997.

* الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر (ت 823هــ/1420م):

81 ــ **البلغة في تاريخ أئمة اللغة**، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972.

* القلقشندى، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هــ/1418م):

82ــ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

* القفطي، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف (ت646هــ/ 1247م):

83 - **أنباء الرواة على أنباء النحاة:** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب المصرية، القاهرة 1950-1955.

* ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت 367هــ/971م):

84 ــ **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989.

* السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771هــ/1366م):

85 ــ **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، ط2، هجر للطباعة والنشر و التوزيع والإعلان، الجيزة، مصر 1992.

* السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م):

86 ـ **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تحقيق فرانز روزنتال، نشر مكتبة المثنى، بغداد، 1963.

* ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/ 1286م):

87 ـ **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شرقي ضيف ط2، دار المعارف، القاهرة، 1964.

88 ـ **رايات المبرّزين وغايات المميزين**، تحقيق النعمان القاضي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1973.

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1508م):

89 ـ **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة**، تحقيق محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، 1909.

90- **الشماريخ في علم التاريخ**، تحقيق محمد بن ابراهيم الشيباني، الدار السلفية، الكويت، 1979.

* ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت 681هـ/1282م):

91 - **صلة السمط وسمة المرط** (قطعة من هذا الكتاب في وصف صقلية والأندلس)، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1971.

* الوادي آشي، محمد بن جابر التونسي (ت 749هـ/1348م):

92 ـ **برنامج الوادي آشي**، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي (أثينا- بيروت)، 1980.

* ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت 626هـ/ 1229م):

93 ـ **معجم الأدباء**، تحقيق أحمد فـريد الرفاعي، مكتبة عيسى البابي الحلبي القاهرة 1936.

94 ـ **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1986.

* اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر (ت 284هـ/891م):

95 ـ **التاريخ الكبير**، دار صادر، بيروت، (دت).

ثانيا: المراجع العربية

* إحسان عباس:

1 - **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين،** ط5، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1978.

* أحمد أمين:

2 - **ظهر الإسلام،** مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1966.

3 - **ضحى الإسلام،** مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1938.

* أحمد مختار العبادي:

4- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت،(د.ت)

* أحمد يوسف خليفة:

5 - **مصادر الأدب الأندلسي،** دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002.

* أمين توفيق الطيبي:

6 - **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس،** الدار العربية للكتاب، ليبيا ـــ تونس، 1984.

* أسد رستم:

7 - مصطلح التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1939.

1939

* إسماعيل البغدادي:

8 - **هدية العارفين،** دار الفكر، بيروت، (د.ت).

9 ـــ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون،** دار الفكر، بيروت، 1982.

* أشباخ يوسف:

10 - **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،** ترجمة محمد عبدالله عنان، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1972.

* بالنثيا، أنخل جنثالث بالنثيا:

11 - **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، 1955.
*- بروكلمان كارل:
12- **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، 1948.
13 - **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، 1969.
* بن محمد علي:
14 - **النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس "مضامينه وأشكاله"**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
* بن يعيش محمد:
15- **ابن عبد البر حياته آثاره ومنهجه في فقه السنة**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996
* الجابري محمد عابد:
16 - **تكوين العقل العربي**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.
* الحجي عبد الرحمن علي:
17- **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92هـ/711م-897هـ/1492م**، ط2، نشر دار القلم، دمشق وبيروت، 1981م.
* الخالدي طريف:
18 - **بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه**، دار الطليعة، بيروت، 1982.
* الدوري عبد العزيز:
19 - **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، دار المشرق، بيروت، 1983.
* روزنتال، فرانز:
20 - **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة صالح أحمد العلي، نشر مكتبة المثنى، بغداد، 1963.
* الزركلي، خير الدين:
21 - **الأعلام**، ط9، دار الملايين، بيروت، 1990.
* أبو زهرة محمد:

22- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة (د، ت).

* ك. بويكا:

23 - **المصادر التاريخية العربية في الأندلس**، ترجمة نايف أبو كرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999.

* بروكلمان كارل:

24 - **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، 1948.

25 - **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، 1969.

* الكتّاني عبد الحي:

26 - **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات**، المطبعة الجديدة، فاس، 1987

* عمر رضا كحالة:

27 - **معجم المؤلفين العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1957

* ليث سعود جاسم:

28 - **ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ** ،ط2، دار الوفاء للطباعة والنشر و التوزيع، المنصورة، مصر، 1988.

* ليفي بروفنسال ايفارست:

29- **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة دوقان فرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

30 - **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة السيد عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956.

* محمد رضوان الداية:

31- **أندلسيات شامية**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 2000

* محمود إسماعيل:

32 - **الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي**، منشورات الزمن، الرباط، 2001.

33 ــ **"ابن حزم ومدرسته جدل الفقه والتاريخ"** ندوة الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح، تقديم محمد مفتاح تنسيق وعبد الواحد أكمير، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات. ص 281- 300.

* المنوني محمد:

34- **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ا1983.

* مؤنس،حسين:

35 - **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967.

* بن يعيش محمد:

36 - **ابن عبد البر حياته آثاره ومنهجه في فقه السنة**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996.

* محمد عبد الغني حسن:

37 - **التراجم والسير (فنون الأدب العربي، الفن القصصي)**، ط2، دار المعارف، مصر، 1969

* مصطفى شاكر:

38 - **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، بيروت، 1982.

* نعنعي عبد المجيد:

39 - **الإسلام في طليطلة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت(د.ت).

* عبد الله محمد جمال الدين:

40- **"نشأة التاريخ الإسلامي في الأندلس"**، مجلة كلية دار العلوم، ع/ 12- 14، (1999). ص 147- 171.

41 - **"أبو مروان بن حيان أمير مؤرخي الأندلس"**، مجلة أوراق، المعهد الإسباني العربي للثقافة، ع/2، (1979)، ص 19- 28.

* عبد الواحد ذنون طه:

42- **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

43- **دراسات في التاريخ الأندلسي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

* عبد العزيز الأهواني:

44 - **"كتب برامج العلماء في الأندلس"**، مجلة المخطوطات العربية، 1، (1955). ص 91- 120.

* عمارة علاوة:

45 - **"الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"**، مجلة التاريخ العربي، ع/32، (2004)، ص 335- 380 .

46 - **"الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب**، مجلة التاريخ العربي، ع/25، (2003). ص 111- 144.

47- **"ابن شدّاد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط**، مجلة التاريخ العربي، ع/21، (2000). ص 67- 96.

* عمر رضا كحالة:

48 - **معجم المؤلفين العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1957.

* العلي، صالح احمد:

49- **المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز**، مطبعة المجمع العراقي، بغداد، 1964.

* عمر فروخ:

50- **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

* العوادي مبروك:

51- **"ابن حزم الظاهري"**، مجلة الأصالة، ع /25 ،(1975). ص 23- 47.

* عيسى محمد عبد الحميد:

52- **تاريخ التعليم في الأندلس**، دار الفكر، بيروت ، 1982

* فؤاد سزكين:

53 -**تاريخ التراث**، ترجمة محمد فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل، نشر الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1978.

* فيلالي،عبد العزيز:

54- **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

* سالم أحمد محل:

55 - **المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب** كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1967.

* سعد عبدالله البشري:

56- **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة، 1997.

57 - **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، مؤسسة الملك فيصل، الرياض، 2000.

* السيد عبد العزيزسالم:

58- **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، 1981.

59- جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

* شكيب أرسلان:

60- **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، مطبعة عيسى البـــابي الحلـــبي، القـــاهرة، 1939.

* هاملتون جب:

61- **"دراسات في حضارة الإسلام"**، ترجمة إحسان عباس، ومحمد نجم، ومحمود زايد، بيروت، 1964.

* هاني العمد:

62 - **دراسات في كتب التراجم والسير**، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، 1981

* يوسف أحمد يوسف بني ياسين:

63 - **علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، أرند، الأردن، 2002.

رابعا: المراجع الأجنبية

* Amara Allaoua:

1 - "**La transmission du savoir historique en andalus et Maghreb à La Fin du Moyen Age", ***The Maghreb Reviws* (London), 28 nos 2-3 (2003), p. 212- 248.

* Blanchère Régis:

2 - "**Une source de l'histoire des sciences chez les Arabes al- Umam de said al Andalusi**" *Hespéris* 8, (1928), p. 357- 361.

* Claude Cahen:

3 - La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté franque d'Antioche, Paris, 1940.

* Dozy Reinhardt:

4 - Histoire de l'Afrique et de l'Espagne, Intitulée albayan, II-Mogrib, ed.Leyde, 1948.

5 - Recherche sur l'histoire et littérature de l'Espagne pendant le moyen age, Intitulé Leiden, 3ed, 1889.

* Gabriel Martinez- Gros:

6- ***L'déologie omeyade la constrution de la l'égitimité du califat de cordoue (Xe-XIe siècles),*** Bibliothèque de la casa de Velàzquez, 1992.

* Pascal Gayangoes:

7- The History of the Mohammedan Dynasties in Spain, New york – London, 1964.

* George t. Beech*: :*

8- The Brief Eminence and Dooned fall of Islamic Saragossa. A Great Center of Jewish and Arabic Learning in the Iberian Peninsula during the 11 th Century, Saragossa, Instituto de Estudios Islamicos y del Oriente Proximo, 2008.

* - Gomez Garcia:

*9- "***A proposito de ibn Hayan**", *Al- Andalus,* XI, (1946), p.401-402.

* Henri Lavoix:

*10-**atalogue des monnaies musulmanes, Espagne et Afrique du nord,*** Paris, Imprimerie Nationale, 1891.

* Laroui Abdallah:

11- Islam et histoire, Paris, Albin Michel, 1990.

* Evariste Lévi Provençal Evariste:

12- Histoire de l'Espagne Musulmane, Maison neuve, Paris, 1950.

13- Les historiens des chorfa, Paris, 1922.

* Milchor Antuna*:*
*14- **Ibn Hayan, al-moktabis Tome3,*** Librairie orientaliste, Paris 1937
Mohamed Meouak:
*15- **Saqaliba, Euniques et eslaves à la conquête du pouvoir. Géographie et histoire des élites politiques "marginales" dans l'Espagne umayyade,*** Helsinkci, Academia Sciencia Fennica, 2004.
* Moreno Nieto:
*16- **Estudio Critico sobre los distoriadores arabigo- espanol,*** ed, Madrid, 1882.
* Pens Boigues Francisco:
*17- **Los historia dores y geografos arabigo-espanoles,*** Amsterdam, 1942.
*S. M Imamuddin:
*18- **Apolitical History of Muslim Spain,*** Najmah Dacca, 1963.

خامسا: فهرس الموضوعات

ملخص مذكرة ماجيستير

المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن 5هـــ/11م

يعد موضوع المعرفة التاريخية من المواضيع الهامة التي تدخل ضمن تاريخ العلوم والمعارف التي اهتمت بها التيارات التاريخية المعاصرة في أوربا، ثم تبعتها بعض الأقلام العربية المهتمة بالبحث التاريخي، غير أن أكثر الدراسات كانت منصبة بالبحث في الفكر التاريخي في المشرق الإسلامي باعتباره مركز ثقل دار الإسلام.

ولذلك جاء موضوعي ليخص الأندلس في فترتها الحاسمة وهي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لنحاول من خلالها دراسة هذا الفرع من المعرفة الذي عرف تطورا و إزهارا في الفترة المذكورة .

حيث كان الانطلاق من الإشكالية العامة حول إنتاج وانتقال المعرفة التاريخية بكافة فروعها .محاولا تحديد أهم العوامل التي أسهمت وأثرت في تطور وازدهار المعرفة التاريخية في ظل تمزق سياسي بعد سقوط الخلافة الأموية وانهيارها ونشوء دوليات طائفية على إنقاصها وسط تهديد مسيحي متواصل. لقد كان للإرث الأموي دوره في نشر المعرفة التاريخية بعدما حافظت مجموعات الرواة على نقل وحفظ المؤلفات التاريخية التي كانت متداولة في مجالس العلم خلال الفترة الأموية .

كما كان للحرب الأهلية بقرطبة الدور الكبير في انتقال العلماء إلى الأقاليم وهذا ماساعد على ظهور مراكز علمية أخرى منافسة لقرطبة بعد أن كانت تمثل المركز الأول للنشاط العلمي، هذا إلى جانب التنافس الكبير الذي أولاه أمراء الطوائف في إجتداب العلماء إلى بلاطاتهم الذين أسهموا في إرتقاء المعارف بفضل النشاطات العلمية التي كانوا يعقدونها .ثم سار البحث في تناول أهم الحقول المعرفية التي تشكلت منها المعرفة التاريخية خلال الفترة المدروسة وهذا بتصنيف أهم الكتابات التاريخية إلى عدد من الفروع: التاريخ العام، التاريخ المحلي، السيرة النبوية، التراجم والطبقات، الأنساب، الأنتولوجيات، والمذكرات الشخصية .

وفي انتقال المعرفة التاريخية توصلت من خلال فهرسي ابن خير الإشبيلي وابن عطية المحاربي إلى بعض النتائج منها :التأكيد على تدريس التاريخ في حلقات العلم، ومعظم النصوص التاريخية إنتقلت عن طريق المشافهة، وأن الأوساط التي إهتمت بتدريس التاريخ وإنتقاله كانت مكونة في معظمها من أوساط المحدثين والفقهاء .

La connaissance historique en Andalousie durant le 5^{eme} siècle de l'Hégire 11^{eme} siècle Apr.J.C.

Le thème de la connaissance historique est l'un des thèmes les plus importants qui entrent dans le cadre de l'histoire des sciences et des connaissances que les courants historiques contemporains en Europe ont étudié, suivis par quelques plumes arabes concernés par la recherche historique. Mais la grande majorité des études concentraient leurs recherches principalement sur la pensée historique en Orient Musulman, étant le centre de gravité de La Demeure de Paix.

C'est pour cette raison que mon mémoire est consacré exclusivement à l'Andalousie de l'époque décisive et magistrale du 5eme siècle de l'Hégire/11eme siècle Apr. J. C.

Le point de départ est la problématique générale de la production et la transmission de la connaissance historique avec toutes ses branches, en essayant de déterminer les principaux facteurs qui ont contribué au développement et à la prospérité de la connaissance historique et qui l'ont influencée, dans un climat de démantèlement politique, résultant de l'effondrement du Califat Omeyyade et l'émergence de petits états sectaire sous une constante menace chrétienne. L'héritage omeyyade a joué son rôle dans la diffusion de la connaissance après que groupes de narrateurs eurent continué de gardé et transmettre les œuvres historiques utilisés dans les cercles scientifiques durant l'ère omeyyade.

La guerre civile de Cordoue a joué aussi un grand rôle dans le déplacement des savants dans les différentes contrées, ce qui a contribué à l'apparition d'autres centres scientifiques qui ont concurrencé Cordoue, qui était jusque là le principal centre de l'activité scientifique. Cela sans oublier la grande diligence que les monarques des Tawaef (Etats sectaires) ont montré à attirer à leurs cours les savants qui ont fait progresser les connaissances grâce aux manifestations scientifiques qu'ils organisaient.

Nous avons ensuite exposé les principaux domaines de savoir dont la connaissance historique était formée durant la période étudiée, et ce en classant les œuvres historiques principales sous un certain nombre de subdivisions: Histoire Générale, Histoire Locale, Biographie du Prophète, Biographies et Rangs (des savants et personnages historiques). Généalogies, Anthologies et Mémoires.

En ce qui concerne la transmission de la connaissance historique, et à travers l'étude des Fihrist de Ibn Kheir Al Ishbili et Ibn Atiya Al Mouharibi, je suis arrivé à quelques conclusions: l'insistance sur l'enseignement de l'histoire; la grande majorité des textes historiques ont été transmis par voie orale, et les cercles qui se sont attelés à l'enseignement de l'histoire et à sa transmission étaient principalement formés de Ulémas et de spécialistes de Hadith (la Tradition du Prophète).

The summary of the majester Thesis historical knowledge Andalouse during the 5th century of hegira/11th a-d

Historical knowledge is one of many important subjects which was included in The history of science and knowledge in which contemporary historical currents were interested in Europe then, they are followed by some Arab writings having interest in historical research. However the most studies focused on searching in historical thought in Islamic east considered as the subject of interest of dar.

Essalam therefore 3 have chosen EL-ANDALOUSSE as a subject to study during its critical period the 5th century of hegira /11th A-D-by the subject of historical knowledge we are trying to study this part(side) of knowledge, developed and flourished in the mentioned period.

The beginning was from the major issue generating and transferring knowledge with ail its fields-1 am trying to mention ail factors contributing to the evolution of historical knowledge during political instability after the collapse of the Ommiad caliphate (caliphate) and the foundation of sectarian little countries after it, with a continued threat-the Ommiad heritage had a great role in the spreading out of historical knowledge after groups of narrators kept transmitting and preserving historical works which were reported among scientific circles during the Ommiad period.

In addition ,This civil war in Cordova had a hand in the travelling of scientists to the countries .this contributed to the foundation of other rival scientific centrist to those in Cordova witch was the first centre of scientific activity moreover, competition showed by the leader of sert in attracting scientists, who participated in the great development of knowledge thanks to their scientific activities, to then castles .then research started to deal with most important field of knowledge from switch the historical knowledge was founded during the studied period by the classification of historical writings to many branches : general history, local history, prophetic biography auto biography auto biographies and classes, origins, anthologies, diaries.

By the transferring of historical knowledge and through the index of IBN KHEIR EL ISHBILI and IBNATIA EL MOHARIBI. 1 came to these conclusion: the necessity of teaching history in scientific circles, the most historical texts was orally transferred, and milieus whitch were interested in history teaching and transferring were mostly included narrators and jurisprudents.